كفاية المستزيد
بشرح
كتاب التوحيد

الذي هو

حق الله على العبيد

للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

حفظه الله تعالى

أوصي بالعناية بهذا الكتاب عناية عظيمة من جهة حفظه، ومن جهة دراسته، ومن جهة تأمل مسائله، ومن جهة معرفة ما فيه؛ فإنه الحق الذي كان عليه الأنبياء والمرسلون ومن تبعهم من صالح عباد الله.[صالح آل الشيخ]

[16 شريطا مفرغا]

تفريغ الأشرطة لا يعني الاستغناء عنها

أعد هذه المادة: سالم الجزائري

كفاية المستزيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم
منهجي في هذا التفريغ المبارك

الحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات، والصلاة والسلام على رسوله الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فهذه الدروس ألقاها **فضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ** في الدروة العلمية المكثفة لسنة 1416 هـ التي أقيمت بمسجد شيخ الإسلام ابن تيمية في الرياض.

واعتمدت في التفريغ أشرطة تسجيلات الرغائب والنفائس بالجزائر العاصمة التي بدورها سجلتها على تسجيلات طيبة الإسلامية بالرياض، وهي تبلغ ستة عشرة شريطا وصوتها واضح؛ لكن يوجد بعض السقط خاصة عند انتهاء الوجه الأول من الأشرطة، واستدركت ذلك من تفريغ موقع جامع ابن تيمية.

حاولت أن يكون هذا التفريغ حرفيا وهو يتميز بـــــــــــ:

- جمع الكلمات التي ألقيت للحثّ على طلب العلم في هذا الشرح ووضعها في مقدمة الكتاب مع التنبيه على مواضعها من الأشرطة.
- شكل الآيات وتخريجها.
- شكل أغلب الأحاديث النبوية.
- شكل ما يُشْكِل.
- وضع الأسئلة والأجوبة التي أُلقيت تحت الأبواب المناسبة لها مع التنبيه على الأشرطة الذي أُخذت منها.
- وضع فهرسة للأبواب.

والباقي سوف تكتشفونه.

وفي الأخير أشير إلى أنَّ العنوان (**كفاية المستزيد بشرح كتاب التوحيد**) من اختياري**.** سالم الجزائري

كلمات في طــلب العلم

]الحمد لله, والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

أمـا بعـد:

فإن الاهتمام بالعلم، والرّغب فيه، والحرص عليه، والإقبال عليه، دليل صحة القلوب؛ لأن القلب إذا صحَّ لنفسه، وعرف ما ينفعُه فإنه سيحرص على العلم؛ ذلك لأن الله جل جلاله مدح أهل العلم، ورفعهم على غيرهم درجات، قال سبحانه﴿**يَرْفَعْ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾[المجادلة:11]، وقال جل وعلا﴿**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ**﴾[الزمر:9], فعدم استواء من يعلم مع من لا يعلم, هذا إنما يذكره ويعيه أهل الألباب؛ (**إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ**).

وأما الجاهل فهو لا يعرف أنه جاهل، ويقنع بالجهالة، ثم هو لا يعلم معنى العلم وأهمية العلم، وأنَّ العلم هو الشرف الأعظم في هذه الحياة؛ ولهذا قال العلماء: من دلائل أهمية العلم أن الله جل جلاله ما أمر نبيه ﷺ أن يدعُوَ بالازدياد من شيء إلا من العلم، فقال سبحانه لنبيه ﴿**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾[طه:114]، وما أمره بالازدياد، أو بدعاء الازدياد من غير العلم، وكفى بذلك شرفا.

العلم يشترك كثيرون في الاهتمام به، لكن لا يستوون في أخذه، ولا في طريقة أخذه، وهم طبقات:

فمنهم **المتعجل**: الذي يظن أن العلم يحصَّل في أسابيع، أو في أشهر، أو في سنين معدودة، وهذا بعيد عن الصواب؛ لأن العلم لا ينتهي حتى يموت المرء وبقي من العلم أشياء كثيرة لم يعلمها، فإن العلم واسع الأطراف، واسع الجنبات، والله جل وعلا هو ذو العلم الكامل، وأعطى البشر بمجموعهم بعض علمه، فهذا يفوت عليه شيء من العلم، وذاك يفوت عليه شيء من العلم؛ ولكن بمجموعهم لو جُمع علم من فيها لكان شيئا قليلا جدا من علم الله، كما تضع الإبرة في البحر ثم تخرجها لم تُنقص من ماء البحر شيئا.

وإذا كان كذلك، فإن رَوْمَ العلم لا يمكن أن يكون بإطلاق؛ بل ينبغي لطالب العلم أن يكون متدرجا فيه؛ والتدرج سنة لا بد منها، هي سنة النبي

[illegible]

[الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلي آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد:

فأسأل الله جل وعلا لي ولكم العلم النافع، والعمل الصالح، وأن يستعملنا فيما يحب ويرضى، وأن يجعل العلم حجة لنا لا حجة علينا.

هذا وإن من **المهمّات** في مسير طالب العلم أن يعتني بحفظ العلم المنتخَب، وأعني بحفظ العلم المنتخب الذي يتصيّده من الكتب أو مما سمعه من العلماء أو المشايخ أو طلبة العلم؛ ذلك أنَّ تعليم العلم يكون معه فوائد قد لا يجدها الأكثرون في الكتب، ولهذا لابد من التقييد، والتقييد يكون في دفتر خاص، وقلّما تجد أحدا من أهل العلم إلا وكان له في سِنِيِّ الطلب دفترا خاصا، أوراق مجموعة يكتب فيها ما ينتخبه من المهمّات مما يقرأ أو مما يسمعه من الشيوخ؛ لأنك إذا كنت تقرأ ستجد أشياء كثيرة ليست ملفتة للنظر ولست بحاجة إليها في فترتك التي تعيشُها، وتارة تجد أشياء مهمة، كذلك مما تسمعه من العلماء، أو من المعلمين فإن ثمة أشياء مهمة وثمة من قبيل الوصف؛ الوصف يمكن أن يُدْرَك بمراجعة بعض المراجع القريبة ونحو ذلك.

أما ما كان من قبيل التعاريف أو التقاسيم أو التصوير أو ذكر الخلاف أو ذكر الراجح أو ذكر الدليل أو ذكر وجه الاستدلال فهذا لابد من تقييده.

إذن كان من اللوازم لك أن تتخذ لك كراسة خاصة تكتب فيها الفوائد؛ والفوائد هذه إما أن تكون مقروءة أو مسموعة.

---

[1] **ما بين المعكوفتين من الشريط الأول الوجه الثاني**، وهو بعد باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب.

والذي أريد أن تكتبه في هذا المنتخب أو الكراسة أن تعتني فيه بكتابة التعاريف أو الضوابط؛ لأن العلم نصفه في التعاريف والضوابط، وأن تعتني فيها بذكر القيود، إذا سمعت قيدا في مسألة فإن القيد أهميته كأهمية أصل المسألة؛ لأنه بدون فهم القيد يكون تصور أصل المسألة غير جيد؛ بل قد يكون خطأً فتنزلها في غير منزلتها.

أو التقاسيم، تجد في بعض كتب أهل العلم مثلا قول بأن هذه المسألة تنقسم إلى ثلاثة أقسام، أو هذه الصورة لها ثلاثة حالات، بها خمس حالات، لها حالتان وكلّ حالة تنقسم إلى حالتين، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: **العلم إدراكه في إدراك التقاسيم**.

فذهنُك من الحسن؛ بل من المتأكد أن تعوِّده على ضبط التعاريف، ضبط القيود على إدراك التقسيمات، إذا رأيت في كلام بعض أهل العلم أن هذه تنقسم إلى كذا وكذا فمن المهم أن تسجل ذلك وأن تدرسه أو تتحفظه، لأن في التقسيمات ما يجلو المسألة، وبدون التقاسيم تدخل بعض الصور في بعض، وتدخل بعض المسائل في بعض، أما إذا قُسِّمت فإن في التقسيم ما يوضح أصل المسألة؛ لأن لكل حالة قسما.

وأيضا من **المهمات** لك في مسيرك في طلب العلم فيما تقيده أن يكون لك تقييم بعد كل فترة من الزمن فيما كتبته في تلك الكراسة أو الكراسات، ستجد أنك مثلا بعد مضيّ سنة من طلبك للعلم تستغرب ما كتبته في تلك السنة بعد مدة، لماذا؟ لأنك أول ما كتبت كانت المكتوبات، كانت المسائل جديدة عليك، فكتبت لتحفظ، وبعد أن حفظت ودرست وكررت ما كتبته في هذه الكراسة، صارت واضحة وضوح اسمك لديك، وبالتالي فإن المعلومات تزيد وكلما ازدادت المعلومات بحفظ ما سبق يكون السابق واضحا لديك لست محتاجا لعناء في تناوله من العقل أو الذهن؛ لأنه صار محفوظا متصوّرا بقيوده وبضوابطه.

إذن من المهم أن ترتب نفسك في أن تنتخب مما تقرأ أو مما تسمع أشياء مهمة تتعلق بما ذكرنا إمّا بالتعاريف وإمّا بالتقاسيم أو بالدليل أو بوجه الاستدلال، وهذا يشمل جميع العلوم سواء من ذلك العلوم الصناعية يعني علوم الآلة أو العلوم الأصلية التي هي المقصودة.

حبذا لو تبدأ بهذا من اليوم فتجعل لك منتخبا تنتخب فيه الفوائد ثم تتحفظُها، ثم بعد مدة سترى أنها صارت سهلة ميسورة، فتنتقل إلى غيرها فيجتمع العلم بعد مدة.

أسأل الله جل وعلا أن يجعلنا وإياكم ممن يسّر عليه العلم ويسّر عليه العمل.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد.] [1]

[نفسيّة طالب العلم حين يتلقى الدرس]

---

[1] ما بين المعكوفتين من الوجه الثاني من الشريط الثاني بعد شرح باب الخوف من الشرك.

[بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد:

فموضوع كلمة هذا اليوم عن **نفسية طالب العلم حين يتلقى الدرس**، والمستمعون للعلم يختلفون؛ يختلفون من جهة رغبتهم فيما يسمعون، ويختلفون أيضا من جهة استعداداتهم، فليست الرغبات واحدة وليست الاستعدادات واحدة.

فالرغبات مختلفة:

- منهم من يستمع للعلم رغبة في تحصيله، هذا هو الغالب ولله الحمد.
- ومنهم من يستمع للعلم رغبة في تقييم المعلم أو في معرفة مكانته من العلم وحسن تعليمه أو حسن استعداداته للعلوم.
- ومنهم من يأتي مرة ويترك عشر مرات.

هذه وفيه رغبات متنوعة ويهمنا منها من يأتي للعلم رغبة في العلم، فحين يأتي طالب العلم للدرس راغبا في الاستفادة ينبغي أن يكون على نفسية وحالة قلبية خاصة، وحالة عقلية أيضا خاصة.

أمّا الحالة القلبية والنفسية:

 فأن يكون قصده من هذا العلم أن يرفع الجهل عن نفسه، وهذا هو الإخلاص في العلم؛ لأن طلب العلم عبادة، والإخلاص فيه واجب، والإخلاص في العلم بأن ينوي بتعلمه رفع الجهل عن نفسه، وقد سئل الإمام أحمد عن النية في العلم كيف تكون؟ فقال: **أن ينوي رفع الجهل عن نفسه**.

فإذا كان في طلبه للعلم يروم أن يكون معلما، أو أن يكون داعيا أو أن يكون مؤلفا ونحو ذلك فالنية الصالحة فيه والإخلاص في ذلك يكون بشيئين:

الأول: أن ينوي رفع الجهل عن نفسه.

الثاني: أن ينوي رفع الجهل عن غيره.

فإذا لم ينو أحد هذين، أو لم ينوهما معا، فإنه ليس بصاحب نية صحيحة، فإذا رام أحدنا أن يطلب العلم فلا بد أن يكونا ناويا رفع الجهل عن نفسه، وإذا نوى هذه النية يكون مستحضرا -بالطبع- أن الله جل جلاله خلقه وله عليه أمر ونهي في أصل الأصول ألا وهو حقه جل وعلا: التوحيد، وكذلك في الأمر والنهي في الحلال وفي الحرام، وسبب الإقدام على المنهيات في العقائد، وكذلك في السلوك الجهل، من أسباب ذلك الجهل، ثم أسباب أخرى.

فإذا علم ورفع الجهل عن نفسه، كان عالما بمراد الله جل وعلا، ثم بعد ذلك يستعين الله جل وعلا في امتثال مُرَادَاتِهِ الشرعية هذا أمر نفسي مهم.

 والأمر النفسي الثاني المهم أيضا: أنه حين يتلقى العلم يتلقى وهو واثق من علم المعلم؛ يعني أن يكون في نفسه أن الأصل في المعلم أنه يعلم على الصواب، فإذا دخل وفي نفسه أن المعلم يعلم غلطا أو أن معلوماته مشوشة، أو أنه كذا وكذا مما يضعفه في العلم، فإنه لن يستفيد من ذلك؛ لأنه إذا استمع سيستمع بنفس المُعارض، فسيأتي إذا قال كلمة أخذ يفكر بعدها

نصف دقيقة أو دقيقة فيما قال، قال: هذا صحيح وفي اطلاعاته، وقد اطلع كذا وكذا مما يعارض كلام المعلم، ثم في هذه الدقيقة[1] يكون المعلم قد أتى بشيء آخر، فإذا انتهى هذا من تفسيره سمع جملة أخرى فتكون مشوشة أيضا، فيدخل في اعتراضات وهذا يحرم المستمع العلم.

وإذا كان عند طالب العلم فيما يسمع إشكالات أو إيرادات فيكون عنده ورقة أو كراسة بين يديه يكتب الإشكال ثم لا يفكر فيه وهو يستمع العلم، يكتب بحث هذه المسألة، المسألة كذا وكذا، ثم بعد ذلك إذا فرغ من هذا الدرس يذهب هو ذلك اليوم أو بعده يذهب ويبحث هذه المسألة أو يسأل عنها.

ومن المعلوم أنه ليس من شرط المعلم أن يكون محققا، وليس من شرط المعلم أن يكون مصيبا دائما، فقد يكون له اختيارات أو آراء تخالف المشهور، أو يكون له توجيهات غلط فيها؛ لكن الشأن أن يكون المعلم مشهودا له بالعلم، مؤصلا في العلم، يعرف ما يتكلم به، فإذا عرف ما يتكلم به وعرف أقوال الناس وعلّم العلم، فإنه قد يكون عنده غفلة في مسألة أو في حكم أو نحو ذلك، فيغلط مرة أو يغلط في تصورٍ ونحو ذلك، ليس بالعجيب؛ لأن المعلم بشر والبشر خطَّاءون.

إذن المهم أن تتلقى العلم ممن وثقت بعلمه وأنت في نفسية غير معارضة، وهذا يحرم كثيرين علما واسعا؛ حيث إنهم يتلقون العلم بنفسية السؤال بنفسية من يستشكل، ولهذا من أكثر السؤال في حلقات العلم لا يكون مجيدا.

وقد حضرتُ مرة عند الشيخ عبد الرزاق عفيفي العلامة المعروف رحمه الله تعالى، وكان عنده من يسأله عن المسائل في الحج، فإذا أتى مستفت يستفتي فيأتي هذا السائل ويقول له: فإن كان كذا. يحاول تعلم العلم بطرح مسائل أخر غير المسألة التي استفتى فيها السائل، فقال له الشيخ رحمه الله: **العلم لا يؤتى هكذا، وإنما يؤتى العلم بدراسته**.

وهذا صحيح؛ لأن المتعلم حين يحضر عند أهل العلم فيسمع فإنه إذا عرض لذهنه أنه في كل ما يأتي يسأل أو في كل ما يسمع يعترض، كما مر معنا كثيرا من بعض الإخوان والشباب في حلقات العلم؛ يوردون أسئلة ويوردون استشكالات طبعا بحسب ما عنده من العلم سألوا واستشكلوا ولو صبروا لكان خيرا لهم.

هذه النفسية تؤثر على الذهن وعلى صفائه وعلى تصور العلوم في أثناء الدرس.

لهذا ينبغي لنا أننا حين نتلقى العلم أن نتلقاه بنفسية من ليس عنده علم البتة، يسمع ويسمع ويسمع، وإذا استشكل فيكون بعد ذلك في محله يقيد ثم يبحث أو يسأل عن ذلك.

---

[1] انتهى الوجه الأول من الشريط الثالث.

طبعا هذا في حق من وثقنا بعلمه فأخذنا عنه العلم عن ثقة بما يأتي به.][2]

●

[2] ما بين المعكوفتين من الشريط الثالث بعد شرح تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله.

مقدِّمـــــة الشارح

بسم الله الرحمن الرحيم [1]

الحمد لله, الذي بعث عباده المرسلين بتوحيده, فأقاموا الحجة على العباد، واتفقوا من أوّلهم إلى آخرهم على أنْ لا معبود حقّ إلا الله, وعلى أنّ عبادة غيره باطلة, وأنّه ما عُبد غير الله إلاّ بالبغي والظلم والعدوان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تأكيدا بعد تأكيد لبيان مقام التوحيد، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

أمـا بعد:

فهذا الكتاب -وهو **كتاب التوحيد-**، للإمـام المصلح المجدد شيخ الإسلام والمسلمين؛ محمد بن عبد الوهـاب, وهو غني عن التعريف؛ لما جعل الله جل وعلا لدعوته من أثر في شرق الأرض وفي غربها، وفي شمالها وفي جنوبها، ذلك أنها دعوة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام.

وكتاب التوحيد الذي نحن الآن بصدد شرحه, كتاب عظيم جدّا, وأجمعت العلماء -أعني علماء التوحيد- على أنه لم يُصَنَّف في الإسلام في موضوعه مثلُه, فهو كتاب وحيد و فريد في بابه؛ لأنّه -رحمه الله- طرق في هذا الكتاب مسائلَ توحيد العبادة, وما يُضادّ ذلك التوحيد؛ إمّا من أصله, وإمّا يُضادّ كماله, وهذا على نحو التفصيل الذي ساق به الشيخ رحمه الله تلك المسائل والأبواب, لم يُوجد في كتاب على نحو سياقته مجموعًا.

ولهذا طالب العلم لا يستغني البتّة عن هذا الكتاب, من جهة معرفته بمعانيه؛ لأنّه مشتمل على الآي والحديث، وقد شبّه بعض العلماء هذا الكتاب بأنه قطعة من صحيح البخاري رحمه الله، وهذا ظاهر في أنّ الشيخ رحمه الله جعل هذا الكتاب ككتاب البخاري؛ من جهة أن الترجمة فيها آية وحديث، والحديث دال على الترجمة, والآية دالة على الترجمة, وما بعدها مُفسّر لها, وما ساق من كلام أهل العلم؛ من الصحابة، أو من التابعين، أو من كلام أئمة الإسلام، فهو على نسق طريقة أبي عبد الله البخاري رحمه الله؛ فإنه يسوق أقوال أهل العلم في بيان المعاني.

هذا الكتاب، صَنَّفه إمـام الدعوة ابتداءً في البصرة، لما رحل إليها، وكان الداعي إلى تأليفه ما رأى من شيوع الشرك بالله جل جلاله، ومن افتقاد التوحيد الحق في المسلمين، فرأى مظاهر الشرك الأكبر، والأصغر, والخفي، فابتدأ في البصرة؛ جمْع هذا الكتاب، وتحرير الدلائل لمسائله، ذكر ذلك تلميذه وحفيده الشيخ الإمـام عبد الرحمن بن حسن رحمه الله في المقامات، ثم حرره الشيخ رحمه الله وأكمله لمـا قدم نجدا، وصار هذا الكتاب كتاب دعوة, فهو يمثل الدعوة إلى التوحيد؛ لأن الشيخ رحمه الله بيَّن فيه أصول دلائل التوحيد، بيَّن فيه معناه وفضله، وبيَّن ضده والخوف من ضده، بيَّن أفراد توحيد العبادة وأفراد توحيد الأسماء والصفات إجمالا، وبيَّن الشرك الأكبر وصورا من الشرك الأكبر، وبيَّن الشرك الأصغر وصورا من الشرك الأصغر، وبيَّن الوسائل، وبيَّن حماية التوحيد ومـا يكون به، وبيَّن أيضا شيئا من أفراد توحيد الربوبية، فهذا الكتاب -كتاب التوحيد- كتاب عظيم جدا، ولهذا يعظم أن تعتني به عناية حفظ، ودرس، وتأمُّل؛ لأنك أينما كنت فأنت محتاج إليه؛ في نفسك, أو في تبليغ العلم لمن وراءك، سواء كان ذلك في البيت، أم كان في المسجد، أم كان في العمل، أم في أي جهة, فمن فهم هذا الكتاب، فهم أكثر مسائل توحيد العبادة، بل فهم جُلّها وأغلبها.

نبتدئ الشرح، وقد كنت نظرت في كيف تكون طريقة شرح هذا الكتاب، والكتاب -كما تعلمون- طويل لا يمكن شرحه بتوسط أو ببسط في نحو ثمانية عشر درسا.

---

[1] **من هنا يبدأ الشريط الأول.**

والعلماء الذين شرحوه -وهم كُثُر- كانوا بين مطيل، ومتوسط، ومختصر. فنظرت في ذلك، فتقرر أن يكون الشرح:

- فيه ذكر للفوائد التي كثيرا مـا تلتبس على طلبة العلم.
- وفيه بيان مناسبة الآي والأحاديث للترجمة.
- وفيه بيان وجه الاستدلال من الآية، أو من الحديث على المقصود.
- وفيه ذكر شيء من تقرير الحِجاج مع الخصوم في هذه المسائل، ربما بما لا يطالعه كثير منكم في الشروح.

وهذه الطريقة التي سنسلكها؛ طريقة مختصرة، سوف نأتي بهـا إن شاء الله تعالى- ونسأله المدد منه، والإعانة، والتوفيق-، سنأتي بها على الكتاب كلّه بإذن الله، مع عدم الإخلال بإفهامه، وعدم الإخـلال بمعانيه. اقرأ...

قال شيخ الإسلام والمسلمين مجدّد الدعوة والدّين الشيخ **محمد بن عبد الوهاب** رحمه الله تعالى:

[بسم الله الرحمن الرحيم]

كتاب التوحيد وقول الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]

و قوله تعالى ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾[النحل:36] الآية.

وقوله تعالى ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾ [الإسراء:23] الآية.

وقوله تعالى ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**﴾[النساء:36] الآيات.

وقوله تعالى: ﴿**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾[الأنعام: 151] الآيات.

قال ابن مسعود (): [illegible]

يعني من عبادتي، فتوحيد الإلـهية، أو توحيد الألوهية هو توحيد العبادة، يعني جَعْل العبادة لواحد وهو الله جل جلاله.

والعبادة أنواع، والعبادة يفعلها العبد، والله جل وعلا هو المستحق للألوهة وللعبادة؛ يعني هو ذو الألوهة وهو ذو العبادة على خلقه أجمعين.

توحيد الألوهية هو توحيد الله بأفعال العبد؛ أفعالك متنوعة التي تفعلها تقربا، فإذا توجّهت بها لواحد-لواحد وهو الله جلّ وعلا- كنت موحّدا توحيد الإلهية، فإذا توجه العبد بها لله ولغيره، كان مشركا في هذه العبادة.

---

(1) هو رؤبة بن العجاج [فتح المجيد ص:11].

والنوع الثالث من التوحيد توحيد الأسماء والصفات: ومعناه أن يعتقد العبد أن الله جلّ وجلاله واحد في أسمائه وصفاته لا مُماثل له فيهما، وإن شَرك بعضُ العباد اللهَ جل وعلا في أصل بعض الصفات؛ لكنهم لا يَشْرَكونه جل وعلا في كمال المعنى؛ بل الكمال فيها لله وحده دون من سواه؛ فمثلا المخلوق قد يكون عزيزا، والله جل جلاله هو العزيز، له؛ للمخلوق من صفة العِزّة ما يناسب ذاته الحقيرة، الوضيعة، الفقيرة، والله جلّ وعلا له من كمال هذه الصفة منتهى ذلك، ليس له فيها مثيل، وليس له فيها مشابه على الوجه التام؛ قال جل وعلا ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**﴾[الشورى:11].

هذه الأنواع الثلاثة من التوحيد، ذكرها الشيخ رحمه الله في هذا الكتاب، لكن لمّا كانت التصانيف قبله اعتنى فيها العلماء -أعني علماء السنة والعقيدة- ببيان النوعين الأول والثالث؛ وهو توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات, هما توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات؛ لمّا اعتنى العلماء بهما، لم يبسط الشيخ رحمه الله القول فيهما، وإنما بسط القول فيما الناس بحاجة إليه، ويفتقدون التصنيف فيه، وهذه طريقة الإمام رحمه الله؛ فإن كتاباته المختلفة، وإن مؤلفات الشيخ إنما كانت للحاجة، ليست للتكاثر، أو الاستكثار، أو للتفنن، وإنما كَتَبَ فيما الناس بحاجة إليه، لم يكتب لأجل أن يكتب، ولكن كتب لأجل أن يَدعُوَ، وبين الأمرين فرْق.

فإذن الشيخ رحمه الله في هذا الكتاب بيّن توحيد الإلهية والعبودية، وبيَّن أفراده من التوكل، والخوف، والمحبة، والرجاء، والرّغبة، ونحو ذلك، والاستعانة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، كل هذه العبادات لله سبحانه دون من سواه، و الشيخ رحمه الله لمّا بسط ذلك، بيّن أيضا ضدّه؛ وهو الشرك.

فهذا الكتاب -كتاب التوحيد- الذي فيه بيان توحيد العبادة، والربوبية، والأسماء والصفات، وفيه أيضا بيان ضد ذلك؛ وضد التوحيد الشّرك.

والشّرك: اتخاذ الشريك؛ يعني أن يجعل واحدا شريكا لآخر، يقال أشْرك بينهما، إذا جعلهما اثنين، أو أشرك في أمره غيرَه إذا جعل ذلك الأمر لاثنين، فالشرك فيه تشريك، والله جل وعلا نهى عن الشرك كما سيأتي.

الشرك في كلام أهل العلم مبيِّنين ما دلت عليه النصوص، يُقسم إلى قسمين باعتبار، و يُقسم إلى ثلاثة باعتبار آخر.

الشرك يقسم إلى:

- ♦ شرك أكبر.
- ♦ وإلى شرك أصغر.

و يُقسم أيضا باعتبار آخر إلى:

- ♦ شرك أكبر.
- ♦ وشرك أصغر.
- ♦ وشرك خفي.

والشرك: هو اتخاذ الشريك مع الله جل وعلا في الربوبية، أو في العبادة، أو في الأسماء والصفات.

والمقصود هنا، النهي عن اتخاذ الشريك مع الله جل وعلا في العبادة، والأمر بتوحيده سبحانه.

المور: الطريق، والمعبّد: هو الذي ذُلِّل من كثرة وطء الأقدام عليه، وقال أيضا في معلقته:

إلى أنْ تحامَتْني العَشيرةُ كُلُّها وأُفرِدْتُ إفْرادَ البَ
المُعَبَّـدِ[1]

يعني الذي صار ذليلا، لأنه أصيب بالمرض فجُعل بعيدا عن باقي الأبعرة، فصار ذليلا لعدم المخالطة.

في الشرع العبادة: هي امتثال الأمر والنهي على جهة المحبة والرجاء والخوف.

قال بعض العلماء: إن **العبادة هي ما أُمر به من غير اقتضاء عقلي, اطراد عُرفي**. وهذا تعريف الأصوليين.

وقال شيخ الإسلام في بيان معناها، في أول رسالة العبودية: **العبادة اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة**.

إذن دِلالة هذه الآية، أنَّ كلَّ فرد من أفراد العبادة يجب أن يكون لله وحده دون ما سواه؛ لأنّ الذي خلقهم, خلقهم لأجل أن يعبدوه، فكونهم يعبدون غيره، وهو الذي خلقهم هذا من الاعتداء والظلم؛ لأنه ليس مَن يخلق كمن لا يخلق؛ قال جل وعلا ﴿**أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ**﴾[النحل:17].

قال الشيخ رحمه الله (**وقوله** ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾[النحل:36]) **هذه** الآية تفسير للآية قبلها, الآية قبلها فيها بيان معنى العبادة، فيها بيان الغرض من الخلق، وأنه لأجل العبادة، هذه العبادة أُرسلت بها الرسل بدليل قوله (**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**).

بُعثت الرسل بهاتين الكلمتين **(اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)**، ففي قوله (**اُعْبُدُوا اللَّهَ)** إثبات، وفي قوله (**وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)** نفي، وهذا معنى التوحيد، وهو أنه مشتمل على إثبات ونفي، لا إلـه إلا الله؛ أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت؛ لأن النفي فيه اجتناب الطاغوت، وهو كل إلـه عُبد بالبَغي والظلم والعدوان والإثبات؛ إثبات العبادة في الله وحده دون ما سواه، ففي قوله **(أُعْبُدُوا اللَّهَ)** التوحيد المثبت، وفي قوله (**اجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)** نفي الإشراك.

والطاغوت: فَعَلُوت من الطغيان، وهو كل ما جاوز به العبد حدَّه من متبوع أو معبود أو مطاع.

---

[1] يقول: هي تباري إبلا كراما مسرعات في السير وتتبع وظيف- مابين الرسغ إلى الركبة- رجلها وظيف يدها فوق طريق مذلل بالسلوك والوطء بالأقدام والحوافر والمناسم في السير.[عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني، شرح المعلقات السبع، دار اليقضة العربية بيروت، 1969، ص 120].

[1] يقول فتجنبتني عشيرتي كما يتجنب البعير المطلي بالقطران وأفردتني لما رأت أني لا أكف عن إتلاف المال والإشتغال باللذات.[الزوزني، شرح المعلقات السبع ص 137].

قال (**وقوله تعالى** ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾[الإسراء:23]) (**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ**)، (**قَضَى**) -كما فسّرها عدد من الصحابة- هنا بمعنى أمر و وصَّى، و أمر و وصى فيهما معنى القول دون حروف القول، فتكون (**أَلَّا تَعْبُدُوا**)؛ (**أَنْ**) هنا تفسيرية، يعني أمر و وصى، بماذا؟ بـ: لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا.

قوله (**أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ**)، هذا معنى لا إلـه إلا الله بالمطابقة؛ لأنّ (**لاَ**) النفي في الجملتين وهنا (**تَعْبُدُوا**)، وفي كلمة التوحيد إلـه والإلـه هو المعبود، (**أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاه**) يعني أحصروا العبادة فيه وحده دون ما سواه، أمر بهذا ووصى بهذا، وهذا معنى التوحيد؛ فإن دِلالة الآية على التوحيد ظاهرة؛ في أنَّ التوحيد إفراد العبادة لله، أو تحقيق كلمة لا إلـه إلا الله، وهذا الذي دلت عليه هذه الآية.

قال(**وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**) يعني وأحسنوا بالوالدين إحسانا.

قال(**وقوله تعالى** ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**﴾[النساء: 36]) هذا أيضا فيه إثبات ونفي، فيه أمر ونهي، أمَّا الأمر ففي قوله (**وَاعْبُدُوا اللَّهَ**)، والنهي في قوله (**وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**)، وقد مرّ معك دِلالة قوله (**اعْبُدُوا اللَّهَ**) مع النفي على توحيد الله.

قوله هنا (**وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**) لاحظ أن (**لا**) هنا نافية، ومن المتقرّر في علم الأصول، أنَّ النفي إذا تسلّط على نكرة فإنه يفيد العموم، و(**لا**) بعدها نكرة، وهو المصدر المُسْتكِن في الفعل؛ لأن الفعل المضارع مشتمل على مصدر وزمن، (**لَا تُشْرِكُوا**) يعني لا إشراكًا به، فـ(**تُشْرِكُوا**) متضمنة لمصدر، والمصدر نكرة، فيكون قوله (**لَا تُشْرِكُوا**) يعني بأي نوع من الشرك، (**وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**)، و(**شَيْئًا**) أيضا هنا نكرة في سياق النفي، (**لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**)، فدلّت على عموم الأشياء، فصار -إذن- عندنا في قوله تعالى (**وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**) ثَمَّ عمومان:

- **الأول**: دلَّت الآية على النهي عن جميع أنواع الشرك، وذلك لأن النهي تسلّط على الفعل، والفعل فيه مصدر مُسْتكِنّ، والمصدر نكرة.
- **والثانية**: أنَّ مفعول (**تُشْرِكُ**)؛ (**شَيْئًا**)، و(**شَيْئًا**) نكرة، والنكرة جاءت في سياق النهي، وذلك يدل على عموم الأشياء، يعني لا الشرك الأصغر مأذونا به، ولا الأكبر، ولا الخفي، لدِلالة قوله (**لَا تُشْرِكُوا بِهِ**)، وكذلك ليس مأذونا أن يُشرك لا بملك، ولا بنبيّ، ولا بصالح، ولا بعالِم، ولا بطالح، ولا بقريب، ولا ببعيد، بدلالة قوله (**شَيْئًا**) وهذا استدلال ظاهر الوضوح في الدلالة على التوحيد بالجمع بين النفي والإثبات.[1]

قال(**قوله تعالى**﴿**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**﴾[الأنعام: 151] الآيات.) (**قُلْ تَعَالَوْا**) يعني يا مَن حرَّم بعض الأنعام، وافترى على الله في ذلك (**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**) قال العلماء: (**أن**) هنا تفسيرية متعلقة بمحذوف

---

[1] هنا ينتهي الوجه الأول للشريط الأول ويبدأ الوجه الثاني.

تقديره وصاكم؛ لأن (**أن**) التفسيرية تتعلق كما ذكرت لك بكلمة فيها معنى القول دون حروف القول وحددوها بقوله (**وَصَّاكُم**) لأنه في آخر الآي جاء (**ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَعْقِلُونَ)** في الآية الأولى، ثم **(لَعَلَّكُم تَذَكَّرُون)** في الآية الثانية، ثم **(لَعَلَّكُم تَتَّقُون)** في الآية الثالثة كلها فيها الوصية. فإذن يكون تقدير الكلام: قل تعالوا أتلو ما حرم ربكم عليكم وصاكم ألا تشركوا به شيئا. يعني: أمركم، والوصية هنا شرعية، وإذا كانت الوصية من الله شرعية، فهي أمر واجب، فقوله **(أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)** دلالتها على التوحيد كدلالة آية النساء قبلها.

ثم ساق الشيخ رحمه الله أثر ابن مسعود قال(**قال ابن مسعود:من أراد أن ينظر إلى وصية محمد التي عليها خاتمه؛ فليقرأ قوله تعالى)**، (**التي عليها خاتمه**), يعني التي كانت من آخر مـا وصّى به، من آخر مـا أمر به, يعني التي لو قُدِّر أنه وصّى وختم على هذه الوصية، وفُتحت بعد وفاته عليه الصلاة والسلام، وانتقاله إلى الرفيق الأعلى، لكانت هذه الآيات التي فيها الوصايا العشر.

هذا من ابن مسعود للدِّلالة على عِظم شأن هذه الآيات، التي افتتحت بالنهي عن الشرك، والنبي ابتدأ دعوته بالأمر بعبادة الله وحده والنهي على الشرك، واختتمها أيضا -كما دل عليه كلام ابن مسعود هذا- بالأمر التوحيد، والنهي عن الشرك؛ فدل على أن ذلك، أولى المطالب، وأول المطالب، وأهم المطالب.

قال بعد ذلك (**عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ** () **قَالَ: كُنْتُ رِدِيفَ النبي . عَلَى حِمَارٍ فَقَالَ لي : يَا مُعَاذُ! أَتَدْرِي مَا حَقّ اللّهِ عَلَى الْعِبَادِ وما حقّ العبادِ عَلَى الله؟ قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «حَقّ اللّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئا.»**) هذا موطن الشاهد، (**حَقّ اللّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوه وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئا)** وهذا قد مرَّ بيان معناه؛ لكن الشاهد من هذا الحديث، ومناسبة الابتداء؛ ابتداء كتاب التوحيد أنه أتى فيه بلفظ **(حَقّ)، (أَتَدْرِي مَا حَقّ اللّهِ عَلَى الْعِبَادِ**؟) ثم قال: **(قَالَ: «حَقّ اللّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوه وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئا»)**، هذا الحق؛ حق واجب لله جل وعلا؛ لأن الكتاب والسنة؛ بل ولأن المرسلين جميعا أتوا بهذا الحق وببيانه، وأنه أوجب الواجبات على العباد.

ثم قال (**وَحَقّ الْعِبَادِ عَلَى اللّهِ أَنْ لاَ يُعَذّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئا)، (حَقّ الْعِبَادِ عَلَى اللّهِ)** هذا حق أحقَّه الله على نفسه، باتفاق أهل العلم، وبإيجابه على نفسه في بعض أقوالهم، كما قاله الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله.

(**حَقّ الْعِبَادِ عَلَى اللّهِ)** هـل هذا حق واجب أم لا؟ نقول: نعم هو حق واجب، لكن بإيجاب الله ذلك الحق على نفسه، والله جل وعلا يحرّم على نفسه ما يشاء، بما يوافق حكمته، ويوجب على نفسه ما يشاء بما يوافق

حكمته، « **إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلاَ تَظَالَمُوا**»، حرم الله الظلم على نفسه، كذلك أوجب على نفسه أشياء.

بعض أهل العلم تحاشى لفظ الإيجاب على الله، وقال: يعبَّر بأنه حق يتفضَّلُ به، حق تفضُّلٍ، لا حق إيجاب. وهذا ليس بمُتَعَيِّن؛ لأنّ الحق الواجب، أوجبه الله على نفسه، والعباد لا يوجبون على الله جلّ وعلا شيئا من الحقوق، وهو جلّ وعلا أوجبه على نفسه؛ لأنه تفضَّل على عباده بذلك، والله جلّ جلاله لا يخلف الميعاد.

●

باب فضل التوحيد وما يكفِّر من الذنوب

وقول الله تعالى **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمْ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ** [الأنعام: 82].

عن عبادة بن الصامت [illegible]

[illegible]

هذا (**باب فضل التوحيد وما يكفّر من الذنوب**)، التوحيد بأنواعه له فضل عظيم على أهله، ومن أعظم فضله أنه به تُكفَّر الذنوب، ولهذا قال الشيخ رحمه الله في التبويب (**باب فضل التوحيد وما يكفّر من الذنوب**)، (**ما يكفّر**)، (**ما**) هنا موصولة؛ موصول حرفي، يعني تقدَّر مع ما بعدها بمصدر، يكون المعنى: باب فضل التوحيد وتكفيرِه الذنوبَ، فالتوحيد يكفر الذنوب جميعا، لا يكفر بعض الذنوب دون بعض، فإن التوحيد حسنة عظيمة، لا تقابلها معصية إلا وأحرق نورُ تلك الحسنة أثر تلك المعصية، إذا كَمُل ذلك النور.

(**باب فضل التوحيد وما يكفّر من الذنوب**) يعني وتكفيره الذنوبَ، فالتوحيد يعني من كمّله؛ كمَّل توحيد الربوبية وتوحيد الإلـهية وتوحيد الأسماء

والصفات، فإنه تُكفّر ذنوبه -كما سيأتي في الباب بعده- أنه من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حسـاب، وكلما زاد التوحيد كلما محا من الذنوب بمقدار عظمه، وكلّما زاد التوحيد كلما أمِنَ العبد في الدنيا وفي الآخرة بمقدار عِظمه، وكلما زاد العبد في تحقيق التوحيد كلما كان متعرّضا لدخول الجنة على ما كان عليه من العمل، لهذا ساق الإمـام رحمه الله آية الأنعام فقال (**باب فضل التوحيد وما يكفّر من الذنوب وقول الله تعالى**).

من أهل العلم من قال إن قوله (**وما يكفر من الذنوب**)، (**ما**) هنا موصول اسمي، يعني والذي يكفّره من الذنوب، وهذا أيضا سائغ ظاهر الصحة.

(**وقول الله تعالى** ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمْ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾[الأنعام: 82])، الظلم هنا هو الشرك، كما جاء في الصحيحين من حديث ابن مسعود، أن النبي ﷺ قال في هذه الآية حينما استعظم الصحابة هذه الآية وقالوا: يا رسول أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال:«**ليس الذي تذهبون إليه، الظلم الشرك، ألم تسمعوا لقول العبد الصالح** ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ [لقمان:13]»، فالظلم هنا في مراد الشيخ الشرك، فيكون معنى الآية بما يناسب هذا الباب: الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بشرك، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون، ففضْل الذي آمَنَ يعني وَحّد، لم يلبس إيمانه بشرك، لم يلبس توحيده بشرك، أن له الأمن التام والاهتداء التام.

وجه الدلالة أن قوله(**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ**)، أن قوله (**بِظُلْمٍ**) هنا نكرة في سياق (**لَمْ يَلْبِسُوا**)، وهذا يدل على عموم أنواع الظلم.

هل العموم هنا العموم المخصوص أو العموم الذي يراد به الخصوص؟ هنا يُراد العموم الذي يُراد به الخصوص؛ لأننا قلنا -فيما سبق لك آنفا- أن النكرة في سياق النفي أو النهي تدل على العموم.

العموم عند الأصوليين:

- تارة يكون باقيا على عمومه، هذه حالة.
- وتارة يكون عموما مخصوصا، يعني دخله التخصيص.
- وتارة يكون عموما مرادا به الخصوص، يعني لفظه عام ولكن يُراد به الخصوص.

وهذا الثالث هو الذي أراد به الشيخ رحمه الله وجه الاستدلال من الآية، فيكون **الظلم** هنا -صحيح- نكرة في سياق (**لم**) تدل على العموم؛ لكن عموم مُرادٌ به الخصوص، وهو خصوص أحد أنواع الظلم؛ وهو الشرك، فيصير العموم في أنواع الشرك، لا في أنواع الظلم كلها؛ لأن من أنواع الظلم ما هو من جهة ظلم العبد نفسه بالمعاصي، ومن جهة ظلم العبد غيره بأنواع التعديات، ومنه ما هو ظلم من جهة حق الله جل وعلا بالشرك، فهذا هو المراد بهذا العموم، فيكون عموما في أنواع الشرك.

وبهذا يحصل وجه الاستدلال من الآية، فيكون المعنى: (**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ**)، يعني توحيدهم، بنوع من أنواع الشرك (**أُوْلَئِكَ لَهُمْ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**)، و(**الْأَمْنُ**) هنا هو الأمن التام في الدنيا، المراد به أمن القلب، وعدم حزنه على غير الله جل وعلا، والاهتداء التام في الدنيا والآخرة، وكلما صار ثَمَّ نقص في التوحيد؛ بغشيان العبد بعض أنواع الظلم الذي هو الشرك؛ الشرك الأصغر أو الشرك الخفي، وسائر الشرك، ونحو ذلك، فيذهب منه من الأمن والاهتداء بقدر ذلك، هذا من جهة تفسير الظلم بأنه الشرك.

فإذا فسَّرتَ الظلم بأنه جميع أنواع الظلم، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، فإنه يكون هناك مقابلة بين الأمن والاهتداء، وبين حصول الظلم، فكلما انتفى الظلم، وُجد الأمن والاهتداء، كلما كمُل التوحيد وانتفت المعصية، عظُم الأمن والاهتداء، وإذا زاد الظلم، قل الأمن والاهتداء، بحسب ذلك.

قال (عن عبادة بن الصامت ؛ قال: قال رسول الله : «**مَنْ شهِدُ أَنّ لاَ إِلَهَ إِلاّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ, وَأَنّ مُحَمّدا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ, وَأَنّ عِيسَى عَبْدُ اللّهِ وَرسولَه وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنّةَ حَقّ, وَالنّارَ حَقّ؛ أَدْخَلَهُ الله الْجَنّةَ على ما كان من العمل**»)، مناسبة هذا الحديث للباب قوله (**على ما كان من العمل**) وقوله (**على ما كان**) يعني على الذي كان عليه من العمل، ولو كان مقصِّرا في العمل، وعنده ذنوب وعصيان، فإن فضل توحيده لله وشهادته لله بالوحدانية، ولنبيه بالرسالة، ونفي إشراك المشركين بعيسى، وإقراره بالغيب وبالبعث، فإن ذلك له فضل عليه؛ وهو أن يدخله الله الجنة، ولو كان مقصِّرا في العمل، وهذا من فضل التوحيد على أهله.

قال (ولهما في حديث عِتبان: «**فَإِنّ الله قَدْ حَرّمَ عَلَى النّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاّ الله, يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ الله**»**.**), (**حَرّمَ عَلَى النّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاّ الله, يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ الله**)**،** قوله (**مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاّ الله**) المراد بالقول هنا، الذي معه تمام الشروط، كقول النبي « **الحجُّ عرفة**» يعني إذا أتى ببقية الأركان والواجبات, قوله هنا (**مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاّ الله**) يعني باجتماع شروطها، وبالإتيان بلازمها، (**يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ الله**) ليخرج حال المنافقين لأنهم حين قالوها لا يبتغون بذلك وجه الله فإن الله حرم عليه النار، وقوله (**حَرّمَ عَلَى النّارِ**) التحريم في نصوص الكتاب والسنَّة -تحريم النار- يأتي على درجتين: **الأولى** تحريم مؤبد، **والثانية** تحريم بعد أمد:

- **التحريم المؤبد**: يقتضي أن من حرَّم اللهُ عليه النار, فإنه إذا كان التحريم تحريما مؤبدا فإنه لن يدخلها, يغفر الله له، أو يكون من الذين يدخلون الجنَّة بلا حساب ولا عذاب.
- **[التحريم بعد أمد**]: إذا كان التحريم بعد أمد، يعني ربما يدخلها ثم يحرم عليه البقاء فيها.

وهذا الحديث يحتمل الأول، ويحتمل الثاني، (**فَإِنّ الله قَدْ حَرّمَ عَلَى النّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاّ الله**)، والذي أتى بالتوحيد، وانتهى عن ضدِّه، وكانت عنده بعض الذنوب والمعاصي، ومـات من غير توبة، فهو تحت المشيئة؛ إن شاء اللهُ عذَّبه، ثم حرّم عليه النار، وإن شاء اللهُ غفر له، وحرَّم عليه النار ابتداءً.

فإذن وجه الشاهد من الحديث للباب، أنَّ هذه الكلمة وهي كلمة التوحيد, وسيأتي بيان معناها مفصّلاً إن شاء الله تعالى، هذه الكلمة لما ابتغى بها صاحبها وجه الله، وأتى بشروطها، وبلوازمها، تفضَّل الله عليه، وأعطاه ما يستحقه من أنَّه حرّم عليه النار، وهذا فضل عظيم، نسأل الله جل وعلا أن يجعلنا من أهله.

حديث أبي سعيدٍ الخدري بعد ذلك فيه («**قال موسى عليه السلام: يا رب! علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به. قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله. قال: يا ربِّ! كل عبادك يقولون هذا)** في هذا الحديث دلالة على أن أهل الفضل والرفعة في الدين والإخلاص والتوحيد قد يُنبَّهون على شيء من مسائل التوحيد, فهذا موسى عليه السلام -وهو أحد أولي العزم من الرسل-، وهو كليم الله جل وعلا، أراد شيئا يختص به غير ما عند الناس، وأعظم ما يختص به أولياء الله وأنبيائه ورسله وأولوا العزم منهم، هو كلمة التوحيد لا إله إلا الله، فأراد شيئا أخص، فعلم أنه لا أخص من كلمة التوحيد؛ فهي أفضل شيء، وهي التي دُلّ عليها أُولوا العزم من الرسل، ومَنْ دونهم من الناس.

(**قال يا رب! كل عبادك يقولون هذا؟** قال: **يا موسى! لو أنَّ السماوات السبع وعامرَهن غيري)** يعني ومن في السماوات السبع؛ من الملائكة؛ ومن عُبّاد الله غير الله جلّ وعلا، (**والأرضين السبع في كفة)** يعني لو تمثلت السماوات أجساما، والأرض جسما، والجميع يوضع في ميزان له كفّتان، وجاءت لا إله إلا الله في الكفّة الأخرى؛ كما قال هنا (**و(لا إله إلا الله) في كفة)** لمالت بهن لا إله إلا الله, لا إله إلا الله كلمة توحيد فيها ثِقَلٌ لميزان من قالها، وعظم في الفضل لمن اعتقدها، وما دلت عليه، فلهذا قال: **(مالت بهن لا إله إلا الله)**.

وجه الدِّلالة أنَّه لو تُصُوِّر أن ذنوب العبد بلغت ثقل السماوات السبع، وثقل ما فيها من العُبَّاد والملائكة، وثقل الأرض، لكانت لا إله إلا الله مائلة بذلك الثقل من الذنوب.

وهذا هو الذي دل عليه حديث البطاقة؛ حيث جُعل على أحد العصاة سجلات عظيمة، فقيل: له هل لك من عمل؟ فقال: لا, فقيل: بلا، ثم أخرجت له بطاقة فيها لا إله إلا الله فوُضعت في الكفة الأخرى فطاشت سجلات الذنوب وثقُلت البطاقة.

وهذا الفضل العظيم لكلمة التوحيد إنما هو لمن قويت في قلبه؛ ذلك أنها في قلب بعض العباد تكون قوية؛ لأنه مخلص فيها، مصدِّق، لا ريب عنده فيما

دلت عليه، معتقد ما فيها، محب لما دلت عليه، فيقوى أثرُها في القلب ونورُها، وما كان كذلك فإنها تُحرق ما يقابلها من الذنوب، وأما من لم يكن من أهل تمام الإخلاص فيها فإنه لا تطيش له سجلات الذنوب.

فإذن يكون هذا الحديث، وحديث البطاقة، يدل على أن لا إله إلا الله لا يقابلها ذنب، ولا تقابلها خطيئة؛ لكن هذا في حق من كمّلها وحقّقها بحيث لم يخالطها في قلبه في معناها ريب ولا تردد؛ ومعناها مشتمل على الربوبية بالتضمن، وعلى الأسماء والصفات باللزوم، وعلى الإلـهية بالمطابقة.

فإذن يكون من يَكمُل له الانتفاع بهذه الكلمة، ولا يقابلها ذنوب وسجلاّت ولو كانت في ثقل السماوات وما فيها والأرض، يكون ذلك في حق من كمَّل ما دلت عليه من التوحيد, وهذا معنى هذا الحديث وحديث البطاقة.

وهذا أيضا هو الذي دل عليه الحديث الآخِر في الباب (**عن أنس: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: يا ابنَ آدَمَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بي شَيْئاً لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»)، وهذا من فضل التوحيد وتكفيره الذنوب، ومناسبة هذا الحديث للباب ظاهرة, وهي أنه من أتى بذنوب عظيمة ولو كانت كقُراب الأرض خطايا يعني كعظم وقدر الأرض خطايا، ولكن لقي الله لا يشرك به شيئا, لأتى اللهُ لذلك العبد بمقدار تلك الخطايا مغفرة، وهذا لأجل فضل التوحيد وعِظم فضل الله جل وعلا على عباده لأن هداهم إليه ثم أثابهم عليه.

هذا بعض ما تيسر وأسأل الله جل وعلا لي ولكم التوفيق والرشد والسداد.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد.

●

[الأسئلة]

[س/ وهذا يقول: قوله (**وعامرهن غيري**) قد يستدل به أهل البدع على أن الله في كل مكان، نرجو التوضيح بارك الله فيكم.

ج/ في قوله جل وعلا في الحديث القدسي (**يا موسى! لو أن السماوات السبع وعامِرَهُنَّ غيري**)، (**السموات السبع**) معروفة طباق بعضها فوق بعض, (**وعامِرَهُنَّ**) هي من العمارة المعنوية يعني من عمرها بالتسبيح والتهليل وذكر الله وعبادته، وقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال « **أَطّتْ السّمَاءُ وَحُقّ لَهَا أَنْ تَئِطّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلاّ وَمَلَكٌ قائم أو مَلَكٌ ساجدٌ أو مَلَكٌ راكعٌ**» ففيها عُمَّار كثيرون عمروها بعبادة الله جل وعلا, قد قال جل وعلا في أول سورة الأنعام﴿**وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ**﴾[الأنعام:3]، فالله جل وعلا هو المعبود سبحانه في السموات ومعبود سبحانه في الأرض.

فقوله هنا (**لو أن السماوات السبع وعامِرَهُنَّ غيري**) يعني من يعمر السموات، والله جل وعلا في هذا الاستثناء في قوله (**غيري**) يعني إلا أنا هذا يحتمل أن يكون الاستثناء راجع إلى الذات وراجع إلى الصفات، ومعلوم أن

الأدلة دلت على أن الله جل وعلا على عرشه مستو عليه بائن من خلقه جل وعلا، والسماوات من خلقه.

فعُلم من ذلك أن قوله وعامرهن غيري راجع إلى عمارة السماء بصفات الله جل وعلا وبما يستحقه سبحانه من التعلق والعبودية، وما فيها من علم الله ورحمته وقدرته وتصريفه للأمر وتدبيره ونحو ذلك من المعاني.**]**[1]

•

باب من حقَّق التوحيد؛ دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[النحل:120].

وقوله: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ**﴾[المؤمنون: 59].

وعن حُصَيْنِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رضي الله عنه فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَّ الْبَارِحَةَ؟ قُلْتُ: أَنَا. ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلاَةٍ. وَلَكِنِّي لُدِغْتُ. قَالَ: فَمَاذَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: اَرْتَقَيْتُ. قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيّ. قَالَ: وَمَا حَدَّثَكُمُ الشَّعْبِيّ؟ قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ حُصَيْبٍ, أَنَّهُ قَالَ: لاَ رُقْيَةَ إِلاَّ مِنْ عَيْنٍ أَوْ حُمَةٍ. قَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مَنِ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ. وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ

[ ]

هذا الباب (**باب من حقق التوحيد؛ دخل الجنة بغير حساب**)، وقد ذكر في الباب قبله (**فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب**)، وهذا الباب أرفع رتبة من بيان فضل التوحيد، فإن فضل التوحيد يشترك فيه أهله.

وأهل التوحيد هم أهل الإسلام، فلكلٍّ من التوحيد فضل، ولكل مسلم نصيب من التوحيد، وله بالتالي نصيب من فضل التوحيد، وتكفير الذنوب.

أمّا خاصة هذه الأمة فهم الذين حققوا التوحيد، ولهذا عطف هذا الباب على ما قبله لأنه أخص (**باب من حقق التوحيد؛ دخل الجنة بغير حساب**).

---

[1] مأخوذ من الوجه الأول من الشريط الرابع من باب ما جاء في الرقى والتمائم.

وتحقيق التوحيد هو مدار هذا الباب, تحقيقه بمعنى تحقيق الشهادتين: لا إله إلاَّ الله، محمد رسول الله. ومعنى تحقيق الشهادتين تصفية الدي -يعني ما يدين به المرء- من شوائب الشرك والبدع والمعاصي.

فصار تحقيق التوحيد يرجع إلى ثلاثة أشياء:

الأول: ترك الشرك بأنواعه الأكبر والأصغر والخفي.

والثاني: ترك البدع بأنواعها.

والثالث: ترك المعاصي بأنواعها.

وتحقيق التوحيد صار تصفيته من: أنواع الشرك، وأنواع البدع، وأنواع المعاصي.

وتحقيق التوحيد يكون على هذا على درجتين:

- درجة واجبة.
- ودرجة مستحبة.

وعليها يكون الذين حققوا التوحيد على درجتين أيضا:

فالدرجة الواجبة: أن يترك ما يجب عليه تركه من الثلاث التي ذكرت؛ يترك الشرك خفيَّه وجليه صغيرَه وكبيره، ويترك البدع ويترك المعاصي، فهذه الدرجة الواجبة.

والدرجة المستحبة من تحقيق التوحيد: وهي التي يتفاضل فيها الناس من المحققين للتوحيد أعظم تفاضل، ألا وهي: ألاّ يكون في القلب شيء من التوجّه أو القصد لغير الله جلّ وعلا؛ [1] يعني أن يكون القلب متوجها إلى الله بكليته، ليس فيه إلتفات إلى غير الله؛ نُطْقه لله وفعله وعمله لله؛ بل وحركةُ قلبه لله جلّ جلاله، وقد عبّر عنها بعض أهل العلم -أعني هذه الدرجة المستحبة-: أن يترك ما لا بأس به حذرا مما به بأس، يعني في مجال أعمال القلوب، وأعمال اللسان، وأعمال الجوارح.

فإذن رجع تحقيق التوحيد -الذي هذا فضله؛ وهو أن يدخل أهله الجنة بغير حساب ولا عذاب-، رجع إلى تَيْنِكَ المرتبتين، وتحقيقه تحقيق الشهادتين لا إله إلا الله، محمد رسول الله؛ لأن في قوله لا إله إلا الله الإتيان بالتوحيد والبعد عن الشرك بأنواعه. ولأن في قوله أشهد أن محمدا رسول الله البعد عن المعصية والبعد عن البدع؛ لأن مقتضى الشهادة بأن محمدا رسول الله أن يطاع فيما أمر، وأن يصدَّق فيما أخبر، وأن يجتنب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع.

فمن أتى شيئا من المعاصي والذنوب ثم لم يتب منها، أو لم تُكفَّر له, فإنه لم يحقق التوحيدَ الواجب، وإذا أتى شيئا من البدع فإنه لم يحقق التوحيد الواجب، وإذا لم يأتِ شيئا من البدع، ولكن حسّنها بقلبه، أو قال لا شيء فيها، فإن حركة القلب كانت في غير تحقيق التوحيد، في غير تحقيق شهادة أنّ محمدا رسول الله فلا يكون من أهل تحقيق التوحيد.

كذلك أهل الشرك بأنواعه ليسوا من أهل تحقيق التوحيد.

---

[1] انتهى الشريط الأول.

وأمّا مرتبة الخاصة التي ذكرتُ، ففيها يتنافس المتنافسون، وما تَمَّ إلاّ عفو الله و مغفرته ورضوانه.

(**باب من حقق التوحيد؛ دخل الجنة بغير حساب**) استدل الشيخ في هذا الباب بآيتين وبحديث.

أما الآية الأولى قال رحمه الله (وقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[النحل:120]) هذه الآية فيها الدِّلالة على أنَّ إبراهيم عليه السلام كان محققا للتوحيد؛ وجه الدلالة أن الله جلّ وعلا وصفه بصفات:

الأولى: أنه كان أُمّة، والأمة هو الإمام الذي جمع جميع صفات الكمال البشري وصفات الخير, وهذا يعني أنه لم ينقص من صفات الخير شيئا، وهذا هو معنى تحقيق التوحيد.

والأمَّة تطلق في القرآن إطلاقات، ومن تلك الإطلاقات أن يكون معنى الأمّة الإمـام المقتدى به في الخير، وسُمِّي أمّة لأنه يقوم مقام أمَّة في الإقتداء، ولأنه يكون من سار على سيره غير مستوحش ولا متردّد، لأنه ليس مع واحد فقط وإنما هو مع أمة.

الوصف الثاني الذي فيه تحقيق التوحيد: أنه قال (**قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا**) وهاتان صفتان؛ (**قَانِتًا لِلَّهِ**) صفة, **(حَنِيفًا)** صفة؛ ولكن هذه وهذه متلازمتان؛ لأن القنوت لله معناه دوام الطاعة وملازمة الطاعة لله جل وعلا، فهو ملازم الطاعة لله جل وعلا، (**حَنِيفًا**) هذا فيه النفي، ففي قوله **(قَانِتًا لِلَّهِ**) الإثبات في لزوم الطاعة ولزوم إفراد التوحيد، وفي قوله **(حَنِيفًا)** النفي.

قال العلماء: الحنيف هو ذو الحَنَفِيّ وهو الميل عن طريق المشركين. مائلا عن طريق المشركين, مائلا عن هدي وسبيل المشركين.

فصار -إذن- عنده ديمومة وقنوت وملازمة للطاعة وبُعْد عن سبيل المشركين، ومعلوم أن سبيل المشركين الذي صار إبراهيم عليه السلام حنيفا عن ذلك السبيل -يعني مائلا عن ذلك السبيل بعيدا عنه-, معلوم أنه يشتمل على الشرك والبدعة والمعصية، فهي ثلاث أخلاق المشركين؛ شرك وبدعة ومعصية من غير إنابة ولا استغفار.

قال (**وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**)، (**لَمْ يَكُ**)، **(يَكُ)** هذه هي (**يكن**)، وفي النفي يجوز حذف النون -نون (**يكن**)- في مثل هذا (**وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**)، وفي آية أخرى **(ولم يكن من المشركين)**،[1] فهما جائزان في اللغة إذا جاءت (**يكن**) في سياق النفي كما هو معلوم.

(**وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**)، **(الْمُشْرِكِينَ)** جمع تصحيح للمشرك، والمشرك اسم فاعل الشرك، و(الـ) -كما هو معلوم في العربية- إذا جاءت

---

[1] لم أجدها ولكن يوجد شواهد كثيرة في القرآن منها ﴿ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ **يَكُنْ** أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[البقرة:196].

قبل اسم الفاعل، أو اسم المفعول، فإنها تكون موصولة كما قال ابن مالك في الألفية:

وَصِفَةٌ صَرِيحَةٌ صِـلَةُ أَلْ وَكَوْنُهَـا بِمُعْرَبِ الـ

والاسم الموصول عند الأصوليين يدل على العموم، فكان إذن المعنى: (**وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**) يعني ولم يكُ فاعلا للشرك بأنواعه؛ لم يكُ منهم، ولم يكُ من الذين يفعلون الشرك بأنواعه. وأيضا دل قوله (**وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**) على أنه ابتعد عنهم، لأن (**مِن**) تحتمل أن تكون تبعيضية؛ فتكون المباعدة بالأجسام، ويحتمل أن تكون بيانية؛ فتكون المباعدة بمعنى الشرك.

المقصود أن الشيخ رحمه الله استحضر هذه المعاني من الآية، فدلته الآية على أنها في تحقيق التوحيد، قال جل وعلا (**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**) ذلك لأن من جمع تلك الصفات فقد حقق التوحيد، ومن حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب.

في تفسير إمـام الدعوة المصنف الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله؛ في تفسيره لآخر سورة النحل؛ فسر هذه الآية فقال رحمه الله: إنَّ إبراهيم (**كَانَ أُمَّةً**) لأنْ لا يستوحش سالكُ الطريق من قلة السالكين، (**قَانِتًا لِلَّهِ**) لا للملوك ولا للتجار المترَفين، (**حَنِيفًا**) لا يميل يمينا ولا شمالا، كحال العلماء المفتونين، (**وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**) خلافا لمن كثّر سوادهم وزعم أنه من المسلمين.

وهو من التفاسير الرائقة، الفائقة، البعيدة المعاني، ﴿**وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾[فصلت:35].

وقال بعد ذلك (وقولُه ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ**﴾[المؤمنون: 59].) هذه من آيات من سورة المؤمنون، فهي في مدح خاصة المؤمنين، ووجه الاستدلال من الآية على الباب أنه قال (**وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ**).

(لَا يُشْرِكُونَ) نفي للشرك -كما ذكرتُ لكم من قبل- أنَّ النفي إذا تسلّط على الفعل المضارع فإنه يفيد عموم المصدر الذي إستكنَّ في الفعل؛ يعني كأنه قال جل وعلا: والذين هم بربهم لا يفعلون شركا، أو لا يشركون لا بشرك أكبر، ولا أصغر، ولا خفي.

والذي لا يُشرك هو الموحد، فصار عندنا لازمٌ وهو أنَّ من لم يشرك أي نوع من أنواع الشرك، فإنه ما ترك الشرك إلا لتوحيده.

قال العلماء: قدّم هنا قوله **(بِرَبِّهِمْ)، (وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ)** لأن الربوبية تستلزم العبودية. فصار عدم الإشراك في الربوبية معناه عدم الإشراك في الطاعة وعدم الإشراك في العبودية، وهذا وصف الذين حققوا التوحيد؛ لأنه يلزم من عدم الإشراك ألاّ يُشرك هواه، وإذا أشرك المرء هواه أتى بالبدع أو أتى بالمعصية، فصار نفي الشرك نفيا للشرك بأنواعه، ونفيا للبدعة، ونفيا للمعصية، وهذا هو تحقيق التوحيد لله جل وعلا.

فإذن الآية دالة على ما ترجم به الإمـام رحمه الله من قوله (**باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حسـاب**)، وأولئك قال فيهم الله جل وعلا (**وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ).**

أمَّا الحديث فهو حديث طويل، وموضع الشاهد منه؛ قوله عليه الصلاة والسلام (**فَنَظَرْتُ. فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ. فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ. وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفاً يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلاَ عَذَابٍ»**

فنَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ. فَخَاضَ النّاسُ فِي أُولَئِكَ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلّهُمُ الّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللّهِ ﷺ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلّهُمُ الّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلاَمِ فَلَمْ يُشْرِكُوا بِالله. وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ.

فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ. فَقَالَ: «هُمُ الّذِينَ وَلاَ يَسْتَرْقُونَ. وَلاَ يَكْتَوُون. وَلاَ يَتَطَيّرُونَ. وَعَلَى رَبّهِمْ يَتَوَكّلُونَ») هذه في صفة الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وهذه صفة من صفاتهم، وتلك الصفة خاصة بهم لا يلتبس أمرهم بغيرهم؛ لأن هذه الصفة كالشامة يُعرفون بها.

من هم الذين حققوا التوحيد؟ قال **(هُمُ الّذِينَ وَلاَ يَسْتَرْقُونَ. وَلاَ يَكْتَوُون. وَلاَ يَتَطَيّرُونَ. [وَعَلَى رَبّهِمْ يَتَوَكّلُونَ])** فذكر أربع صفات:

- **الأولى** أنهم **(لاَ يَسْتَرْقُونَ)**: ومعنى (**لاَ يَسْتَرْقُونَ**) لا يطلبون الرقية، والطالب للرقية في قلبه ميل للراقي حتى يرفع ما به من جهة السبب. وهذا النفي **(لاَ يَسْتَرْقُونَ)**؛ لأن الناس في شأن الرقية تتعلق قلوبهم جدا أكثر من تعلقهم بالطب ونحوه، فالرقية عند العرب في الجاهلية -وهكذا حال أكثر الناس- لهم تعلُّقٌ بها، فالقلب يتعلق بالراقي، ويتعلق بالرقية، وهذا ينافي كمال التوكل على الله جل جلاله.

وأما ما جاء في بعض الروايات أنهم الذين (**لاَ يَرْقُون**) فهذا غلط؛ لأنّ الراقي محسن إلى غيره، وهي لفظة شاذة، والصواب ما جاء في هذه الرواية من أنهم الذين **(لاَ يَسْتَرْقُونَ)،** يعني لا يطلبون الرقية؛ وذلك لأن طالب الرقية يكون في قلبه ميل إلى هذا الذي رقاه وإلى الرقية، ونَوْعُ تَوَكُّلٍ أو نوع استرواحٍ لهذا الذي يَرقي أو للرقية.

- قال **(وَلاَ يَكْتَوُون)**: والكيُّ مكروه في أصله؛ لأن فيه تعذيبا بالنار، مع أنَّه مأذون به شرعا؛ لكن فيه كراهة. والعرب تعتقد أن الكيَّ يُحدث المقصود دائما، فلهذا تتعلق قلوبهم بالكي، فصار تعلق القلب بهذا الكي من جهة أنَّه سبب يؤثر دائما، ومعلوم أن الكيَّ يؤثر بإذن الله جلِ وعلا إذا اجتمعت الأسباب وانتفت الموانع. فالنفي لأجل أن في الكيِّ بخصوصه ما يتعلق الناس به من أجله.
- قال **(وَلاَ يَتَطَيّرُونَ)**: والطِّيَرَة شيء يعرض على القلب من جرَّاء شيء يحدث أمامه، إما أن يجعله يُقدم على أمرٍ، أو أن يُحجم عنه، وهذه صفة من لم يكن التوكل في قلبه عظيما.
- قال بعدها **(وَعَلَى رَبّهِمْ يَتَوَكّلُونَ):** وهي جامعة للصفات السابقة.

هذه الصفات لا يُعنى بذكرها أن الذين حققوا التوحيد لا يباشرون الأسباب، كما فهمه بعضهم من أن تحقيق التوحيد أو أن الكمال أن لا يباشر سببا البتة، أو أن لا يتداوى البتة، هذا غلط؛ لأن النبي رُقِيَ عليه الصلاة والسلام، ولأنه عليه الصلاة والسلام تداوى، وأمر بالتداوى، وأمر أيضا الصحابة بأن يكتوي ونحو ذلك، فليس فيه أن أولئك لا يباشرون الأسباب مطلقا، أو لا يباشرون الدواء، إنما فيها ذكر هذه الثلاث بخصوصها؛ لأنها يكثر تعلق القلب والتفاته إلى الراقي أو الكي أو الكاوي أو إلى التطير، ففيها إنقاص من التوكل.

أما التداوي فهو مشروع، إمّا واجب أو مستحب، وفي بعض الأحوال يكون مباحا، وقد قال النبي «**تداووا عباد الله ولا تتداووا بحرام**»، المقصود من هذا أن التداوي فعلاً ، يعني أن يفعل التداوي وأن يطلب الدواء، ليس خارما لتحقيق التوحيد؛ ولكن الذي هو من صفة أهل تحقيق التوحيد أنهم لا يسترقون -بخصوص الرقية-، ولا يكتوون -بخصوص الكيّ-، ولا يتطيرون، وأمّا ما عدا ذلك مما أُذِن به فلا يدخل فيما يختصّ به أهل تحقيق التوحيد.

فإذن يكون الأظهر **عندي**؛ مما في هذا الحديث أنه مخصوص بهذه الثلاثة (**لاَ يَسْتَرْقُونَ. وَلاَ يَكْتَوُون. وَلاَ يَتَطَيّرُونَ**)، أمّا الأسباب الأخرى المأذون بها فلا تدخل في صفة الذين حققوا التوحيد.

قال (**فَقَامَ عُكّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ. فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. قَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ» ثُمّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكّاشَةُ»**) هذا فيه دليل على أنّ أهل تحقيق التوحيد قليل، وليسوا بكثير؛ ولهذا جاء عديدهم في هذا الحديث بأنهم سبعون ألفا، قد جاء في بعض الروايات عند الإمـام أحمد وعند غيره, بأنّ الله جل وعلا أعطى النبي مع كل ألف من السبعين ألفا أعطاه سبعين ألفا, فيكون العدد قَرابة خمسة ملايين من هذه الأمـة، فإن كان ذلك الحديث صحيحا -وقد صحح إسناده بعض أهل العلم- فإنه لا يكون للعدد في هذا الحديث مفهوم، أو كان قبل سؤال النبي أن يُزاد في عدد أولئك الذين حققوا التوحيد.

مـا معنى أن يُزاد في عددهم؟ يعني أن الله جلّ وعلا يمنُّ على أناس من هذه الأمة أكثر من السبعين ألفا ممن سيأتون، فيوفقهم لعمل تحقيق التوحيد، والله جل وعلا هو الذي يوفق، وهو الذي يهدي، ثم هو الذي يجازي فما أعظمه من محسن، برّ، كريم، رحيم.

•

[الأسئلة]

[**س**/ من يوصي أحد بالبحث عن راق يرقي له، دون أن يطلب الرقية من الراقي بنفسه، هل هذا يدخل في الذين (**يَسْتَرْقُونَ**)؟

ج/ بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد للـه والصـلاة والسـلام علـى رسـول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد:

فإن قول النبي في وصف السبعين ألفا الذين يدخلون الجنـة بلا حسـاب ولا عذاب قال (**هُمُ الّذِينَ وَلاَ يَسْتَرْقُونَ**) يعنـي لا يطلبـون الرقيـة، وفَهْـم جواب السؤال يتبع فهـم التعليـل؛ ذلـك أن أولئـك كـانوا لا يسـترقون يعنـي لا يطلبون الرقية لأجل ما قام في قلوبهم من الإستغناء بالله وعدم الحاجة إلــى الخلق، ولم تتعلق قلوبهم بالخلق في هذا الأمر الذي سيرفع ما بهم.

وكما ذكرتُ لك أنّ مدار العلة على تعلـق القلـب بـالراقي أو بالرقيـة فـي رفع ما بالمرقي من أذى أو في دفع ما قد يُتوقع من السوء.

وعليه فيكون الحالان سواءً؛ يعني إن كـان طلـب بنفسـه أو طلـب بغيـره فإنه طالب، والقلب متعلق بمن طَلب منه الرقية إما بالأصالة أو بواسطة.][1]

•

[1] مأخوذ من الوجه الأول من الشريط الرابع من باب ما جاء في الرقى والتمائم.

باب الخوف من الشرك

وقول الله عز وجل: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾[1]

وقال الخليل عليه السلام: ﴿**وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ**﴾ [إبراهيم: 35]

وفي الحديث: «**أَخْوَفُ ما أخافُ عليكم الشركَ الأصغر**». فسئل عنه فقال: «**الرياء**».

وعن ابن مسعود [illegible] : «[illegible]». [illegible].

[illegible] : «[illegible]».

[illegible]

الباب الثالث الذي بعد (**باب من حقق التوحيد**) هو باب (**الخوف من الشرك**)، وكل من حقق التوحيد، فلا بد أن يخاف من الشرك، ولهذا سيدُ المحققين للتوحيد محمد عليه الصلاة والسلام كان يكثر من الدعاء، بأن يُبعَد عنه الشرك، وكذلك إبراهيم عليه السلام كان من الدعاء بأن لا يدركه الشرك أو عبادة الأصنام.

فمناسبة هذا الباب لما قبله ظاهرة؛ من أن تحقيق التوحيد عند أهله معه الخوف من الشرك، وقلَّ من يكون مخاطرا بتوحيده، أو غير خائف من الشرك ويكون على مراتب الكمال؛ بل لا يوجد، فكل محقق للتوحيد، كل راغب فيه، حريص عليه، يخاف من الشرك، وإذا خاف من الشرك فإنَّ الخوف -وهو فزع القلب، وهلعه، وهربه، من ذلك الشيء- فإن هذا الذي يخاف من الشرك سيسعى في البعد عنه.

والخوف من الشرك يُثمر ثمرات:

- منها أن يكون متعلما للشرك بأنواعه, حتى لا يقع فيه.
- ومنها أن يكون متعلما للتوحيد بأنواعه، حتى يقوم في قلبه الخوف من الشرك، ويَعْظُم، ويستمر على ذلك.
- ومنها أنّ الخائف من الشرك يكون قلبه دائما مستقيما على طاعة الله، مبتغيا مرضاة الله، فإن عصى، أو غفل، كان استغفاره استغفار من يعلم عِظم شأن الاستغفار، وعِظم حاجته للاستغفار؛ لأنّ الذين يستغفرون أنواع، لكن من علم حقَّ الله جل وعلا، وسعى في توحيده، وتعلّم ذلك، وسعى في الهرب من الشرك، فإنه إذا غفَل وجد أنه أشد ما يكون حاجةً إلى الاستغفار.

بهذا, لصلاح القلب بوّب الشيخ رحمه الله هذا الباب (**باب الخوف من الشرك**)، وكأنه قال لك إذا كنت تخاف من الشرك كما خاف منه إبراهيم عليه السلام، وكما توعّد الله أهل الشرك بأنه لا يغفر شركهم، فإذن تعلَّم ما

---

[1] النساء:48، 116.

سيأتي في هذا الكتاب، فإن هذا الكتاب إنما هو لأجل الخوف من الشرك، ولأجل تحقيق التوحيد.

فهذا الكتاب موضوعٌ لتحقيق التوحيد, وللخوف من الشرك والبعد عنه، فما بعد هذين البابين؛ باب من حقق التوحيد، وباب الخوف من الشرك, ما بعد ذلك تفصيل لهاتين المسألتين العظيمتين؛ تحقيق التوحيد، والخوف من الشرك ببيان معناه وبيان أنواعه.

ذكرتُ لك -فيما سبق- أن الشرك هو إشراك غير الله معه في نوع من أنواع العبادة، وقد يكون أكبر، وقد يكون أصغر، وقد يكون خفيا.

قال الشيخ رحمه الله (وقول الله عز وجل ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾) هذه الآية من سورة النساء فيها قوله (**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ**).

والمغفرة: هي السَّتر لما يُخاف وقوع أثره.

وفي اللغة: يقال عَفَرَ إذا سَتَرَ ومنه سُمِّي ما يوضع على الرأس مِغْفَرَة؛ لأنه يستر الرأس ويقيه الأثر المكروه من وقع السيف ونحوه على الرأس.

فمادة (المغفرة) راجعة إلى ستر الأثر الذي يُخاف منه، والشرك أو المعصية لها أثرها إمّا في الدنيا، وإمّا في الآخرة، أو فيهما جميعا، وأعظم ما يُمَنُّ به على العبد أن يُغفر ذنبه، وذلك بأن يُستر عليه، وأن يُمحى أثره، فلا يؤاخذ به في الدنيا، ولا يؤاخذ به في الآخرة، ولو لا المغفرة لهلك الناس.

قال جل وعلا هنا (**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ**)، (**لَا يَغْفِرُ**) يعني أبدًا، (**لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ**) يعني أنه بوعده هذا لم يجعل مغفرته لمن أشرك به.

قال هنا (**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ**):

هذا إبراهيم عليه السلام -كما هو في هذه الآية- خاف الشركَ، وخاف عبادَة الأصنام، فدعا الله بقوله: ﴿**وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ(35)رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ**﴾[إبراهيم:35-36]، فكيف بمن دون إبراهيم ممن ليس من السبعين ألفا وهم عامة هذه الأمة؟ والواقع أن عامة الأمة لا يخافون من الشرك، فمن الذي يخاف؟ هو الذي يسعى في تحقيق التوحيد.

قال إبراهيم التيمي رحمه الله -من سادات التابعين- لما تلا هذه الآية قال: **ومن يأمن البلاءَ بعد إبراهيم**. إذا كان إبراهيم عليه السلام هو الذي حقق التوحيد، وهو الذي وُصف بما وُصف به، وهو الذي كسر الأصنام بيده، ويخاف؟ فمن يأمن البلاء بعده؟

إذن ما ثمَّ إلا غرور وأهل الغرور, وهذا يوجب الخوف الشديد، لأنه ما أُعطي إبراهيم الضمانَ على أن لا يُشرك، وعلى أن لا يزيغ قلبه، مع أنه سيد المحققين للتوحيد في زمانه؛ بل وبعد زمانه إلى نبينا ﷺ فهو سيد ولد آدم، ومع ذلك خاف.

قوله هنا (**وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ**)، (**الْأَصْنَامَ**) جمع صنم.

و**الصنم:** هو ما كان على صورة مما يُعبد من دون الله، يُصوِّر صورة على شكل وجه رجل، أو على شكل جسم حيوان، أو رأس حيوان، أو على شكل صورة كوكب أو نجم، أو على شكل الشمس و القمر ونحو ذلك، فإذا صور صورة فتلك الصورة يُقال لها صنم.

و**الوثن**: هو ما عُبد من دون الله مما هو ليس على شكل صورة؛ فالقبر وثن وليس بصنم, ومشاهد القبور عند عُبَّادها هذه أوثان وليست بأصنام، وقد يُطلق على الصنم أنه وثن كما قال جل وعلا في قصة إبراهيم في صورة العنكبوت ﴿**إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا**﴾[العنكبوت:17], قد يُطلق على قلة، وقال بعض أهل العلم هم عبدوا الأصنام، وعبدوا الأوثان جميعا، فصار في بعض الآيات ذكر الأصنام لعبادتهم الأصنام، وفي بعض الآيات ذكر الأوثان لعبادتهم الأوثان, والأول أظهر؛ لأنه قد يُطلق على الصنم أنه وثن، ولهذا قال النبي ﷺ «**اللَّهُمّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً يُعْبَدُ**» فدعا لله ألاّ يجعل قبره وثنا، فصار الوثن ما يعبد من دون الله, مما ليس على هيئة صورة.

قال رحمه الله (وفي الحديث: «**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**». فسئل عنه فقال: «**الرياء**») الرياء قسمان: رياء المسلم ورياء المنافق.

<u>رياء المنافق</u>: رياء في أصل الدين، يعني رَاءَ بإظهار الإسلام وأبطَنَ الكفر, ﴿**يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾[النساء:142].

<u>ورياء المسلم الموحد</u>: أن يُحَسِّنَ صلاته من أجل نظر الرجل، أو أن يُحَسِّنَ تلاوته لأجل التسميع؛ أن يُمدح ويُسمَّع لا لأجل التأثير. فالرياء مشتق من الرؤية[1]، [فما كان من جهة الرؤية، يعني: أن يحسن عبادة لأجل أن يُرَى من المتعبدين، يطيل في صلاته، يطيل في ركوعه في سجوده، يقرأ في صلاته أكثر من العادة من أجل أن يُرَى ذلك منه، يقوم الليل لأجل أن يقول الناس عنه أنه يقوم الليل، هذا شرك أصغر.

والشرك الأصغر هذا الذي هو الرياء: قد يكون محبطا لأصل العمل الذي تعبد به، وقد يكون محبطا للزيادة التي زادها:][2]

- فيكون محبطا لأصل العمل الذي تعبَّد به إذا ابتدأ النية بالرياء؛ يعني فيما لو صلى دخل الصلاة لأجل أن يُرى أنه يصلي، ليس عنده رغبة في أن يصلي الراتبة، لكن لما رأى أنه يُرى ولأجل أن يُمدح بما يراه الناس منه صلى، فهذا عمله يعني تلك الصلاة حابطة ليس له فيها ثواب.
- وإن جاء الرياء في أثناء العبادة، فإن ما زاده لأجل الرؤية يبطل كما قال عليه الصلاة والسلام «**قَالَ اللّهُ تَعَالَىَ: أَنَا أَغْنَىَ الشّرَكَاءِ عَنِ الشّرْكِ. مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي, تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**».

الشاهد من الحديث قوله عليه الصلاة والسلام (**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**) هو أخوف الذنوب التي خافها النبي عليه الصلاة والسلام على أهل التوحيد؛ لأنهم ما داموا أهل توحيد فإنهم ليسوا من أهل الشرك الأكبر, فبقي ما يُخاف عليهم الشرك الأصغر, والشرك الأصغر تارة يكون في النِّيَّات، وتارة يكون في الأقوال, وتارة يكون في الأعمال, يعني في القلب

---

[1] انتهى الوجه الأول من الشريط الثاني.

[2] سقط من الأشرطة، وقد نقلته عن تفريغ جامع ابن تيمية.

يكون الشرك الأصغر وفي المقال وفي الفعال أيضا, وسيأتي في هذا الكتاب بيان أصناف من كلٍّ واحدة من هذه الثلاث.

إذن النبي عليه الصلاة والسلام قال (**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**) فهو أخوف الذنوب على هذه الأمة, لماذا خافه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ وكان أعظم الذنوب خوفا؟ لأجل أثره وهو أنه لا يغفر، ولأجل أن الناس قد يغفلون عنه, فلهذا خافه عليهم عليه الصلاة والسلام, والشيطان حرصه على أهل التوحيد أن يدخل فيهم الشرك الأصغر من جهة الرياء، ومن جهة الأقوال والأعمال والنيات، أعظم من فرحه بغير ذلك من الذنوب.

بعد ذلك ساق حديث ابن مسعود قال (وعن ابن مسعود ، أن رسول الله قال: «**من ماتَ وهوَ يَدعو من دون اللّهِ نِدّاً دخلَ النار**») وجه الاستدلال منه أنه قال (**من ماتَ وهوَ يَدعو من دون اللّهِ نِدّاً**) **و**دعوة النِّد من دون الله من الشرك الأكبر؛ لأن الدعاء عبادة, وهو أعظم العبادة، فقد جاء في الحديث الصحيح «**الدعـاء هو العبادة**» وفي معناه حديث أنس في السنن «**الدعـاء مخ العبادة**» فهو أعظم أنواع العبادة، فمن مات وهو يصرف هذه العبادة أو شيئا منها لغير الله -ند من الأنداد- فقد استوجب النار.

وقوله (**دخل النار**) يعني كحال الكفار خالدا فيها؛ لأن الشرك الأكبر إذا وقع من المسلم فإنه ولو كان أصلح الصالحين يُحبِط العمل، قد قال جل وعلا لنبيه﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنْ الْخَاسِرِينَ**(65)**بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾[الزمر:65-66]، فلو أشرك النبي عليه الصلاة والسلام -فإن الله عظيم والله أكبر وخلقه هم المحتاجون إليه، العبيد له سبحانه- فلو أشرك النبي عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ لحِبط عمله ولكان في الآخرة من الخاسرين، أفلا يوجب هذا الخوف منه ودونه ممن يدّعي الصلاح والعلم من الشرك؟ بل قد شاع في هذه الأمة أن بعض المنتسبين إلى العلم يدعو إلى الشرك ويحض عليه ويبغّض ويكرّه في التوحيد، وهذا كما قال الله جلّ علا عن أسلافهم ﴿**وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ**﴾[الزمر:45].

فإذن وجه الاستدلال ظاهر, (**من ماتَ وهوَ يَدعو من دون اللّهِ نِدّاً دخلَ النار**)، وذلك يوجب الخوف لأن قصد المسلم بل قصد العاقل أن يكون ناجيا من النار ومتعرّضا لثواب الله بالجنة.

لفظ (**من دون الله**) يكثر في القرآن والسنة، و(**من دون الله**) عند علماء التفسير وعلماء التحقيق يراد بها شيئان:

<u>الأول</u>: أن تكون بمعنى (مع)، (**من دون اللّهِ**) يعني مع الله، وعبَّر عن المعية بلفظ (**من دون اللّهِ**) لأن كل من دُعِيَ مع الله فهو دون الله جل وعلا فهم دونه، والله جل وعلا هو الأكبر هو العظيم وفي هذا دليل على بشاعة عمله.

والثاني: أن قوله (**من دون اللّهِ**) يعني غير الله؛ (**من ماتَ وهوَ يَدعو من دون اللّهِ**) يعني وهو يدعو إلـها غير الله، فتكون (**من دون اللّهِ**) يعني أنه لم يعبد الله وأشرك معه غيره؛ بل دعا غيره استقلالا، فشملت من دون الله الحالين: من دعا الله ودعا غيره، ومن دعا غير الله وتوجه إليه استقلالا.

قال (ورواه البخاري).

(ولمسلم عن جابر أن رسول الله قال: «**مَنْ لَقِيَ الله لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئا دَخَلَ الْجَنّةَ, وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئا دَخَلَ النّارَ**»). (**مَنْ لَقِيَ الله لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئا**) ذكرت لكم بالأمس أن قوله أن قوله (**لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئا**) هذا فيه نوعان من العموم:

- عموم في أنواع الشرك, فهي منفية.
- وعموم في المتوجَّه إليهم في المشرَك بهم في قوله (**شَيْئا**).

(**مَنْ لَقِيَ الله لاَ يُشْرِكُ**) يعني بأي أنواع من الشرك.

(**بِهِ شَيْئا**) يعني لم يتوجه إلى أي أحد, لا لملك ولا لنبي ولا لصالح ولا لجني ولا لطالح ولا لحجر ولا لشجر إلى غير ذلك.

(**دَخَلَ الْجَنّةَ**) يعني أنَّ الله جل وعلا وعده بدخول الجنة برحمته سبحانه وتفضُّله وبوعده الصادق الذي لا يخلَف.

قال (**وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئا دَخَلَ النّارَ**) فكل مشرك متوعَّد بالنار؛ بل وجه الدلالة كما يستقيم مع استدلال الشيخ بالآية بأن من لقي الله وهو على شيء من الشرك الأكبر أو الأصغر أو الخفي فإنه سينال العقوبة والعذاب في النار والعياذ بالله.

قال (**وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئا**) هذه فيها عموم أيضا كما ذكرنا؛ لأن (**مَنْ**) شرطية و(**يُشْرِكُ**) فيها نكرة وهي عامة لأنواع الشرك و(**شَيْئا**) عامة في المتوجه إليه.

(**مَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئا دَخَلَ النّارَ**) وهنا دخول النار هل هو أبدي أم أمدي؟ بحسب الشرك:

- فإن كان الشرك أكبر ومات عليه فإنه يدخل النار دخولا أبديا.
- وإن كان الشرك ما دون الشرك الأكبر أصغر أو خفي فإنه متوعد بالنار وسيدخل النار ويخرج منها لأنه من أهل التوحيد.

هل يدخل الشرك الأصغر في الموازنة أم لا؟ ذكرت لك في أول الدرس أن الشرك الأصغر يدخل في الموازنة؛ موازنة الحسنات والسيئات، وأنه إذا رَجَحت حسناته أنه لا يعذَّب على الشرك الأصغر؛ لكن هذا ليس في كل الخلق؛ لكن منهم من يعذب على الشرك الأصغر لأن الموازنة بين الحسنات والسيئات ليست في كل الخَلْق وليست في كل الذنوب؛ بل قد يكون من الذنوب ما يستوجب النار ولو رَجَحت الحسنات على السيِّئات، فإنه يستوجب الجنة ولكن لابد من أن يطهَّر في النار.

وهذا دليل على وجوب الخوف من الشرك؛ لأن مَنْ لَقِيَ الله يُشْرِكُ بِهِ شَيْئا دَخَلَ النّارَ, إذا كان كذلك وهذا يشمل الشرك الأكبر و الأصغر و الخفي فإن المرء يجب عليه أن يهرَب أشد الهرب من ذلك.

والشرك الأصغر والخفي يستعيذ المرء بالله جل وعلا منه, ويقول: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئا أعلمه، وأستغفرك مما لا أعلم. لأنه إذا علم فأشرك فإنه سيترتب الأثر الذي ذكرناه وهو عدم المغفرة ففي هذا الدعاء الذي علمناه رسول الله فيه التفريق بين الشرك الأصغر مع العلم والشرك الأصغر مع الجهل, فقال: أعوذ بك أن أشرك بك شيئا أعلمه؛ لأن أمر الشرك الأصغر مع العلم عظيم, فيستعيذ المرء بالله من أن يشرك شركا أصغرا وما هو أعلى منه من باب أولى وهو يعلم، وقال: وأستغفرك مما لا أعلم, لأن المرء قد يكون شيئا على فلتات لسانه وهو لا يعلم ولم يقصد ذلك ويستغفر الله جل وعلا منه.

هذا يدلكم على أن الشرك أمره عظيم، ولا يتهاون أحد بهذا الأمر لأن من تهاون بالشرك وبالتوحيد فإنه تهاون بأصل دين الإسلام؛ بل تهاون بدعوة النبي في مكة سنين عددا؛ بل تهاون بدعوة الأنبياء والمرسلين فإنهم اجتمعوا على شيء ألا وهو العقيدة وهو توحيد العبادة والربوبية والأسماء والصفات، وأما الشرائع فشتى.

ولهذا الحذر كل الحذر من الشرك بأنواعه وأن تتعلم ضدَّه، وأن تتعلم أيضا أفراد الشرك وأفراد التوحيد، وإنما يستقيم العلم بذلك إذا تعلمت الأفراد، أمّا التعلم الإجمالي لذلك فهذا -كما يقال- نحن على الفطرة لكن إذا أتت الأفراد ربما رأيت بعض الناس فيما بين ظهرانيكم يخوضون في بعض الأقوال أو الأعمال التي هي من جنس الشرك وهم لا يشعرون؛ وذلك لعدم خوفهم وهربهم من الشرك.

نسأل الله جل وعلا العفو والعافية.

فإذن احرص على تعلم هذا الكتاب ومدارسته، وعلى كثرة مذاكرته، وفهم ما فيه من الحجج والبيّنات؛ لأنه هو خير ما يكون في صدرك بعد كتاب الله جل وعلا وسنة نبيه ؛ لأن به إن شاء الله سببا عظيما من أسباب النجاة والفلاح.

هذا وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد.

•

باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف:108].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له «

بوَّب الشيخ رحمه بهذا الباب ليدل على أن من تمام الخوف من الشرك ومن تمام التوحيد أن يدعو المرء إلى التوحيد، فإنه لا يتم في القلب حتى تدعو إليه، وهذه حقيقة شهادة أن لا إله إلاَّ الله؛ لأن الدعوة إلى شهادة أنْ لا إله إلاَّ الله عُلمت حيث شهد العبد المسلم لله بالوحدانية.

قال: أشهد أن لا إله إلاَّ الله. وشهادته معناها اعتقاده ونُطْقه وإخباره الغير بما دلت عليه، فلابد إذن في حقيقة الشهادة وفي تمامها من أن يكون المرء من أن يكون المكلَّف الموحد داعيا إلى التوحيد.

لهذا ناسب أن يذكر هذا الباب بعد الأبواب قبله.

ثم له مناسبة أخرى لطيفة وهي: أنّ ما بعد هذا الباب هو تفسيرٌ للتوحيد وبيان أفراده، وتفسير للشرك وبيان أفراده، فيكون -إذن- الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلاَّ الله، الدعوة إلى التوحيد دعوة إلى تفاصيل ذلك، وهذا من المهمات؛ لأن كثيرين من المنتسبين للعلم من أهل الأمصار يسلِّمون بالدعوة إلى التوحيد إجمالا؛ ولكن إذا أتى التفصيل في بيان مسائل التوحيد، أو جاء التفصيل لبيان أفراد الشرك فإنهم يخالفون في ذلك وتغلبهم نفوسهم في مواجهة الناس في حقائق أفراد التوحيد وأفراد الشرك.

إذن فالذي تميزت به هذه الدعوة؛ دعوة الإمـام المصلح رحمه الله أنَّ الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلاَّ الله دعوة تفصيلية ليست إجمالية، أمَّا الإجمال فيدعوا إليه كثيرون؛ نهتم بالتوحيد ونبرأ من الشرك؛ لكن لا يذكرون تفاصيل ذلك، والذي ذكره الإمـام رحمه الله في بعض رسائله أنه لما عَرَضَ

هذا الأمر يعني الدعوة إلى التوحيد عرضه على علماء الأمصار قال: وافقوني على ما قلت وخالفوني في مسألتين في مسألة التكفير وفي مسألة القتال. وهاتان المسألتان سبب المخالفة مخالفة أولئك العلماء فيها أنهما فرعان ومتفرعتان عن البيان والدعوة إلى أفراد التوحيد والنهي عن أفراد الشرك.

إذن الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلاَّ الله هو الدعاء إلى ما دلَّت عليه من التوحيد، والدعاء إلى ما دلَّت عليه من نفي الشريك في العبادة وفي الربوبية وفي الأسماء والصفات عن الله جل وعلا.

وهذه الدعوة دعوة تفصيلية لا إجمالية، ولهذا فصَّل الإمـام رحمه الله في هذا الكتاب أنواع التوحيد وأفراد توحيد العبادة، وفصَّل الشرك الأكبر والأصغر وبين أفرادا من ذا وذاك.

يأتي تفسير شهادة أن لا إله إلاَّ الله في الباب الذي بعده؛ لأنه باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلاَّ الله.

قال رحمه الله (وقول الله تعالى﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ**﴾[يوسف: 108]) هذه الآية من آخر سورة يوسف هي في الدعوة إلى الله، وسورة يوسف كما هو معلوم مِن تأملها في الدعوة إلى الله من أولها إلى آخرها؛ موضوعها الدعوة، ولهذا جاء في آخرها قواعد مهمة في حال الدعاة إلى الله وحال الرسل الذين دعوا إلى الله، وما خالف به الأكثرون الرسل، واستيئاس الرسل من نصرهم، ونحو ذلك من أحوال الدعاة إلى الله.

في آخر تلك السورة, قال الله جل وعلا لنبيه (**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ**)، (**هَذِهِ سَبِيلِي**) أنني أدعو إلى الله، فمهمة الرسل هي الدعوة إلى الله جل وعلا, (**هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ**) وأحسن الأقوال قول من دعا إلى الله وأحسن الأعمال عمل من دعا إلى الله جل وعلا، ولهذا قال سبحانه ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنْ الْمُسْلِمِينَ**﴾[فصلت:33]، قال الحسن البصري رحمه الله في تفسير هذه الآية ما معناه قال: هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله من خلقه أجاب الله في دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، هذا حبيب الله. وهذا أمر عظيم في أن الداعي إلى الله هو أحسن أهل الأقوال قولا، (**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنْ الْمُسْلِمِينَ**).

قال جل وعلا هنا(**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ**)، قوله (**أَدْعُو إِلَى اللَّهِ**) هذا موطن الشاهد فإنه دعاء إلى الله جل وعلا لا إلى غيره، وهذه فيها فائدتان:

<u>الأولى</u>: أن الدعوة إلى الله دعوة إلى توحيده, دعوة إلى دينه، كما سيأتي تفسير هذه الكلمة في الحديثين بعدها؛ حديث ابن عباس بإرسال معاذ إلى اليمن، وحديث سهل بن سعد في إعطاء عليٍّ الراية.

الثانية: أن في قوله (**أَدْعُو إِلَى اللَّهِ**) التنبيه على الإخلاص، وهذا يحتاجه من أراد الدعاء إلى شهادة أن لا إلـه إلاَّ الله والدعاء إلى الإسلام؛ يعني الدعوة إلى الإسلام، يحتاج أن يكون مخلصا في ذلك، ولهذا قال الشيخ رحمه الله في مسائل هذا الباب: في قوله (**إِلَى اللَّهِ**) تنبيه على الإخلاص لأن كثيرين وإن دعوا إلى الحق فإنما يدعون إلى أنفسهم، أو نحو ذلك.

قال (**عَلَى بَصِيرَةٍ**) والبصيرة هي العلم؛ البصيرة للقلب كالبصر للعين يبصر بها المعلومات والحقائق، فكما أنك بالعين تُبصر الأجرام والذوات, فالمعلومات تُبصَر بالبصيرة؛ بصيرة القلب والعقل، يعني أنه دعا على علم وعلى يقين وعلى معرفة لم يدعُ إلى الله على جهالة.

قال(**أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي**) يعني أدعو أنا إلى الله ومن اتبعني ممن أجاب دعوتي فإنهم يدعون إلى الله أيضا على بصيرة، وهذا أيضا من مناسبة إيراد الآية تحت هذا الباب لأن من اتبع النبي يدعون إلى الله.

فإذن المتبعون للرسول عليه الصلاة والسلام الموحدون لابد لهم من الدعوة إلى الله؛ بل هذه صفتهم التي أمر الله نبيه أن يُخبر عن صفته وعن صفتهم، قال (**قُلْ**) يعني يا محمد, (**هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي**) فهذه إذن خصلة أتباع الأنبياء أنهم لم يخافوا من الشرك فحسب، ولم يعلموا التوحيد ويعملوا به فحسب؛ بل أنهم دعوا إلى ذلك.

وهذا أمر حتمي؛ لأن من عرف عِظم حق الله جل وعلا فإنه يغار على حق الرب سبحانه وتعالى، يغار على حق مولاه، يغار على حق من أحبه فوق كل محبوب أن يكون توجُّه الخلق إلى غيره بنوع من أنواع التوجهات، فلابد -إذن- أن يدعو إلى أصل الدين وأصل الملة الذي اجتمعت عليه الأنبياء والمرسلون ألا وهو توحيده جل وعلا في عبادته وفي ربوبيته وفي أسمائه وصفاته جل وعلا وعزَّ سبحانه.

ثم ساق الإمـام رحمه الله حديث ابن عباس انه قال(لما بعث معاذاً إلى اليمن، قال له «**إنّكَ تَأْتِي قَوْماً أَهْلَ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاّ اللهِ** (وفي رواية: **إلى أن يوحِّدوا الله**)**»**) هذا موطن الشاهد وهو أن النبي أمر معاذا إذا دعا أن يكون أول الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلاَّ الله، وفسَّرتها الرواية الأخرى للبخاري في كتاب التوحيد من صحيحه قال **(إلى أن يوحِّدوا الله)** فشهادة أن لا إله إلا الله الدعوة إليها مأمور بها، وهي الدعوة إلى التوحيد، فالنبي عليه الصلاة والسلام أمر معاذا أن يدعو أهل اليمن وهم من أهل الكتاب؛ يعني من أهل الكتاب الذي هو التوراة والإنجيل؛ بعضهم يهود وبعضهم نصارى، أمَّا المشركون فهم فيهم قليل؛ بل أكثرهم على أحد اتباع الملتين.

قال العلماء في قوله عليه الصلاة والسلام له (**إنّكَ تَأْتِي قَوْماً أَهْلَ كِتَابٍ**) فيه توطين وفيه توطئة للنفس أن يُهيئ نفسه لمناظرتهم، ومعاذ بن جبل من العلماء بدين الإسلام ومن علماء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، فقال

له عليه الصلاة والسلام ذلك ليهيئ نفسه لمناظرتهم ولدعوتهم، ثم أمره أن يكون أول الدعوة إلى أن يوحدوا الله جل وعلا.

في قوله هنا (**فَلْيَكُنْ أوّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاّ الله**) هذه تقرأ على وجهين:

 الأول: (**فَلْيَكُنْ أَوّلُ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاّ الله**)، فتكون (**أَوّلُ**) اسم (**يَكُنْ**) وتكون (**شَهَادَةَ**) هي الخبر، وهذا من جهة المعنى معناه: أنه أخبره عن الأولية، فابتدأ بالأولية ثم أخبره بذلك الأول.

 والضبط الثاني أو القراءة الثانية أن تقرأها هكذا (**فَلْيَكُنْ أَوّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاّ الله**) فيكون (**أَوّلَ**) خبر (**يَكُنْ**) مقدم و(**شَهَادَةُ**) اسم (**يَكُنْ**) مؤخر مرفوع، وهذا معناه الإخبار عن الشهادة بأنها أول مـا يدعا إليه.

وهذان الوجهان جائزان والمشهور هو الوجه الثاني هذا بِجَعِل (**أَوّلَ**) منصوبة؛ وذلك لأنّ مقام ذكر الشهادة والابتداء بها هو الأعظم وهو المقصود ليلتفت السامع والمتلقي وهو معاذ إلى ما يراد أن يخبر عنه من جهة الشهادة.

فإذن موطن الشاهد من هذا الحديث ومناسبة إيراد هذا الحديث في الباب هو ذكر أنَّ أول ما يدعا إليه هو التوحيد وهو شـهادة أن لا إله إلا الله.

ثم ساق أيضا حديث سهل بن سعد الذي في الصحيحين (**أن النبي قال يوم خيبر «أعطِينّ الرايةَ غداً رجلاً يُحِبّ اللهَ ورسوله ويُحبّه اللهُ ورسولهُ يَفتحُ اللهُ على يديهِ»**. **فباتَ الناسُ يَدوكون ليلَتهم**) باتَ, البيتوتة هي المُكث في الليل معه نوم أو ليس معه نوم؛ (**باتَ الناسُ يَدوكون ليلَتهم**) يعني يخوضون في تلك الليلة, باتوا يعني ظلوا ليلا يتحدثون من دون نوم لشدة الفضل الذي ذكره عليه الصلاة والسلام.

قال(**فلما أصبحوا الناسُ غَدَوا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يُعطاها, فقال: «أينَ عليّ بن أبي طالب؟» فقيل: هو يَشتكي عينَيهِ: فأرسلوا إليه. فأوتي به فبَصَقَ في عينَيه, ثُمَّ دَعَا لَهُ فَبَرَأ كأنْ لم يكنْ به وَجَع, فأعطاهُ الراية, فقال: «انفُذْ على رِسْلِكَ حتى تنزلَ بساحَتهم, ثم ادُعهم إلى الإسلام**) هذا موطن الشاهد، والمناسبة في إيراد هذا الحديث في الباب قال (**ثم ادُعهم إلى الإسلام, وَأَخْبِرْهُم بما يَجِبُ عليهم من حقّ اللّهِ تعالى فيه**) الدعوة إلى الإسلام هي الدعوة إلى التوحيد؛ لأن أعظم أركان الإسلام شـهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وضَمَّ إليها عليه الصلاة والسلام أن يدعوهم أيضا إلى حق الله فيه؛ يعني إلى ما يجب عليهم من حق الله فيه، قال(**وَأَخْبِرْهُم بما يَجِبُ عليهم من حقّ اللّهِ فيه**) يعني في الإسلام من جهة التوحيد، ومن جهة الفرائض واجتناب المحرَّمات، ولهذا كانت الدعوة إلى الإسلام يجب أن تكون في أصله وهو التوحيد وبيان معنى الشهادتين، ثم بيان المحرمات والواجبات؛ لأن أصل الأصول هو المقدَّم فهو أول واجب.

لاحظ أن الآية آية سورة يوسف فيها بيان أن كل الصحابة دعاة إلى الله جل وعلا دعاة إلى التوحيد.

وحديث معاذ فيه أن معاذا كان من الدعاة إلى الله، وفُصِّل فيه نوع تلك الدعوة إلى الله جل وعلا.

وكذلك حديث سهل بن سعد الذي فيه قصة علي فيه الدعوة إلى الإسلام.

فيكون هذان الحديثان كالتفصيل في قوله في الآية (**أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي**)، فالدعوة على بصيرة هي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله, إلى أن يوحدوا الله, الدعوة إلى الإسلام وما يجب على العِباد من حق الله فيه.[1]

•

باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى **أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا**[الإسراء: 57].

قوله تعالى **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ(26)إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِي(27)وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** [الزخرف:26-28].

وقوله: **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ**[التوبة: 31].

وقوله: **وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ**[البقرة:165].

وفي الصحيح عن النبي : أنه قال: «**مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ, وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ** ... **اللَّهِ, حَرَمَ** ... **وَدَمُهُ وَحِسَابُهُ عَلَى** ... **عز وجل**». وشرح هذه الترجمة ... بعدها ...

[الشرح]

(**باب تفسير التوحيد وشهادةِ أن لا إله إلا الله**), مرَّ معنا أنَّ التوحيد هو شهادة أن لا إله إلا الله، ولهذا قال العلماء: العطف هنا: (**التوحيد** و**شهادة أن لا اله إلا الله**) هذا من عطف المترادفات؛ ولكن هذا فيه نظر من جهة أن التَّرادف غير موجود -الترادف الكامل-، لكن الترادف الناقص موجود.

فإذن فهو من قبيل عطف المترادفات بمعناها واحد؛ لكن يختلف بعضها عن بعض في بعض المعنى.

فالتوحيد مر معنا تعريفه في أول الكتاب، وقوله (**باب تفسير التوحيد**) يعني الكشف والإيضاح عن معنى التوحيد.

فقد قلت لك إن التوحيد: هو اعتقاد أن الله جل وعلا:

- واحد في ربوبيته لا شريك له.

---

[1] انتهى الشريط الثاني.

- واحد في ألوهيته لا ند له.
- واحد في أسمائه وصفاته لا مِثْل له سبحانه و تعالى، قال جل وعلا﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[الشورى:11].

ويشمل ذلك أنواع التوحيد جميعا، فإذن التوحيد اعتقاد أن الله واحد في هذه الثلاثة أشياء.

(**وشهادة أن لا إله إلا الله**) يعني تفسير شهادة أن لا إله إلا الله، هذه الشهادة أعظم كلمة قالها مكلّف ولا شيء أعظم منها؛ وذلك لأن معناها هو الذي قامت عليه الأرض والسماوات، وما تعبَّد المتعبدون إلا لتحقيقها ولامتثالها.

شهادة أن لا إله إلا الله. الشهادة:

- تارة تكون شهادة حضور وبصر.
- وتارة تكون شهادة علم.

يعني يشهد على شيء حضرَه ورآه أو يشهد على شيء علمه.

هذان نوعان بمعنى الشهادة، فإذا قال قائل: أشهد. فيحتمل أنه سيأتي بشيء رآه أو بشيء علمه.

وأشهد أن لا إله إلا الله هذه شهادة علمية، ولهذا في قوله: أشهد. العلم.

والشهادة في اللغة وفي الشرع وفي تفاسير السلف لآي القرآن التي فيها لفظ (شَهِدَ) كقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[آل عمران:18]، وكقوله: ﴿مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[الزخرف:86] (شَهِدَ) تتضمن أشياء:

<u>الأول الاعتقاد بما سينطق به</u>: الاعتقاد بما شهده؛ شهد أن لا إلـه إلاَّ الله؛ يعني اعتقد بقلبه معنى هذه الكلمة، وهذا فيه العلم وفيه اليقين؛ لأن الشهادة فيها الاعتقاد، والاعتقاد لا يسمى اعتقادا إلاَّ إذا كان ثمَّ علم ويقين.

<u>الثاني التكلم بها</u> ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ﴾ [آل عمران:18]، صار اعتقادا وصار أيضا إعلاما ونطقا بها.

<u>والثالث الإخبار بذلك والإعلام به</u>: فيَنطقه بلسانه من جهة الواجب، وأيضا لا يسمى شاهدا حتى يخبر غيره بما شهد.

هذا من جهة الشهادة.

فإذن يكون أشهد أن لا إله إلاَّ الله معناها: أعتقد وأتكلم وأعلم وأخبر بأن لا إله إلا الله، فافترقت -إذن- عن حال الاعتقاد، وافترقت -إذن- عن حال القول، وافترت -إذن- عن حال الإخبار المجرد عن الاعتقاد، فلا بد من الثلاثة مجتمعة.

ولهذا نقول في الإيمان أنه اعتقاد الجنان وقول اللسان وعمل الجوارح والأركان.

لا إله إلاَّ الله هذه هي كلمة التوحيد وهي مشتملة من حيث الألفاظ على أربعة ألفاظ:

الأول: **لا**، الثاني: **إله**. الثالث: **إلاَّ**. الرابع لفظ الجلالة: **الله.**

أمَّا (**لا**) هنا فهي النافية للجنس؛ تنفي جنس استحقاق الألوهية عن أحد إلاَّ الله جل وعلا, يعني في ذا السياق.

وإذا أتى بعد النفي (**إلاَّ**) -وهي أداة الاستثناء- صارت تفيد معنىً زائدا وهو الحصر والقصر.

فيكون المعنى: الإلـهية الحقة أو الإلـه الحق هو الله بالحصر والقصر، ليس ثمَّ إلـه حق إلاَّ هو دون من سواه.

وكلمة (**إلـه**) من جهة الوزن فِعَال، قالوا: فعال تأتي أحيانا بمعنى فاعِل وتأتي أحيانا بمعنى مفعول.

وننظر هنا فنجد كلمة (أَلَهَ) في اللغة بمعنى عَبَدَ.

وقال بعض اللغويين أَلَهَ, يألَهُ فلان إذا تحيَّر، وسُمي عندهم الإله إلـها؛ لأنّ الألباب تحيَّرت في كنه وصفه وكنه حقيقته. وهذا القول ليس بجيد.

بل الصواب كلمة **إلـه** فِعَال بمعنى مفعول يعني المعبود فإله مهناها المعبود، ويدل على ذلك ما جاء في قراءة ابن عباس أنه قرأ في سورة الأعراف ﴿**أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وإلـهَتَكَ**﴾ [الأعراف:127] كان ابن عباس يقرؤها هكذا (**وَيَذَرَكَ وإلـهَتَك**)، قال: لأن فرعون كان يُعبد ولم يكن يَعبد فصوب القراءة بـ(**وَيَذَرَكَ وإلـهَتَك**) بمعنى وعبادتك، وقراءتنا وهي قراءة السبعة (**وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ**) يعني المتقدمين.

فهذا معناه أن ابن عباس فهم الإلهة معنى العبادة، قد قال الراجز في شعره المعروف الذي ذكرته لكم من قبل:

لله درّ الغانيات المـُـدّهِ ... **سبّحن واستر... من ت...**

يعني من عبادتي.

فإذن يكون الإله هو المعبود، لا إلـه يعني لا معبود، إلا الله، هنا لا معبود، لا النافية للجنس كما تعلمون تحتاج إلى اسم وخبر؛ لأنها تعمل عمل إنَّ؛

عَمَلَ إِنَّ اجْعَلْ لِلا في نَكِرَه ....

فأين خبر لا النافية للجنس؟ كثير الناس من المنتسبين للعلم قدَّرُوا الخبر: لا إله موجود إلا الله.

وهذا يحتاج إلى مقدمة قبله وهو أن المتكلمين الأشاعرة والمعتزلة ومن ورثوا علوم اليونان قالوا: إن كلمة (إلـه) هي بمعنى فاعل؛ لأن فِعَال تأتي بمعنى مفعول أو فاعل، فقالوا هي بمعنى آلِـهْ والآلِـهُ هو القادر، ففسروا الإلـه بأنه القادر الاختراع، ولهذا تجد في عقائد الأشاعرة ما هو مسطور في شرح العقيدة السَّنوسية التي تسمى عندهم بأم البراهين قال مانصه فيها: الإله هو المستغني عما سواه المفتقر إليه كل ما عداه. قال فمعنى لا اله إلا الله لا مستغنيا عما سواه و لا مفتقرا إليه كل ما عداه إلا الله، ففسروا الألوهية بالربوبية، وفسروا الإلـه بالقادر على الاختراع أو بالمستغني عما سواه المفتقر إليه كل ما عداه.

وبالتالي يقدرون الخبرموجود لا إله موجود؛ يعني لا قادر على الاختراع والخلق موجود إلا الله, لا مستغنيا عما سواه ولا مفتقرا إليه كل ما عداه موجود إلا الله؛ لأن الخلق جميعا محتاجون إلى غيرهم.

وهذا الذي قالوه هو الذي فتح باب الشرك في المسلمين؛ لأنهم ظنوا أن التوحيد هو إفراد الله بالربوبية، فإذا اعتقد أن القادر على الاختراع هو الله وحده صار موحدا، إذا اعتقد أن المستغني عما سواه والمفتقر إليه كل ما عداه هو الله وحده صار عندهم موحدا، وهذا من أبطل الباطل أين حال مشركي قريش الذين قال جل وعلا فيهم ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾[العنكبوت:61] وفي آية أخرى﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ**﴾[الزخرف:9]، ونحو ذلك من الآيات وهي كثيرة كقوله ﴿**قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ** (31) **فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ**﴾[يونس: 31-32] الآيات من سورة يونس, هذا معلوم أن مشركي قريش لم يكونوا ينازعون في الربوبية.

فإذن صارت هذه الكلمة دالة على غير ما أراد أولئك وهو ما ذكرناه آنفا من أن معنى لا إله يعني لا معبود، فيكون الخبر:

إما أن يكون تقديره موجود، فيكون المعنى لا معبود إلا الله، وهذا باطل لأننا نرى أن المعبودات كثيرة فقد قال جل وعلا مخبرا على قول الكفار﴿**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا**﴾[ص:5] فالمعبودات كثيرة والمعبودات موجودة، فإذن تقدير الخبر بموجود غلط.

ومن المعلوم أنّ المتقرر في علم العربية أن خبر لا النافية للجنس يكثر حذفه في لغة العرب وفي نصوص الكتاب والسنة؛ ذلك أن خبر لا النافية للجنس يُحذف إذا كان المقام يدل عليه، وإذا كان السامع يعلم ما المقصود من ذلك.

وقد قال ابن مالك في آخر باب لا النافية للجنس حينما ساق هذه المسألة:

وَشَاعَ فِي ذَا الْبَابِ يعني باب لا النافية للجنس

وَشَاعَ فِي ذَا الْبَابِ إِذَا الْمُرَادُ م
إِسْقَاطُ الْخَبَرِ سُقُوطِهِ ظَهَـ

إذا ظهر المراد مع حذف الخبر فإنك تحذف الخبر لأن الكلام الأنسب أن يكون مختصرا, كما قال عليه الصلاة والسلام «**لاَ عَدْوَىَ، ولاَ طِيَرَةَ، وَلاَ هَامَةَ، وَلاَ هَامَةَ وَلاَ صَفَرَ، وَلاَ نَوْءَ، وَلاَ غُول**» أين الخبر؟ كلها محذوفات لأنها معلومة لدى السامع.

فإذن الخبر هنا معلوم وهو أن الخبر موجودا يعني يقدر بموجود لأن الآلـهة عُبدت مع الله موجودة، فيقدر الخبر بقولك (بحق) أو (حقٌّ)، لا إله بحق يعني

لا معبود بحق أو لا معبود حق إلا الله، إن قدرت الظرف فلا بأس، أو قدرت كلمة مفردة حق لا بأس.

لا معبود حق إلا الله، هذا كلمة التوحيد، فيكون إذن كل من عبد غير الله جل وعلا عُبد نعم؛ ولكن هل عبد بالحق أو عُبد بالباطل والظلم والطغيان والتعدي؟ عُبد بالباطل والظلم والطغيان والتعدي، وهذا يفهمه العربي من سماع كلمة لا إلـه إلاَّ الله.

ولهذا بئس قوم -كما قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله-: بئس قوم أبو جهل أعلم منهم بـ: لا إلـه إلاَّ الله يفهم هذه الكلمة وأبى أن يقولها، ولو كانت كما يزعم كثير من أهل هذا العصر وما قبله لقالوها بسهولة ولم يدروا ما تحتها من المعاني؛ لكن يعلم أن معناها لا معبود حق إلاَّ الله، وأن عبادة غيره إنما هي بالظلم ولن يُقر بالظلم على نفسه، وباليغي ولن يقر بأنه باغ متعد، وبالتعدي والعدوان، وهذا هو حقيقة معنى لا إلـه إلاَّ الله.

وفيها الجمع بين النفي والإثبات كما سيأتي في بيان آية الزخرف ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ**(26) **إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ**﴾[الزخرف:26-27].

قال الإمام رحمه الله (وقول الله تعالى ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ**﴾[الإسراء: 57])

هذه الآية تفسير للتوحيد، وذلك أننا عرّفنا التوحيد بأنه إفراد الله بالعبادة وهو توحيد الإلـهية، وهذه الآية اشتملت على الثناء على خاصة عباد الله لأنهم وحدوا الله بالإلـهية، وهذه مناسبة الآية للباب فقد وصفهم الله جل وعلا (**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ**) و(**يَدْعُونَ**) بمعنى يعبدون لأن الدعاء هو العبادة والدعاء نوعان كما سيأتي تفصيله:

- دعاء مسألة.
- ودعاء عبادة.

قال هنا (**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ**) يعني يعبدون، (**يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ**) (**الْوَسِيلَةَ**) هي القصد والحاجة؛ يعني أن حاجاتهم يبتغونها إلى ربهم ذي الربوبية الذي يملك الإجابة، وفي قول الله جل وعلا في سورة المائدة ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[المائدة:35] سئل ابن عباس رضي الله عنهما -وهي من مسائل نافع بن الأزرق المعروفة- سئل عن قوله (**الْوَسِيلَةَ**) في قوله (**وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ**) ما معنى الوسيلة؟ قال: الوسيلة الحاجة. فقالا: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، ألم تسمعا إلى قول الشاعر -وهو عنتر- يخاطب امرأة:

إنَّ الرجال لهم إليك وسيلة أن يأخذوك تكحلي وتخضبي

(لهم إليك وسيلة) يعني لهم إليك حاجة.

ووجه الاستدلال من آية المائدة: أنه قال (**وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ**) قدم الجار والمجرور على لفظ (**الْوَسِيلَةَ**)، وتقديم الجار والمجرور -وحقه التأخير- يفيد للحصر والقصر، وعند عدد من علماء المعاني يفيد الاختصاص.

وهذا أو ذاك فوجه الاستدلال ظاهر في أن قوله في آية الإسراء (**يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ**) أن حاجاتهم إنما يبتغونها عند الله، فقد اختص الله عز وجل بذلك فلا يتوجهون إلى غيره، وقد حصروا وقصروا التوجه في الله جل وعلا.

وقد جاء بلفظ الربوبية دون لفظ الألوهية يعني قال (**يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ**) ولم يقل يبتغون إلى الله الوسيلة**؛** لأن إجابة الدعاء والإثابة هي من مفردات الربوبية؛ لأن ربوبية الله على خلقه تقتضي أن يجيب دعاءهم وأن يعطيهم سُؤلهم؛ لأن ذلك من أفراد الربوبية.

فإذن ظهر من قوله (**يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ**) أن فيها تفسير التوحيد وهو أن كل حاجة من الحاجات إنما تُنزلَها بالله جل وعلا، (**يَدْعُونَ**)**؛** يعبدون وهم إنما يطلبون حاجاتهم من الله جل وعلا، فلا يعبدون بنوع من العبادات ويتوجهون به لغير الله، فإذا نحروا فإنما ينحرون يبتغون إلى ربهم الحاجة، وإذا صلوا فإنما يصلون يبتغون إلى ربهم الحاجة، وإذا استغاثوا فإنما يستغيثون بالله يبتغون إليه الحاجة دونما سواه, إلى آخر مفردات توحيد العبادة.

فهذه الآية دالة بظهور على أن قوله (**يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ**) أنه هو بالتوحيد.

وقد استشكل بعض أهل العلم إيراد هذه الآية في هذا الباب، وقال: ما مناسبة هذه الآية لهذا الباب؟ وبما ذكرت لك تتضح المناسبة جليا.

قال جل علا (**أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ)**، وهذه حال خاصة عباد الله أنهم جمعوا بين العبادة وبين الخوف وبين الرجاء, فيرجون رحمته ويخافون عذابه، وهم إنما توجهوا إليه وحده دونما سواه، فأنزلوا الخوف والمحبة والدعاء والرغب والرجاء في الله جل وعلا وحده دونما سواه، وهذا هو تفسير التوحيد.

قال رحمه الله (وقوله تعالى**:** ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ**(26) **إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ**﴾[الزخرف:26-27]**)** وجه الاستدلال من هذه الآية في قوله (**إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ**(26) **إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي)** هذه الجملة فيها البراءة وفيها الإثبات؛ البراءة مما يعبدون، قال بعض أهل العلم: تبرأ من العبادة والمعبودين قبل أن يتبرأ من العابدين؛ لأنه إذا تبرأ من أولئك فقد بلغ به الحَنَق والكراهة والبغضاء والكفر بتلك العبادة مبلغها الأعظم، وقد جاء تفصيل ذلك في آية الممتحنة كما هو معلوم.

إذن مناسبة هذه الآية للباب أن قوله (**إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ**(26) **إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي**) اشتملت على نفي وإثبات، فهي مساوية لكلمة التوحيد؛ بل هي دِلالة كلمة التوحيد، ففي هذه الآية تفسير شهادة أن لا إلـه إلا الله, ولهذا قال

جل وعلا بعدها (**وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ**) ما هذه الكلمة ؟ هي قول: لا إلـه إلا الله. كما عليه تفاسير السلف.

فإذن قوله عز وجل (**إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ**) هذا فيه النفي الذي نعلمه من قوله (لا إلـه)، فتفسير شهادة أن لا إلـه إلاّ الله في هذه الآية:

- (لا إلـه) معناها (**إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ**).
- (إلاَّ الله) معناها (**إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي**).

فإذن في آية الزخرف هذه أن إبراهيم عليه السلام شرح لهم معنى كلمة التوحيد بقوله (**إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ).**

والبراءة هي: الكفر والبغضاء والمعاداة. تبرأ من عبادة غير الله إذا أبغضها وكفر بها وعاداها، وهذه لابد منها، لا يصح إسلام أحد حتى تقوم هذه البراءة في قلبه؛ لأنه إنّ لم تقم هذه البراءة في قلبه فلا يكون موحدا، البراءة هي أن يكون مبغضا لعبادة غير الله، كافرا بعبادة غير الله، معاديا لعبادة غير الله، كما قال هنا (**إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ)**.

أمَّا البراءة من العابدين فإنها من اللوازم وليست من أصل كلمة التوحيد؛ البراءة من العابدين، فقد يعادي وقد لا يعادي وهذه لها مقامات منها ما هو مُكفِّر ومنها ما هو نوع موالاة ولا يصل بصاحبه إلى الكفر.

إذن تحصَّل لك أن البراءة التي هي مُضَمَّنَةٌ في النفي (**لا إله**) بُغض لعبادة غير الله، وكفر بعبادة غير الله، وعداوة لعبادة غير الله، وهذا القدر لا يستقيم إسلام أحد حتى يكون في قلبه ذلك.

قال(**إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي**) وهذا استثناء كما هو الاستثناء في كلمة التوحيد (لا إلـه إلاّ الله).

قال بعض أهل العلم قال (**إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي**) ذكر الفَطْر دون غيره؛ لأن في ذلك التذكير بأنه إنما يستحق العبادة من فطر، أما من لم يفطِر ولم يخلق شيئا فإنه لا يستحق شيئا من العبادة.

إذن مناسبة هذه الآية ظاهرة للباب ووجه الاستدلال منها ومعنى البراءة ومعنى النفي والإثبات فيها وفي كلمة التوحيد.

قال (وقوله ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾[التوبة:31].**)** (**أَرْبَابًا**) جمع رب، والربوبية هنا هي العبادة؛ يعني اتخذوا أحبارهم ورهبانهم معبودين، (**مِنْ دُونِ اللَّهِ**)؛ يعني مع الله، وذلك لأنهم أطاعوهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال، والطاعة من التوحيد، فَرْدٌ من أفراد العبادة أن يطيع في التحليل والتحريم فإذا أطاع غير الله في التحليل والتحريم فإنه قد عبد ذلك الغير، فهذه الآية فيها ذكر أحد أفراد التوحيد, أحد أفراد العبادة وهو الطاعة، وسيأتي إيرادها في باب مستقل -إن شاء الله تعالى- مع بيان ما تشتمل عليه من المعاني.

قال(وقوله ﴿**وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ**﴾[البقرة:165])، (**وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ**) أثبت الله جل وعلا أنهم اتخذوا من دون الله أندادا؛ يعني مع الله أو من

دونه أندادا جعلوهم يستحقون شيئا من العبادات، ووصفهم بأنهم (**يُحِبُّونَهُمْ**) يعني المشركين (**يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ**).

وقوله هنا (**كَحُبِّ اللَّهِ**)، المفسرون من السلف فمن بعدهم هنا على قولين:

- منهم من يقول: (**يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ**) هي كلها في الذين اتخذوا أندادا؛ يعني يحبون أندادهم أندادهم كحبهم لله.
- وقال آخرون: (**يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ**) يعني يحبونهم كحب المؤمنين لله، فالكاف بمعنى مِثْل هنا كقوله ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**﴾[البقرة:74] (**كَالْحِجَارَةِ**) الكاف هنا اسم بمعنى مثل لأنه عطف عليها اسم آخر, قال (**أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**).

(**يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ**) يعني ساووا محبة تلك الآلـهة بمحبة الله، فهم يحبون الله حبا عظيما؛ ولكنهم يحبون كذلك تلك الآلـهة حبا عظيما، وهذا التساوي هو الشرك, والتسوية هذه هي التي جعلتهم من أهل النار, كما قال جل و علا في سورة الشعراء مخبرا عن قول أهل النار ﴿**تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ(97)إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[الشعراء:97-98]، ومعلوم أنهم ما سوَّوْا تلك الآلهة برب العالمين في الخَلق والرَّزق و مفردات الربوبية و إنما سووهم برب العالمين في المحبة و العبادة.

فإذن قوله جل و علا (**يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ**) يعني يحبونهم محبة مثل محبتهم لله، وهذا الوجه أرجح من الوجه الآخر الذي تقديره كحب المؤمنين لله, و الذين آمنوا أشد حبا لله.

وجه الاستدلال للآية و مناسبتها للباب ظاهرة: في أن التشريك في المحبة منافٍ لكلمة التوحيد, مناف للتوحيد من أصله؛ بل حَكم الله عليهم بأنهم اتخذوا أندادا من دون الله، ووصفهم بأنهم اتخذوا الأنداد في المحبة، والمحبة محركة وهي تبعث على التصرفات.

فإذن هنا فيه ذكر للمحبة. والمحبة نوع من أنواع العبادة ولما لم يفردوا الله بهذه العبادة صاروا متخذين أندادا من دون الله، وهذا معنى التوحيد ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله.

ثم قال رحمه الله (وفي الصحيح عن النبي ﷺ: أنه قال: «**مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاّ اللّهُ, وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللّهِ, حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ. وَحِسَابُهُ عَلَى اللّهِ عز وجل**»).في هذا الحديث بيان التوحيد و شهادة أن لا إلا الله؛ ذلك أن ثمة فرقا بين قول لا إله إلا الله و بين التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله, فالتوحيد و الشهادة أرفع درجة ومختلف عن مجرد القول، وهذا الحديث فيه قيد زائد عن مجرد القول؛ قال عليه الصلاة والسلام (**مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاّ اللّهُ, وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللّهِ**):

﴿ فيكون الواو تعطف ويكون ما بعدها غير ما قبلها؛ لأن الأصل في العطف المغايرة، ويكون (**كَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللّهِ**) هذه زيادة على مجرد القول،

فيكون قال (**لاَ إِلَهَ إِلاّ اللّهُ**) ومع قوله (**كَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللّهِ**) يعني تبرَّأ مما يعبد من دون الله. هذا قول.

 والقول الثاني الواو هنا ليست عاطفة عطف مغايرة شيء عن شيء أصلا، وإنما هي من باب عطف التفسير؛ يعني يكون ما بعدها بعض ما قبلها، كقوله جل وعلا ﴿**مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ**﴾ [البقرة:98]، (**جِبْرِيلَ وَمِيكَالَ**) بعض الملائكة فعطفهم وخصهم بالذكر، وأظهر اسم جبريل وميكال لبيان أهمية هذين الاسمين وأهمية الملكين؛ لأن أولئك اليهود لهم كلام في جبريل وميكال.

المقصود أن يكون العطف هنا عطف خاصٍ بعد عام أو عطف تفسير؛ لأن ما بعدها داخل في ما قبلها، وهذا تفسير لقوله (**لاَ إِلَهَ إِلاّ اللّهُ**).

فيكون إذن (**لاَ إِلَهَ إِلاّ اللّهُ**) على هذا القول الثاني متضمنة للكفر بما يعبد من دون الله.

وهذا هو الذي ذكرته لك في معنى البراءة في آية الزخرف (**إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ**(26) **إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي**) قلنا البراءة تتضمن البغض والكفر والمعاداة؛ الكفر بما يُعبد من دون الله، وهذا تفسير ظاهر لكلمة التوحيد.

قال عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ (**مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاّ اللّهُ, وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللّهِ**) هذا تفسير وهذا الوجه الثاني هو الأظهر والأنسب لسياق الشيخ رحمه الله تعالى؛ بل هو الذي يتوافق مع ما قبله من الأدلة.

قال (**حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ. وَحِسَابُهُ عَلَى اللّهِ عز وجل**) ذلك أنه صار مسلما، (**مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاّ اللّهُ, وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللّهِ**) صار مسلما، والمسلم لا يحل دمه إلا بإحدى ثلاث ولا يحل ماله؛ ولهذا قال هنا (**حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ**).

إذن يظهر لك من هذه الترجمة وما فيها من الآيات والحديث أنَّ تفسير التوحيد وتفسير شهادة أن لا إله إلا الله يحتاج منك إلى مزيد عناية ونظر وتأمل وتأنّي حتى تفهمه بحجته وببيان وجه الحجة في ذلك.

بعد ذلك قال الشيخ رحمه الله (**وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب**) فالكتاب كله هو تفسير للتوحيد وتفسير لكلمة لا إله إلا الله، وبيان ما ينافي أصل التوحيد وبيان ما ينافي كمال التوحيد، وبيان الشرك الأكبر والشرك الخفي وشرك الألفاظ، وبيان بعض مستلزمات التوحيد؛ توحيد العبادة من الإقرار لله بالأسماء والصفات، وبيان ما يتضمنه توحيد العبادة من الإقرار لله جل وعلا بالربوبية.

هذا وآمل من الإخوة إذا خرجت أن لا يتبعني أحد لأن فيه شيئا من الإحراج.

هذا وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

•

باب من الشرك لبس الحلقة والخيط

ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[الزمر:38].

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ أَنّ النّبِيّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَجُلاً فِي يَدِهِ حَلْقَةً صُفْرٍ. فَقَالَ: «مَا هَذِهِ؟» قَالَ: هَذِهِ . : «انْزِعْهَا, فَإِنّهَا لاَ تَزِيدُكَ وَهْناً، م أ حاً أبداً».

.

(1) : « ق تميمة «

: « أشرك».

حاتم : خيط الحمى

تعالى: يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ [يوسف: 106].

[الشرح]

هذا بابٌ شرع به الشيخ رحمه الله في تفصيل ما سبق، فقال (**باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه**) هذا شروع في بيان التوحيد ببيان ضده، ومن المعلوم أن الشيء يعرف ويتميز بشيئين:

- بحقيقته.
- وبمعرفة ضده.

والتوحيد يتميز بمعرفته في نفسه؛ بمعرفة معناه وأفراده, وبمعرفة ضده أيضا، وقد قال الشاعر:

.... و بضدها تتميز الأشـــياءُ[2]

وهذا صحيح فإنما التوحيد يعرف حسنه بمعرفة قبح الشرك.

والإمام رحمه الله بدأ بذكر ما هو مضاد للتوحيد، وما يضادُّ التوحيد منه:

ما يضاد أصله، وهو الشرك الأكبر الذي إذا أتى به المكلَّف، فإنه ينقض توحيده؛ يعني يكون مشركا شركا أكبر مخرجا من الملة، هذا يقال فيه ينافي التوحيد، أو ينافي أصل التوحيد.

---

[1] قوله : عن عقبة بن عامر صوابه: عن عروة بن عامر ، كما ذكره في التيسيروقد اختلف في نسبه وصحبته.[العثيمين، القول المفيد على كتاب التوحيد، دار البصيرة الاسكندرية، ص 349].

[2] هذا من الشعر السائر المعروف لأبي الطيب المتنبي قال:

ونذيمهم وبهم عرفنا فضله وبضدها تتبين الأشياء

في قصيدة يُثني بها ويمدح بها أبا علي هارون بن عبد العزيز الكاتب أحد المتنسكة الذين مالوا إلى التصوف. ذكره الشيخ صالح آل الشيخ في شرحه لمسائل الجاهلية.

 والثاني ما ينافي كمال التوحيد الواجب: وهو ما كان من جهة الشرك الأصغر ينافي كماله، فإذا أتى بشيء منه فقد نافى بذلك كمال التوحيد؛ لأن كمال التوحيد إنما يكون بالتخلص من أنواع الشرك جميعا، وكذلك الرياء فإنه من أفراد الشرك الأصغر؛ أعني يسير الرياء، وهذا ينافي كمال التوحيد، ومنها أشياء يقول العلماء فيها أنها نوع شرك، فيعبرون عن بعض المسائل من الشركيات أنها نوع شرك أو نوع تشريك.

فصار عندها في ألفاظها في هذا الباب أربعة:

الأول: الشرك **الأكبر**.

الثاني: الشرك **الأصغر**.

الثالث: الشرك **الخفي**.

الرابع: قولهم **نوع شرك أو نوع تشريك**: وذلك من مثل ما سيأتي في قوله جل وعلا﴿**يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا**﴾[النحل:83]، وفي نحو قوله ﴿**أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ**﴾[الأعراف:191] في قصة آدم وحواء حين عبَّدَ ابنَهما للشيطان، فهذا في الطاعة كما سيأتي بيانه مفصلا إن شاء الله.

بدأ الشيخ رحمه الله في تفصيل الشرك ببيان صور من الشرك الأصغر التي يكثر وقوعُها.

وقدَّم الأصغر على الأكبر انتقالا من الأدنى إلى الأعلى؛ لأن الشبهة في الأدنى ضعيفة بخلاف الشبهة في الأعلى؛ يعني أن تعلق المتعلق بالخيط, تعلق المتعلق بالتميمة، هذا شبهته أضعف، فتعلق ذلك المتعلق بذلك المتعلق بغير الله إذا وَعَى أنه تعلق بغير الله فإنه يكون مقدمة مهمة ومنتِجة للمطلوب في إقناعه بأنَّ التعلق بغير الله في الشرك الأكبر أنه قبيح.

أمّا إذا أتى إلى ما هو من جهة الشرك الأكبر كالتعلق بالأولياء ودعائهم وسؤالهم، أو الذبح للجن أو الذبح للأولياء فإنه يكون هناك شبهة؛ وهي أنّ أولئك لهم مقامات عند الله جل وعلا، والناس الذين يتوجهون إلى أولئك ويشركون بهم الشرك الأكبر المخرج من الملة -والعياذ بالله-، يقولون: إنما أردنا الوسيلة هؤلاء لهم مقامات عند الله، إنما أردنا الوسيلة. كحال المشركين في زمن النبي الذين قال الله جل وعلا فيهم ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**﴾[الزمر:3].

فإذن الشيخ رحمه الله بدأ بما هو من الشرك الأصغر انتقالا من الأدنى على الأعلى حتى يكون ذلك أقوى في الحجة وأمكن في النفوس من جهة ضرورة التعلق بالله وإبطال التعلق بغيره.

قال رحمه الله(**بابٌ من الشرك**) (**من**) هذه تبعيضية؛ يعني هذه الصورة التي في الباب هي بعض الشرك.

هل هي بعض أفراده, أو بعض أنواعه؟ هي هذه وهذه، فما ذُكر وهو لُبس الحلقة أو الخيط أحد نوعي الشرك وهو الشرك الأصغر، وهو أحد أفراد الشرك بعمومه؛ لأنها صورة من صور الإشراك.

قال (**باب من الشرك لبس الحلقة أو الخيط ونحوهما**) نحو الحلقة والخيط مثل الخرز والتمائم والحديد، ونحو ذلك مما قد يُلبس، كذلك مما يعلق أيضا في البيوت وفي السيارات أو يعلق على الصغار، ونحو ذلك مما فيه لبس أو تعليق، كل ذلك يدخل في هذا الباب وأنه من الشرك.

قال (**بابٌ من الشرك لبس الحلْقة أو الخيط**)، (**الحلْقة**) إمّا أن تكون من صُفْر يعني من نحاس، وإمّا تكون من حديد، أو تكون من أي معدن، و(**الخيط**) مجرد خيط يعقده في يده والخيط معروف.

الحلقة والخيط كانا عند العرب فيها اعتقادات، في أشباههما مثل التمائم وغيرها يعتقدون أنّ من تعلق شيئا من ذلك أثَّر فيه ونفع:

- إمَّا من جهة دفع البلاء قبل وقوعه.
- و إمَّا من جهة رفع البلاء أو المرض بعد وقوعه.

ولهذا قال الشيخ رحمه الله (**لرفع البلاء أو دفعه**) لأن الحالتين موجودتان:

منهم من يعلق قبل أن يأتي البلاء ليدفعه، وهو أعظم، أن يعلق خيطا, أن يعلق حلقة, يلبس حلقة أو يلبس خيطا ليدفع الشيء قبل وقوعه، وهذا أعظم؛ لأنه يعتقد أن هذه الأشياء الخسيسة أو الوضيعة تدفع قدر الله جل وعلا.

وكذلك منها أن يلبس ليرفع البلاء بعد حصوله؛ مرض فلبس خيطا ليرفع ذلك المرض، أصابته عين فلبس خيط ليرفع تلك العين، وهكذا في أصناف شتى من أحوال الناس في ذلك، واعتقادات الناس كثيرة.

هذه (**لُبس الحلقة أو الخيط**) من الشرك، لم كان شركا؟ قلنا إنه شرك أصغر، لم كان شركا أصغر؟ لأنه تعلّق قلبُه بها وجعلها سببا لرفع البلاء أو سببا لدفعه.

والقاعدة في هذا الباب: أنَّ إثبات الأسباب المؤثرة لا يجوز إلاَّ:

- أن يكون من جهة الشرع، لا يجوز إثبات سبب إلا أنْ يكون سببا شرعيا.
- أو أن يكون سببا قد ثبت بالتجربة الواقعة أنه يؤثر ظاهرا لا خفيًّا.

فهذا من لبس فإنه جعل سببا ليس بمأذون به في الشرع، وكذلك من جهة التجربة لا يحصل ذلك على وجه الظهور؛ وإنما هو مجرد اعتقاد ممن لبس في هذا الشيء، فقد يوافق القدر أنه يُشفى حين لبس أو بعد لبسه أو يُدفع عنه أشياء يعتقد أنها ستأتيه فيبقى معلقا بذلك ويثبت أن تلك سببا من الأسباب، وهذا باطل.

إذن صار لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه شركا أصغر؛ لأن من لبسها تعلق قلبه بها وجعلها تدفع أو تنفع أو جعلها تؤثر في رفع الضرر عنه أو في جلب المنافع له، وهذا إنما يستقل به الله جل وعلا وحده إذْ هو النافع الضار، وهو جل وعلا الذي يفيض الرحمة ويفيض الخير أو يمسك ذلك.

وأما الأسباب التي تكون سببا لمسبباتها فهذه لابد أن يكون مأذونا بها في الشرع، ولهذا بعض العلماء يعبر عما ذكرت بقوله: من أثبت سببا –يعني يُحدث المسبَّب يُحدث النتيجة- لم يجعله الله سببا لا شرعا ولا قدرا, فقد أشرك؛ يعني الشرك الأصغر، هذه القاعدة في الجملة صحيحة, قد بعض الأمثلة قد يشكل هل تدخل أو لا تدخل، لكن هو المقصود من هذا الباب؛ أن إثبات الأسباب لابد أن يكون أتى من جهة الشرع وإمّا من جهة التجربة الظاهرة، مثل دواء الطبيب، ومثل الانتفاع ببعض الأسباب التي فيها الانتفاع ظاهرا؛ تتدفى بالنار أو تتبرد بالماء، أو نحو ذلك، هذه أسباب ظاهرة بيّن أثرها؛ لكن إذا كان السبب من جهة التعلق الذي لم يأذن به الشرع فإن التعلق القلبي بشيء لم يأذن به الشرع يكون نوع شرك إذا كان لدفع البلاء أو لرفعه.

وهذا مراد الشيخ بهذا الباب؛ فإن لبس الخيط والحلقة من الشرك الأصغر.

كل أصناف الشرك الأصغر قد تكون شركا أكبر بحسب حال من فعلها؛ اللبس، تعليق التمائم, الحلف بغير الله, قول ما شاء الله وشئت، ونحو ذلك من الأعمال والاعتقادات والأقوال، الأصل فيها أن نقول أنها شرك أصغر, قد تكون تلك شركا أكبر بحسب الحال؛ يعني أن أعتقد في الحلقة و الخيط أنها تؤثر بنفسها فهذا شرك أكبر, إذا اعتقد أنها ليست سبب؛ ولكن هي تؤثر بنفسها؛ لأن هذه تدفع بنفسها، تدفع المرض بنفسها، تدفع العين بنفسها أو ترفع المرض بنفسها، أو ترفع العين بنفسها، وليست أسبابا؛ ولكن هي بنفسها مؤثرة، فهذا شرك بالله شرك أكبر؛ لأنه جعل التصرف في هذا الكون لأشياء مع الله جل وعلا، ومعلوم أن هذا من أفراد الربوبية فيكون ذلك شركا في الربوبية.

إذن عماد هذا الباب من جهة تعلق القلب، تعلق بهذه الأشياء بالحلقة أو الخيط لدفع ما يسوؤه أو في لرفع ما حل به من مصايب.

الشيخ رحمه الله ساق بعد ذلك (وقول الله تعالى: ﴿**قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ**﴾[الزمر:38].) قوله جل وعلا في هذه الآية من سورة الزمر (**قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**).

العلماء يقولون: إن الفاء إذا جاءت بعد همزة الاستفهام فإنها تكون عاطفة على جملة محذوفة يدل عليها السياق.

وهذه الآية أولها ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ**﴾[الزمر:38]؛ يعني قل أتُقِرُّون بأن الذي خلق السماوات والأرض هو الله وحده فتدعون غيره؟ فتتوجهون لغيره؟ أتقرون بذلك فتفعلون هذه الأشياء؟ قال جل وعلا (**قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**).

أو يكون التقدير: أتقرون بأن الله هو الواحد في ربوبيته هو الذي خلق السموات والأرض وحده، إذا أقررتم فرأيتم هذه الأشياء التي تتوجهون لها من دون الله, هل تدفع عنكم المضار؟ أو هل تجلب لي ضرا؟ أو تجلب لكم رحمة من دون إذْن الله؟

إذن تكون هنا الفاء ترتيبية ترتبت ما بعدها على ما قبلها، وهذا هو المقصود أيضا من الاحتجاج؛ لأن طريقة القرآن أنه يحتج على المشركين بما أقروا به من توحيد الربوبية على ما أنكروه من توحيد الإلهية، وهم أقروا بالربوبية فرتب على إقرارهم أنه يلزمهم أن يبطلوا عبادة غير الله جل وعلا.

قال (**أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**)، (**تَدْعُونَ**) يعني تعبدون، وقد تكون العبادة بدعاء المسألة، وقد يكون بأنواع العبادة الأخرى، أو نقول (**تَدْعُونَ**) هذه تشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة لأنه حالتان من أحوال أهل الإشراك بالله.

(**مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**) (**مَا**) هنا عامة لأنها هنا اسم موصول بمعنى الذي؛ أفرأيتم الذي تدعونه من دون الله, والذي يدعونه من دون الله الذي شملته هذه الآية أنواع، وهو كل ما دُعي من دون الله مما جاء بيانه في القرآن, وجاء في القرآن بيان أن الأصناف التي أشرك بها من دون الله جل وعلا وتوجه لها بالعبادة أنواع:

الأول: الأنبياء, بعض الأنبياء والرسل والصالحون كما قال جل وعلا في آخر سورة المائدة ﴿**وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ**﴾[المائدة:116] الآيات، فهذا في هذا النوع.

ونوع آخر: اتخذوا الملائكة كما جاء في آخر سورة سبأ بيان ذلك ﴿**وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ(40)قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ**﴾ [سبإ:40-41]. هذا في الملائكة نوع آخر.

أيضا: كانوا يتوجهون للكواكب؛ الشمس والقمر؛ يعني طائفة من الناس كانوا يتوجهون لهذه الأشياء فيعبدونها.

أيضا من الأنواع: أنهم كانوا يتوجهون للأشجار والأحجار.

ومن الأنواع: أنهم كانوا يتوجهون للأصنام والأوثان.

فإذن قوله (**أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ**) يدخل فيه توجُّه أولئك في كل ما أشركوا به من دون الله جل وعلا, في كل ما أشركوا به مع الله جل وعلا في نوع من أنواع العبادة.

يفيدنا ذلك في معرفة وجه الاستدلال من هذه الآية كما سيأتي.

قال (**إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ**) أبطل أن يكون لتلك الآلهة بأنواعها إضرار أو نفع, (**إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ**)؟ لا يستطيعون, إن أرادني الله جل وعلا برحمة هل هذه تدفع رحمة الله؟ لا تستطيع أيضا.

فإذن بَطَل أن يكون ثمَّ تعلق فالآلهة العظيمة التي يُظن أن لها مقامات عند الله جل وعلا موجبة لشفاعتها.

إذا تبين ذلك فقد قال بعض أهل العلم: إن هذه الآية في الشرك الأكبر، فلِم جعلها الشيخ رحمه الله في صدر بيان أصناف من الشرك الأصغر؟

والجواب على ذلك من وجهين:

الوجه الأول: أنَّ إيراد الآيات في الشرك الأكبر من جهة معناه والتعلق بغيره، ووجوب التعلق بالله جل وعلا ونحو ذلك، هذا يورده السلف فيما هو من الشرك الأصغر, فالآيات التي في الشرك الأكبر تورَد في إبطال الشرك الأصغر، بجامع أن كلا الشريكين تعلَّق بغير الله جلّ وعلا، **فإذا بطل في الأعظم بطل التعلق فيما هو دونه من باب أولى**.

الثاني: أن هذه الآية في الشرك الأكبر؛ ولكن المعنى الذي دارت عليه هو:

أنه في إبطال إضرار أحدٍ من دون الله.

أو أنَّ الله إذا أصاب أحداً بضُر أن ثَم من يستطيع أن يرفعه بدون إذن الله.

أو إذا أراد الله رحمةً أن ثَم من يصرف تلك الرحمة بدون إذنه جل وعلا.

وهذا المعنى الذي هو التعلق بما يضر وبما ينفع، هو المعنى الذي من أجله تعلَّق المشرك الشرك الأصغر بالحلقة أو بالخيط؛ لأنه ما علق الخيط ولا علق الحلقة أو لبس الحلقة والخيط إلاّ لأنه يعتقد أن في الحلقة تأثيرا من جهة رفع البلاء أو دفع الضر وأنها تجلب النفع وتدفع الضر، وهذه الأشياء مهينة أشياء وضيعة، فإذا نفي عن الأشياء العظيمة كالأنبياء والمرسلين والملائكة والصالحين أو الأوثان التي لها روحانيات كما يقولون، فإنه انتفاء النفع والضر عما سواها مما هو أدنى لاشك أنه أظهر في البرهان وأبين.

طبعا في قوله (**إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ**) هنا بضر هذه نكرة في سياق الشرط، وهذا يعم جميع أنواع الضر؛ يعني فغير الله جل وعلا لا يستطيع أن يرفع ضرا أنزله الله إلاّ بإذنه سبحانه.

ثم ساق رحمه الله عدة أحاديث قال (**وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ أَنّ النّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَىَ رَجُلاً فِي يَدِهِ حَلْقَةً مِنْ صُفْرٍ. فَقَالَ: «مَا هَذِهِ؟» قَالَ: هَذِهِ مِنَ الْوَاهِنَةِ. فَقَالَ: «انْزِعْهَا, فَإِنّهَا لاَ تَزِيدُكَ إِلاّ وَهْناً، فإنَّكَ لَوْ مِتَّ وهي عليْك، ما أفْلحتَ أبداً»**) مناسبة الحديث للباب ظاهرة؛ وهي أنه عليه الصلاة والسلام رَأَى رَجُلاً فِي يَدِهِ حَلْقَةً مِنْ صُفْرٍ بحسب ما كان يعتقد أهل الجاهلية، فقال عليه الصلاة والسلام (**مَا هَذِهِ**؟) هذا السؤال:

من أهل العلم من قال: إنه استفهام إنكار؛ ولكن الرجل ما فهم أنه إنكار فهم أنه استفصال فلذلك أجاب، فقال: (**مِنَ الْوَاهِنَةِ**).

وقال آخرون من أهل العلم: قوله عليه الصلاة و السلام (**مَا هَذِهِ**؟) يحتمل أن يكون استفهام استفصال أو استفهام إنكار، فلهذا أجاب الرجل فقال: (**مِنَ الْوَاهِنَةِ**).

والاستفهام الأول يعني في القول الأول للإنكار الشديد، وهو الأظهر من حيث دلالة السياق عليه؛ لأن النبي في السياق ما ذَكر الحالة الأخرى.

والحالة الأخرى التي يمكن أن يكون لبسها من أجله أن تكون للتحلي، والتحلي بالصفر غير أن يلبسه لدفع البلاء أو رفعه.

المقصود أن الإستفصال هنا في قوله (**مَا هَذِهِ**؟) هذا السؤال لا يعني أنه يحتمل أن يكون اللُّبس شركا ويحتمل أن يكون اللبس غير شرك؛ ولكن هذا للإنكار وإذا كان استفهام استفصال فإنه لأجل أنه يكون قد يلبس لأجل التحلي، لا لأجل التعلق؛ تعلق القلب لذلك، فلما أجاب (**مِنَ الْوَاهِنَةِ**) تعيَّن على كلا القولين أنه لبسها لأجل تعلقه بها لرفع المرض أو لدفعه.

والواهنة نوع مرض من الأمراض يَهَن الجسم ويطرحه ويُضعف قواه.

فقال عليه الصلاة والسلام (**انْزِعْهَا**) هذا أمر، وإنكار المنكر يكون باللسان إذا كان المأمور به يطيع, إذا كان المأمور به يطيع الأمر فإنك تأمره باللسان ولا تنكر عليه باليد، والنبي عليه الصلاة والسلام له وِلاية وينزع هذا المنكر بيده؛ لكن علم من حال ذاك أنه يمتثل الأمر، فقال له (**انْزِعْهَا**).

فلا تعارض بين هذا وبين ما سيأتي من أنَّ حُذيفة قطع خيطاً من رجل، فإن ذلك مبني على حالٍ أخرى, فالنبي عليه الصلاة والسلام أمره فامتثل ذلك الأمر.

قال (**فَإِنّهَا لاَ تَزِيدُكَ إِلاّ وَهْناً**) يعني أن ضررها أقرب من نفعها، وهذا في جميع أنواع الشرك، فإن ما أشرك به ضرره أعظم من نفعه لو فُرض أن فيه نفعا.

فقد قال العلماء هنا (**انْزِعْهَا, فَإِنّهَا لاَ تَزِيدُكَ إِلاّ وَهْناً**) يعني لو كان فيها أثر، فإن أثرها الإضرار بدنيا، وإن أثرها أيضا الإضرار روحيا ونفسيا حيث تُضعِف الروح والنفس عن مقابلة الوهن والمرض؛ لأنه يكون المرء أضعف ويتعلق بهذه الحلْقة أو بذلك الخيط.

قال (**فَإِنّهَا لاَ تَزِيدُكَ إِلاّ وَهْناً**) وهذا كل من أشرك فإنه من ضرر إلى ضرر أكثر منه ولو ظن أنه في انتفاع.

ثم قال (**فإنَّكَ لوْ مُتَّ وهي عليْك، ما أفْلحتَ أبداً**) هذا القول منه عليه الصلاة والسلام؛ لأن حال المعلَّق يختلف:

- قد يكون علَّقها اعتقادا فيها استقلالا.
- وقد يكون علَّقها من جهة التسبّب.

والاستقلال إذا كان الذي رُئي في يد الصحابي لا شك أنه منفي؛ ولكن العبرة هنا في هذا اللفظ بالفائدة منه لغيره، فإن من مات وهي عليه فقد يحتمل أنه علقها لأجل الاستقلال أو علقها لأجل التسبب، وبالتالي يكون الفلاح على قسمين:

القسم الأول: الفلاح المنفي هو الفلاح المطلق، وهو دخول الجنة والنجاة من النار، وهذا في حال من أشرك الشرك الأكبر بأن اعتقد أن تلك الحلقة من الصُّفر أو ذلك الخيط الذي يعلق بأنه ينفع استقلالا.

أو يكون المنفي نوع من الفلاح أو مطلق الفلاح؛ درجة من درجات الفلاح ذلك إذا كان فاعله جعل سببا مما لم يجعله الله جل وعلا لا شرعا ولا قدرا؛ يعني كان مشركا الشرك الأصغر، فإنه يكون الفلاح هنا المراد به مطلق الفلاح؛ يعني درجة من درجات الفلاح.

وهذان لفظان يكثران في كتب أهل العلم وفي التوحيد بخصوصه:

الأول: مطلق الشيء.

والثاني: الشيء المطلق.

يقول مثلا: التوحيد المطلق ومطلق التوحيد، الإسلام المطلق ومطلق الإسلام، الإيمان المطلق ومطلق الإيمان، الشرك المطلق ومطلق الشرك، الفلاح المطلق ومطلق الفلاح، الدخول المطلق ومطلق الدخول، التحريم المطلق -يعني تحريم دخول الجنة أو النار- ومطلق التحريم.

ومن المهم أن تعلم أن:

الشيء المطلق: هو الكامل، الإيمان المطلق هو الكامل، الإسلام المطلق هو الكامل، التوحيد المطلق هو الكامل، الفلاح المطلق هو الكامل.

أما **مطلق الشيء**: فهو أقل درجاته أو درجة من درجاته، فمطلق الإيمان هذا أقل درجاته.

فنقول مثلا: هذا ينافي الإيمان المطلق؛ يعني ينافي كمال الإيمان، أو نقول: هذا ينافي كمال الإيمان، أو نقول: ينافي مطلق الإيمان. ينافي أقل درجات الإيمان فهو ينافي الإيمان من أصله.

فإذن الفلاح المنفي يحتمل أن يكون الفلاح المطلق, يعني كل الفلاح أو درجة من درجاته بحسب حال المعلق، فكل من لبس حلقة أو خيط ومات عليه من غير توبة فإنه لن يفلح أبدا، لن يفلح؛ يعني لن يكون مفلحا، وهذا الفلاح بحسب اعتقاده إن كان معتقدا فيها كما ذكرت أنها تنفع باستقلال فهو من أهل النار، أو كان اعتقد أنها سبب فهو من أهل النار كعصاة الموحدين.

قال رحمه الله (وله عن عقبة بن عامر مرفوعاً: «**من تعلَّق تميمةً، فلا أتمَّ الله له، ومن تعلَّق ودعة، فلا ودَع الله له**») المقصود من هذا الحديث ذِكر لفظ التعلق، و(**تعلَّق**) يعني أنه علَّق وتعلَّق قلبُه بما علَّق، لفظ (**تعلَّق**) يشمل التعليق وتعلَّق القلب بما عُلِّق، فهو لبِس وتعلَّق قلبه بما لبس, علق في صدره وتعلق قلبه بما علق.

قال عليه الصلاة والسلام (**من تعلَّق تميمةً، فلا أتمَّ الله له**) **والتميمة** لها باب يأتي إن شاء الله تعالى؛ لكن هي نوع خرزات وأشياء توضع على صدور الصغار، أو يضعها الكبار لأجل دفع العين أو دفع الضرر أو الحسد أو أثر الشياطين ونحو ذلك.

قال (**من تعلَّق تميمةً، فلا أتمَّ الله له**) وهنا دعا عليه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ألاَّ يُتم الله له؛ لأن التميمة أخذت من تمام الأمر، سُميت تميمة لأنه يُعتقد فيها أنها تتم الأمر، فدعا عليه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ بأن لا يتم الله جلّ وعلا له المراد.

قال(**ومن تعلَّق ودعة، فلا ودَع الله له**) والودع نوع من الصدفة والخرز يوضع على صدور الناس، أو يعلق على العضد ونحو ذلك؛ لأجل أيضا دفع العين ونحوها من الآفات أو رفع العين ونحوها من الآفات.

قال (**ومن تعلَّق ودعة، فلا ودَع الله له**) يعني فلا تركه وذلك، ولا جعله دَعَةٍ وسكون وراحة، ودعاؤه عليه الصلاة والسلام عليه ذلك لأنه أشرك بالله جل وعلا.

قال (وفي رواية: «**من تعلَّق تميمةً، فقد أشْرَك**») لأن تعليق التمائم والتعلق بها شرك أصغر بالله جل وعلا وقد يكون أكبر بحسب الحال كما سيأتي.

قال (ولابن أبي حاتم عن حذيفة : أنه رأى رجلاً في يده خيط مِنَ الحُمَّى، فقطعه، وتلا قوله ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ**﴾[يوسف:106]**)** مناسبة هذا الحديث أو الأثر للباب ظاهرة مِن أن حذيفة الصحابي رأى رجلا في يده خيط، هذا الخيط (**مِنَ الحُمَّى**)، (**مِنَ**) هنا تعليلية؛ يعني علَّق الخيط لأجل رفع الحمى أو لأجل دفع الحمى، و(**مِنْ**) لها استعمالات شتى مر بنا في أول الباب أنها تبعيضية وهنا أيضا أنها تعليلية، لها أحوال كثيرة جمعها ابن أم قاسم في نظمه لبعض حروف المعاني بقوله:

أتتنا مِنْ لتبيين وبعض ... وتعليل وبدء وانتهاء
وزائدة وإبدال وفصل ... ومعنى عن وعلى وفي بعد

فمنها أن من تكون للتعليل، فقوله (رأى رجلاً في يده خيط مِنَ الحُمَّى) يعني لأجل دفع الحمى أو لأجل رفع الحمى، فـ(**من**) تعليل لوضع الخيط في اليد.

قال (**فقطعه**) وهذا يدل على أن هذا منكر عظيم يحب لإنكاره ويجب قطعه.

قال (وتلا قوله ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ**﴾[يوسف:106]**)**. قال السلف في هذه الآية (**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ**) يعني بأن الله هو الرب وهو الرزاق وهو المحيي وهو المميت؛ يعني توحيد الربوبية, (**إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ**) به جل وعلا في العبادة، فليس توحيد الربوبية بمُنْجٍ بل لا بد أن يوحد الله في العبادة.

وهذا الدليل في الشرك الأكبر، وقد قال المصنف رحمه الله: أن الصحابة يستدلون بما نزل في الشرك الأكبر على الشرك الأصغر.[1]

•

[الأسئلة]:

[س/ وهذا يقول قرأت في كتاب من أحد المؤلفين ينقل فيه: إذا خفت على ولدك أو نفسك من العين فضع نقطة سوداء على الجبهة لتصرف عنك العين.

ج/ اعتقادات الناس في دفع العين لا حصر لها، والجامع لذلك أنّ كل شيء يفعله الناس مما يعتقدونه سببا وليس هو بسبب شرعي ولا قدري فإنه لا يجوز اتخاذه، وهذا يختلف عما جاء عن عمر أنه رأى غلاما صغيرا حسن الصورة وخاف عليه العين فقال لأهله: دسموا نونته. ففعلوا هذا من إظهار

---

[1] انتهى الشريط الثالث.

عدم الحسن، ليس التدسيم -وهو وضع النقطة في بعض الوجه-، ليس لأجل أن تدفع تلك النقطة العين؛ ولكن لأجل أن يظهر بمظهر ليس بحسن، فلا تتعلق النفوس الشريرة به.

فإذا وضع هذه النقطة في التي ذكر لأجل اعتقاد أنها تدفع العين هذا من اتخاذ الأسباب الشركية التي لا تجوز.

وإن كان لأجل إظهار عدم الحسن فتلك الصورة الجميلة أو ذلك الجسد المعافى أو نحو ذلك فإن هذا لا بأس به والله أعلم.] [1]

●

باب ما جاء في الرقى والتمائم

في الصحيح عن أبي بَشِيرٍ الأَنْصَارِيّ، أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ ... فِي بَعْضِ ... رَسُولاً: «... يَبْقَيَنّ ... رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ, أَوْ قِلَادَةٌ, إِلاّ قُطِعَتْ».

وعن ابن مسعود، قال: ... «إِنّ الرّقَى وَالتّمائمَ ... شِرْك». رواه أحمد وأبو داود.

(التّمائم) شيء ... على الأولاد ... ؛ لكن إذا ... القرآن, فرخص فيه بعض ... ويجعله ..., ...

و(الرّقى): هي التي تسمى العزائم، وخص منها الدليل ... الشرك فقد ... والحمة.

(التّوَلَة) ... يزعمون ... المرأة ... امرأته.

... عبد الله ... مرفوعاً: «مَنْ تَعَلّقَ شَيْئاً وُكِلَ إِلَيْهِ» ... .

... : «... ! ... الحياة ... بك، فأخبر ... استنجى ... ... بريء ...».

... : «من قطع ... إنسان ... رقبة». رواه وكيع.

وله عن إبراهيم قال: كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير ... .

[الشرح]

(باب ما جاء في الرقى والتمائم) تلحظ أن الباب الأول قال فيه الإمام رحمه الله (باب من الشرك لبس الحلقة والخيط), وهنا قال (باب ما جاء في الرقى والتمائم)، ولم يقل: باب من الشرك الرقى والتمائم؛ ذلك لأن الرقى منها ماهو جائز مشروع ومنها ما هو شرك، والتمائم منها ما هو متفق عليه أنه شرك ومنها ما قد اختلف الصحابة فيه هل هو من الشرك أم لا؟ لهذا عبّر رحمه الله بقوله (باب ما جاء في الرقى والتمائم) وهذا من أدب التصنيف .

---

[1] مأخوذ من الوجه الثاني للشريط السابع من باب الشفاعة.

الرقى: جمع رقية، والرقية معروفة قد كانت العرب تستعملها، وحقيقتها أنها أدعية وألفاظ تُقال أو تتلا ثم يُنْفَثُ بها، ومنها ما له أثر عضوي في البدن، ومنها ما له أثر على الأرواح، ومنها ما هو جائز مشروع، ومنها ما هو شرك.

والنبي عليه الصلاة والسلام رَقَى ورُقِيَ؛ رقى غيره ورَقى نفسه عليه الصلاة والسلام ورُقي أيضا؛ رقاه جبريل ورقته عائشة ونحو ذلك.

فهذا الباب معقود لبيان حكم الرقى، قال (**باب ما جاء في الرقى والتمائم**)، وقد رخّص الشرع من الرقى بالتي ليس فيها شرك؛ بالرقى التي خلت من الشرك، وقد قال بعض الصحابة للنبي عليه الصلاة والسلام يسأله عن الرقى فقال «**اعْرِضُوا علَيّ رُقَاكُمْ. لاَ بَأْسَ بِالرّقَى مَا لَمْ يَكُنْ شِرْكٌ**».

قال العلماء : الرقية تجوز بثلاثة شروط أُجمع عليها:

الأول : أن تكون بالقرآن أو بأسماء الله أو بصفاته.

الثاني: أن تكون بالكلام العربي أي بلسان عربي مفهوم؛ يُعلم معناه.

والثالث: أن لا يعتقد أنها تنفع بنفسها؛ بل الله جل وعلا هو الذي ينفع بالرقى.

قال بعض العلماء يدخل في الأول السنة أيضا بما ثبت في السنة؛ يعني يكون الشرط الأول: أن تكون من القرآن أو بالسنة أوبأسماء الله وبصفاته.

هذه شروط ثلاثة لكون الرقى جائزة بالإجماع.

إذا لم تكن من الأول أو الثاني يعني إذا تخلف الأول أو الثاني ففيها خلاف بين أهل العلم.

والثالث لابد منه؛ شرط متفق عليه، من أن الرقى لابد لمن تعاطاها أن لا يعتقد فيها.

وأمّا من جهة كونها بأسماء الله وصفاته أو بالكتاب والسنة أو أن تكون بلسان عربي مفهوم فإن هذا مختلف فيه.

وقال بعضهم يسوغ أن تكون الرقية بما يعلم معناه ويصح المعنى بلغة أخرى، لا يشترط أن تكون بالعربية، ولا يشترط أن تكون من القرآن أو السنة.

وهذه مسائل فيها خلاف وبحث ومن جهة تأثير أيضا غير القرآن على المرقي، وفي هذا مسائل نُرْجئ تفصيل ذلك إلى موضع آخر إن شاء الله.

المقصود أن الرقى الجائزة هي بالإجماع هي من أجمعت فيه ثلاث شروط.

وأمَّا الرقى الشركية فهي التي فيها استعاذة أو استغاثة بغير الله، أو كان فيها شيء من أسماء الشياطين، أو اعتقد أن المَرقي فيها بأنها تؤثر بنفسها، فهذا يكون الرقية غير جائزة، ومن الرقى الشركية، قد قال عليه الصلاة والسلام «**إنّ الرّقَى وَالتّمائمَ وَالتّوَلَةَ شِرْك**» كما سيأتي.

إذن الحاصل من ذلك أنَّ الرقى منها ما هو جائز مشروع ومنها ما هو شركي، علمتَ ضابط الجائز المشروع، وعلمت ما هو من جهة الشرك.

(**والتمائم**) التمائم جمع تميمة وقد ذُكر تفسيرها مختصر من قبل، وهي تجمع أنواعا كثيرة، فالتمائم تجمع كل ما يُعلّق أو يُتخذ مما يراد منه تتميم أمر

الخير للعبد أو دفع الضرر عنه، ويَعتقد فيه أنه سبب، ولم يجعل الله جل وعلا ذلك الشيء سببا لا شرعا ولاقدرا.

فالتميمة شيء يُعلق إمّا جلدا مثلا، يكون من جلد خاص يعلق على الصدر، أو يكون فيه أذكارا وأدعية وتعوُّذات تُجعل أيضا معلقة على الصدر أو في العضد، أو خرزات وحبال ونحو ذلك تجعل على الصدر تعلق، أو شيء يُجعل على باب البيت أو يجعل في السيارة أو يُجعل في مكان ما, يَجمع التمائم أنها شيء يراد منه تتميم أمر الخير وتتميم أمر دفع الضر، وذلك الشيء لم يُؤذن به شرعا ولم يؤذن به أيضا قدَرا.

فإذن كالتميمة ليست خاصة بصورة معينة؛ بل تشمل أحوالا كثيرة، تشمل أصنافا عديدة.

منها مما هو في زمننا الحاضر ما تراه على كثيرين من شيء يعلقونه في صدورهم، يعلق شيء ثم تكون جلدة صغيرة في الصدر، أو على العضد، أو يربط في البطن تميمة لدفع مثلا أمراض البطن أو الإسهال أو التقيُّء ونحو ذلك.

أو شيء يتخذ في السيارة، كما ترى بعض السيارات فيها رأس دب مثلا، أو أرنب أو يضع بعض الأشكال كحذوة الفرس أو يضع خرز على المراية الأمامية، أو يضع مسبحة على شكل معين من خشب ونحو ذلك، هذه وأصنافها من أنواع التمائم، ولها أشكال كثيرة تختلف مع إختلاف الأزمان، ويُحدث منها الناس شيئا كثيرا.

أو يلبس سلسلة وعليها شكل عين صغيرة، أو يعلق على مدخل الباب رأس ذئب أو رأس غزال، أو يضع على مَطْرَق الباب حذوة فرس.

هذه من التمائم التي يريد منها أصحابها أن تدفع عنهم العين، أو أن تجلب لهم نفعا.

بعض الناس يقول أعلّق ولا أستحضر هذه المعاني؛ أعلّق هذا في السيارة للزينة، أعلقه في البيت للجمال، ونحو ذلك من قول طائفة قليلة من الناس.

ونقول: إن علّق التمائم للدفع أو الرفع فإنه شرك أصغر إن إعتقد أنها سبب, وإن علقها للزينة فهو محرَّم لأجل مشابهته من يشرك الشرك الأصغر.

فإذن دار الأمر على أن التمائم كلها منهي عنها، سواء إعتقد فيها أو لم يعتقد؛ لأن حاله إن إعتقد فهو في شركٍ أصغر، وإن لم يعتقد فإنه شابه أولئك المشركين، وقد قال عليه الصلاة والسلام «**مَنْ تَشَبّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**».

قال رحمه الله تعالى (في الصحيح عن أَبي بَشِيرٍ الأَنْصَارِيّ ، أَنّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللّهِ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ. قَالَ فَأَرْسَلَ رَسُولاً : «**أَنْ لاَ يَبْقَيَنّ فِي رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلاَدَةٌ مِنْ وَتَرٍ, أَوْ قِلاَدَةٌ, إِلاّ قُطعَتْ**») هذا الحديث وجه الاستدلال منه على أن تعليق القلادة من الوتر على البعير مأمور بقطعه، والأمر بقطعه لأجل أن العرب تعتقد أنها تدفع العين عن الأبعرة، تدفع العين

عن النَّعم، فيعلقون الأوتار على شكل قلائـد وربمـا نـاطوا بالأوتـار أشـياء إمّـا خرز وإمّا شعر أو نحو ذلك ليدفع، فهذا نوع من أنواع التمائم.

فمناسبة هذا الحديث للباب ظاهرة وهي أن قـوله (**لاَ يَبْقَيَنّ فِـي رَقَبَـةِ بَعِيرٍ قِلاَدَةٌ مِنْ وَتَرٍ, أَوْ قِلاَدَةٌ, إِلاّ قُطعَتْ**) ظاهر في النهي عن التمـائم وأن هذا النوع يجب قطعه، لم يجب قطعه؟ لأن في تعليقه اعتقاد أنه يـدفع أو يجلب النفع، وهذا الاعتقاد اعتقاد شركي.

قال (وعن ابن مسعود ، قال: قال سَمِعْتُ رَسُولَ الله يَقُولُ: «**إنّ الرّقَى وَالتّمائمَ وَالتّوَلَةَ شِرْك**») هذا الحديث فيه التأكيد، قال (**إنّ الرّقَى وَالتّمائمَ وَالتّوَلَةَ شِرْك**) ومعلوم أن دخول (**إنّ**) على الجملة الخبرية يفيد تأكيد ما تضمنته، و(**الرّقى**) هنا لما دخلت عليها الألف واللام عمت، فهذا الحديث أفاد أن كل الرقى من الشرك. وأن كل التمائم من الشرك وأن كل التولة من الشرك، قال: إن الرقى شرك. فكل الرقى شرك، وقال: إن التمائم شرك. فإذن كل التمائم شرك، وقال: إن التولة شرك. فإذن كل أنواع التِّولة شرك.

فهذا العموم خُص في الرقى بالنص وحدها، خُص في الرقى لقوله «**لاَ بَأْسَ بِالرّقَى مَا لَمْ يَكُنْ شِرْكٌ**» وبأن النبي عليه الصلاة والسلام رقى ورُقي عليه الصلاة والسلام.

فإذن الرقى دلّ الدليل على أنّ العموم هاهنا مخصوص، وليس كل أنواع الرقية شرك؛ بل بعض أنواع الرقية وهي التي اشتملت على شرك.

فإذن العموم هنا مخصوص بأنه خرج من ذلك ما لم يكن فيه شرك «**لاَ بَأْسَ بِالرّقَى مَا لَمْ تَكُنْ شِرْكا**»، وفي لفظ آخر قال «**لاَ بَأْسَ بِالرّقَى مَا لَمْ يَكُنْ شِرْكٌ**».

أما التمائم فلم يأت دليل يخصُّ نوعا من نوع؛ بل يبقى هذا اللفظ على عمومه (**إنّ الرّقَى وَالتّمائمَ وَالتّوَلَةَ شِرْك**) فما جاء ما يخصُّ نوعا من التمائم دون نوع من الشرك، فتكون إذن التمائم بأنواعها شرك؛ لأن ما لم يرد فيه تخصيص من الشارع فإن العموم يجب أن يبقى؛ لأن التخصيص شرع، وهذا الشرع لابد أن يأتيَ من الشارع، فنُبقي العموم على عمومه.

قال (**وَالتّوَلَةَ**)، التِّولة كما فسرها الشيخ رحمه الله (**شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى زوجه**) نوع من الشرك.هو يسمى عند العامة والصرف والعطف، نوع من السحر يُصنع فيجلب شيئا ويدفع شيئا بحسب اعتقادهم، وهي في الحقيقة نوع من أنواع التمائم لأنها تُصنع ويكون الساحر هو الذي يرقي فيها الرقية الشركية، فيجعل المرأة تحب زوجها أو يجعل الرجل يحب زوجته.

وهذا نوع من أنواع السحر، والسحر شرك بالله جل وعلا وكفر، وهذا أيضا عموم وكل أنواعه شرك.

قال (وعن عبد الله بن عُكيم مرفوعاً: «**مَنْ تَعَلّقَ شَيْئاً وُكِلَ إِلَيْهِ**»)، (**مَنْ تَعَلّقَ شَيْئاً**)، (**شَيْئاً**) هنا نكرة في سياق الشرط فتعم جميع الأشياء، فكل من

علَّق شيئا وُكل إليه، فمن أخرج صورة من صور التعليق كانت الحجة عليه؛ لأنَّ هذا الدليل عام، فهذا الدليل فيه أن من تعلق أيَّ شيء من الأشياء فإنه يوكل إليه، والعبد إذا وُكل إلى غير الله جل وعلا فإنّ الخسارة أحاطت به من جنباته، والعبد إنما يكون عِزُّه ويكون فلاحه ونجاحه وحُسن قصده وحسن عمله أن يكون متعلِّقا بالله وحده؛ يتعلق بالله وحده في أعماله، في أقواله، في مستقبله، في دفع المضار عنه, قلبه يكون أُنسه بالله، وسروره بالله وتعلقه بالله وتفويض أمره إلى الله وتوكله على الله جل وعلا.

ومن كذلك وتوكل على الله وطرد الخلق من قلبه، فإنه لو كادته السموات والأرض من بينها لجعل له من بينها مخرجا؛ لأنه توكل وفوض أمره على الله العظيم جل جلاله وتقدست أسماؤه.

فقال هنا (**مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً وُكِلَ إِلَيْهِ**) فإذا تعلَّق العبد تميمة وُكِل إليها، وما ظنك بمن وُكل إلى خرقة أو إلى خرز أو إلى حذوة حصان أو إلى شكل حيوان ونحو ذلك لا شك أن خسارته أعظم الخسارة.

قال هنا (**مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً**) وجه الاستدلال كما ذكرتُ لك من أنه ذكر نتيجة التعلق وهو أنه يوكل إلى ذلك الشيء، فمن تعلق شيئا وُكل إليه، وإذا وكل إليه فمعنى ذلك أنه خسر في ذلك.

الشيخ رحمه الله -كما ذكرتُ لك- ما صدر الباب بحكم، فيكون الاستدلال بهذه على ما دلت عليه الأحاديث.

قال (**التمائم شيء يعلق على الأولاد يتقون به العين**) شيء يشمل أي شيء يعلق دون صفة معينة بعض العلماء التمائم خرز وبعضهم قال جلدة ونحو ذلك، وهذا ليس بجيد؛ بل التمائم اسم يعم كل ما يعلق لدفع العين لاتقاء الضرر أو لجلب خير نفسي.

قال (**لكن إذا كان المعلَّق من القرآن فرخّص به بعض السلف**)، (**إذا كان المعلَّق من القرآن**) بمعنى أنه جعل في منزله مصحفا ليدفع العين، أو علق على صدره شيئا -سورة الإخلاص أو آية الكرسي- ليدفع العين أو ليدفع الضرر عنه، هذا من حيث التعليق تميمة، فهل هذه التميمة جائزة أم غير جائزة؟ قال الشيخ رحمه الله: إن التمائم إذا كانت من القرآن فقد اختلف فيها السلف. فقال بعضهم بجوازها (رخص فيها بعض السلف)؛ يعني ببعض السلف بعض كبار الصحابة ومالَ إليه بعض أهل العلم الكبار، وبعضهم لم يرخص فيها كابن مسعود وكأصحاب ابن مسعود الكبار إبراهيم وعلقمة وعَبِيدة والربيع ابن خيثم والأسود وأصحاب ابن مسعود جميعا. فالسلف اختلفوا في ذلك.

ومن المعلوم أن القاعدة أن السلف من الصحابة ومن بعدهم إذا اختلفوا في مسألة وجب الرجوع فيها إلى الدليل.

والدليل دلَّ على أن كل أنواع التمائم منهي عنها (**مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً وُكِلَ إِلَيْهِ**), إن التمائم شرك؛ (**إنّ الرّقَى وَالتّمائمَ وَالتّوَلَةَ شِرْك**) فمن تعلَّق القرآن؛ من علَّقه كان داخلا في المنهيِّ عنه؛ لكن لمّا كان معلِّقا للقرآن بأنه

لم يشرك لأنه علق شيئا من صفات الله جل وعلا وهو كلام الله جل وعلا، فما أشرك مخلوقا؛ لأن الشرك معناه أن تُشرك مخلوقا مع الله جل وعلا، والقرآن ليس بمخلوق؛ لأنه كلام الله جل وعلا منه بدأ وإليه يعود.

فإذن صار تعليق التميمة من القرآن خرجت؛ لأجل كون القرآن ليس بمخلوق من العموم، وهو قوله: إن التمائم شرك.

فبقي هل هي منهي عنها أم غير منهي عنها؟ قال عليه والسلام (**مَنْ تَعَلّقَ شَيْئاً وُكِلَ إِلَيْهِ**) ونهى عن التمائم بأنواعها، فدلَّ ذلك على أن تخصيص القرآن بالإذن من بين التمائم ومن بين ما يعلق يحتاج إلى دليل فيه؛ لأنّ إبقاء العموم على عمومه هذا إبقاء لدلالة ما أراد الشارع الدلالة عليه من الألفاظ اللغوية، والتخصيص نوع من أنواع التشريع لابد فيه من دليل واضح.

لهذا صارت الحجة مع من يجعل التمائم التي من القرآن مما لا يُرخص فيه كابن مسعود وكغيره من الصحابة رضوان الله عليهم، وكذلك هو قول عامة أهل العلم، وهو رواية عن الإمـام أحمد اختارها المحققون من أصحابه، وعليها المذهب عند المتأخرين.

بقي أن نقول إن في إجازة اتخاذ التمائم من القرآن، إن في تجويزها مفاسد، وفي تجويز اتخاذ التمائم من القرآن أنواع من المنكر:

الأول: أنه إذا اتُّخذت التميمة من القرآن، فإننا إذا رأينا من عليه التميمة فسيشتبه علينا الأمر، هل هذه تميمة شركية أم من القرآن؟ وإذا ورد الاحتمال فإن المنكِر على الشركيات يضعف يقول احتمال أنها من القرآن، فإجازة تعليق التمائم من القرآن فيه إبقاء التمائم الشركية؛ لأن حقيقة التميمة التي تعلَّق أنها تكون مخفية غالبا في جلد، أو في نوع من القماش ونحو ذلك، فإذا رأينا صورة التعليق وقلنا هذا يحتمل أن يكون كذا، فإذا استفصلت منه وقلت له هل هذه تميمة شركية أو من القرآن، معلوم أن صاحب المنكر دائما سيختار أن تكون من القرآن حتى ينجو من الإنكار؛ لأنه يعتقد في هذه؛ يُريد أنه يسلم له تعليقها، فهذا من المفاسد العظيمة؛ أن في إبقائها إبقاء للتمائم الشركية، وفي النهي عنها سد لذريعة الإشراك بالتمائم الشركية، ولو لم يكن إلا هذا لكان كافيا.

الثاني: أن الجهلـة مـن النـاس إذا علقـوا التمـائم مـن القـرآن فـإنهم يتعلقون بها؛ يتعلق قلبهم بهـا، ولا تكـون عنـدهم مجـرد أسـباب، وإنمـا تكـون عندهم فيها خاصية من الخصائص التي تكـون بنفسـها يـأتي بالشـيء أو تـدفع الشيء، وهذا الأشياء فتـح لبـاب اعتقـادات فاسـدة علـى النـاس يجـب أيضـا وصده، ومن المعلوم أن الشريعة جاءت بسد الذرائع.

أيضا من المفاسد المتحققة عامة في ذلك أنه إذا علق شيئا من القرآن فإنه يمتهنه، ينام عليه أو يدخل به مواضع قـذرة، أو يكـون معـه فـي حـالات لا يكون من الحسن أن يكون معه قرآن فيها أو آيات، وهـذا ممـا ينبغـي اجتنـابه وتركه.

إذن لم تتحصل أن تعليق التمائم بالدليل وبالتعليل لا يجوز، فما كان منها من القرآن فنقول يحرم على الصحيح ولا يجوز ويجب إنكاره، وما كان منها من غير القرآن وتعلّق تمائم عامة فهذا نقول إنه من الشرك بالله لقول النبي ﷺ (**إنّ الرّقَى وَالتّمائمَ وَالتّوَلَةَ شِرْكٌ**)، والتخصيص نوع من العلم يجب أن يكون فيه دليل.

نقف عند هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

وقفنا عند قوله (وروى أحمد عن رويفع، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «

في مقام إعتاق رقبة ذلك الذي قطعه [illegible] النار؛ لأنه استوجب [illegible] الوعيد [illegible] جزاءه [illegible] ثيب [illegible].

[illegible] محمول على [illegible] الصحابة رضوان [illegible] بالرأي، [illegible] خطة [illegible] والإمام [illegible] والشافعي [illegible].

[illegible]

[illegible]

[illegible] الصيغة [illegible].

[illegible] (وله) [illegible] (عن إبراهيم) [illegible] قال: (كانوا يكرهون التمائم [illegible] القرآن وغير [illegible]). [illegible] (كانوا)، [illegible] إبراهيم النخعي [illegible] يأخذ [illegible] مسعود [illegible] تلامذة [illegible] [1] [illegible] هؤلاء.

[الأسئلـة]

س/ هذا أيضا يسأل يقول: ما حكم من يضع آية الكرسي في السيارة، أو يضع مجسم فيه أدعية، أدعية ركوب السيارة أو أدعية السفر وغيرها من الأدعية؟

ج/ نقول: هذا فيه تفصيل:

فإن كان وضع هذه الأشياء ليتحفظها ويتذكر قراءتها فهذا جائز، كمن يضع المصحف أمام السيارة أو يضعه معه لأجل أنه إذا كانت فرصة هو أو من معه أن يقرأ فيه، فهذا جائز لا بأس به.

لكن إن وضعها تعلقا لأجل أن تدفع عنه فهذا هو الكلام في مسألة تعليق التمائم من القرآن فلا يجوز ذلك على الصحيح ويحرم.

س/ ما رأي فضيلتكم ببعض الأواني التي يكتب عليها بعض الآيـات، والـتي تباع في بعض المحلات التجارية؟

---

[1] قال الشيخ عبد العزيز ابن باز في شرحه: ابراهيم بن يزيد النخعي من التابعين من أصحاب أصحاب ابن مسعود.

ج/ هذه الأواني يختلف حالها:
إن كان يستخدمها؛ لأجل أن يتبرك بما كتب فيها من الآيات فيجعل فيها ماء ويشربه؛ لأجل أن الماء يلامس هذه الآيات، فهذا من الرقية غير المشروعة؛ لأن الرقية المشروعة ما كانت الآيات في الماء، وهذه الآيات لم تنحلَّ في الماء؛ لأنها من معدن أو من نحاس، والتصاق الماء بتلك الكتابات آيات أو أدعية لا يجعل الماء بذلك مباركا أو مقروءا فيه، فإذا اُتخذت لذلك فهذا من الرقية غير المشروعة.
وأما إذا أخذها للزينة أو لجعلها في البيت أو لتعليقها فهذا كرهه كثير من أهل العلم؛ لأن القرآن ما نزل لتزيَّن به الأواني أو تزين به الحيطان، وإنما نزل للهداية ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾[الإسراء:9].
س/ بعض الناس يضع المصحف في درج السيارة وذلك بقصد أن للمصحف أثر في رد العين والبلاء نرجو التوضيح؟
ج/ إذا كان يقصد من وضع المصحف في درج السيارة أو على طبلون السيارة الأمامي أو خلف السيارة أن يدفع عنه وجود المصحف العين، فهذا من اتخاذ المصحف تميمة، وقد مرّ معكم بالأمس حكم التمائم من القرآن، وأن الصحيح لا يجوز أن يجعل القرآن تميمة ولا أن يجعل القرآن لوجوده يعني المصحف دافعا للعين؛ لكن الذي يدفع العين قراءة القرآن والأدعية المشروعة والاستعاذة بالله جل وعلا ونحو ذلك مما جاء في الرقية.
فتحصَّل على أن وضع القرآن لهذه الغاية داخل في المنهي عنه، وهو من اتخاذ التمائم من القرآن، لمّا كان القرآن غير مخلوق وهو كلام الله جل وعلا لم تصر هذه التميمة شركية، وإنما يُنهى عنها لأن النبي ﷺ لم يستعمل هذا ولم يجعل في عنق أحد من الصحابة لا الصغار ولا الكبار، ولا أذنَ ولا وجّه بأن يُجعل القرآن في شيء من صدورهم أو في عضد أحدهم أو في بطنه، ومعلوم أن مثل هذا لو كان دواءً مشروعا أو رقية سائغة أو تميمة مأذون بها لرُخِّص فيها، سيما مع شدة حاجة الصحابة إلى ذلك.
وتعليق القرآن أيسر من البحث عن راق يرقي ويطلب منه وربما يكافَأ على رقيته، فلما كان هذا أيسر والنبي ﷺ لم يرشدهم إلى الأيسر وقد بعث ميسرا، عُلم مع ضميمة الأدلة التي ذكرتها لكم بالأمس أنَّ هذا من جنس غير المشروع. والله أعلم.
هذا ونكتفي بهذا القدر ونبدأ بكتاب التوحيد.
[س/ ما حكم من يضع على السيارات أو المنازل عبارات مثل ما شاء الله أو تبارك الله أو هذا من فضل ربي؟
ج/ هذا له نفس حكم تعليق بعض الآي أو الآي على الحيطان أو في السيارات أو نحو ذلك.
فإن كان المقصود منها الإرشاد إلى عمل شرعي مسنون فهذا مشروع أو مباح.

وأما إن كان القصد منها الحِفظ أن تحفظه وأن تحرسه من العين أو من الأذى فهذا راجع إلى اتخاذ التمائم من القرآن ونحوه.] [1]

[س/ بعض أصحاب السيارات الخاصة [كالليموزين] وسيارات النقل الكبيرة يضعون على أطراف السيارة خرقا سوداء اعتقادا منهم بأنها حروز تمنعهم الحوادث، فهل نقوم بنزعها أم ماذا نفعل ؟

ج/ بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

أمّا بعد:

إذا كان الأمر كما وصفه السائل من جهة وضع تلك الشارات أو الخرق ومن جهة اعتقاد أهلها فيها فيجب نزعها، ومن نزعها فله فضل نزع التمائم من أماكنها، أو تخليص أصحابها منها؛ لكن هذا متوقف على أن يعلم أنهم وضعوها لهذا الغرض، فإن وضع الشارات لمثل هذا الغرض غير معروف أنه لأجل دفع التمائم، فإذا كان بعض الناس يستعملها لدفع الشر ويستعملها لأنها تمائم، فهذه يجب نزعها، ومن رآها لا يحل له أن يتعداها حتى ينزعها لأنها اعتقاد في غير الله ولأنها نوع من أنواع المنكر واعتقاد ذلك فيها كبيرة من الكبائر وشرك أصغر بالله جل وعلا.] [2]

●

باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما

وقول الله تعالى ﴿**أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّى(19)وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى(20)أَلَكُمْ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى(21)تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى**﴾[النجم:19-22].

وعن أبي وَاقِدٍ اللّيْثِيّ ، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ،ونحن حدثاء عهد [illegible] وللمشركين [illegible] ة [illegible] طون [illegible] لها: ذات [illegible] اجْعَلْ [illegible] [illegible] «[illegible]! [illegible]! [illegible] إسرائيل [illegible] ﴿[illegible] إِلَهًا [illegible] آلِهَةٌ [illegible]﴾ [illegible]». [illegible] [[illegible]].

[illegible]

قال رحمه الله (**باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما** وقول الله تعالى ﴿**أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّى**﴾ الآيات).

(**باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما**) يعني ما حكمه؟

الجواب هو مشرك؛ يعني: باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما فهو مشرك.

وقوله (**من تبرَّك**), التبرك: تفعُّلٌ من البركة، وهو طلب البركة، والبركة مأخوذة من حيث الاشتقاق من مادة بُرُوك أو من كلمة بِرْكة.

أما البروك فبروك البعير يدلّ على ملازمته وثبوته في ذلك المكان.

---

[1] مأخوذ من الوجه الثاني للشريط السابع من باب الشفاعة.

[2] مأخوذ من الوجه الأول من الشريط الثامن.

والبِرْكة وهي مجمتع الماء يدل على كثرة الماء في هذا الموضع وعلى لزومه له وعلى ثباته في هذا الموضع.

فيكون إذا معنى **البركة** كثرة الشيء الذي فيه الخير وثباته ولزومه.

فالتبرك: هو طلب الخير الكثير وطلب ثباته وطلب لزومه, تبرَّك يعني طلب البركة، والنصوص في القرآن والسنة دلّت على أنَّ البركة من الله جل وعلا، وأن الخلق لا أحد يبارك أحدا وإنما هو جل وعلا يبارك قال سبحانه ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ**﴾[الفرقان:1]؛ يعني عَظُم خير من نزل الفرقان على عبده وكثر ودام وثبت، ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ**﴾[الملك:1]، وقال سبحانه﴿**وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ**﴾[الصافات:113]، وقال ﴿**وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا**﴾[مريم:131]، فالذي يُبارك هو الله جل وعلا، فلا يجوز للمخلوق أن يقول باركتُ على الشيء أو أبارك فعلكم؛ لأن لفظ البركة ومعنى البركة، إنما من الله؛ لأن الخير كثرته وثباته ولزومه إنما هو من الذي بيده الأمر.

والنصوص في الكتاب والسنة دلت على أن البركة التي أعطاها الله جل وعلا بالأشياء:

- إمّا تكون الأشياء هذه أمكنة أو أزمنة.
- وإمّا أن تكون تلك الأشياء من بني آدم؛ يعني مخلوقات آدمية.

أمَّا الأمكنة والأزمنة: فظاهر أن الله جل وعلا حين بارك بعض الأماكن كبيت الله الحرام، وكما حول بيت المقدس ﴿**الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ**﴾[الإسراء:1]، بالأرض المباركة ونحو ذلك, أنّ معنى أنها المباركة أن يكون فيها الخير الكثير اللازم الدائم لها، ليكون ذلك أشجع في أن يلازمها أهلُها الذين دُعوا إليها.

وهذا لا يعني أن يُتمسح بأرضها، أو أن يُتمسح بحيطانها، فهذه بركة لازمة لا تنتقل بالذات؛ فبركة الأماكن أو بركة الأرض ونحو ذلك هي بركة لا تنتقل بالذات؛ يعني إذا لمست الأرض أو دفنت فيها أو تبركت بها فإن البركة لا تنتقل بالذات، وإنما الأرض المباركة من جهة المعنى.

كذلك بيت الله الحرام هو مبارَك لا من جهة ذاته؛ يعني أن يُتمسح به فتنتقل البركة، وإنما هو مبارك من جهة ذاته من جهة المعنى؛ يعني اجتمعت فيه البركة التي جعلها الله في هذه البِنية من جهة تعلق القلوب بها وكثرة الخير الذي يكون لمن أرادها وأتاها وطاف بها وتعبَّد عندها.

حتى الحجر الأسود هو حجر مبارَك، ولكن بركته لأجل العبادة؛ يعني أنه من استلمه تعبُّدا مطيعا للنبي ﷺ في استلامه له وفي تقبيله فإنه يناله به بركة الإتباع، وقد قال عمر ﷺ لمّا قبّل الحجر: إني لأعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر -قوله (لا تنفع ولا تضر) يعني لا ينقل لأحد شيء من النفع ولا يدفع عن أحد شيء من الضر- ولو لا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك. هذا من جهة الأمكنة.

وأمّا الأزمنة: فمعنى كون الزمـان مباركا مثل شهر رمضان أو بعض أيام الله الفاضلة؛ يعني أن من تعبد فيها ورَامَ الخير فيها، فإنه يناله من كثرة الثواب ما لا يناله في ذلك الزمان.

والقسم الثاني البركة المنوطة ببني آدم: والبركة التي جعلها الله جل وعلا في الناس إنما هي بركة فيمن آمن؛ لأن البركة من الله جل وعلا، وجعل بركته للمؤمنين به، وسادة المؤمنين هم الأنبياء والرسل، والأنبياء والرسل بركتهم بركة ذاتية؛ يعني أن أجسامهم مباركة، فالله جل وعلا جعل جسد آدم مباركا، وجعل جسد إبراهيم عليه السلام مباركا، وجعل جسد نوح مباركا، وهكذا جسد عيسى وموسى عليهم جميعا الصلاة والسلام، جعل أجسادهم مباركة؛ بمعنى أنه لو تبرك أحد من أقوامهم بأجسادهم إما بالتمسح بها أو بأخذ عَرَقها أو بأخذ بعض الشعر فهذا جائز؛ لأن الله جعل أجسادهم مباركة.

وهكذا النبي محمد بن عبد الله جسده أيضا جسد مبارك، ولهذا جاءت الأدلة في السنة أن الصحابة كانوا يتبركون بعرقه, يتبركون بشعره، وإذا توضأ اقتتلوا على وَضوئه، وهكذا في أشياء شتى.

ذلك لأن أجساد الأنبياء فيها بركة ذاتية يمكن معها نقل أثر هذه البركة أو نقل البركة والفضل والخير من أجسادهم إلى غيرهم.

وهذا مخصوص بالأنبياء والرسل، أما غيرهم فلم يرد دليل على أنّ تَم من أصحاب الأنبياء من بركتهم بركة ذاتية، حتى أفضل هذه الأمة أبو بكر وعمر فقد جاء بالتواتر القطعي أنَّ الصحابة والتابعين والمخضرمين لم يكونوا يتبركون بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي بجنس تبركهم بالنبي بالتبرك بالشعر أو بالوضوء أو بالنُّخامة أو بالعَرَق أو بالملابس ونحو ذلك.

فعلمنا من ذلك التواتر القطعي أنّ بركة أبي بكر وعمر إنما هي بركة عمل، ليست بركة ذات تنتقل كما هي بركة النبي .

ولهذا جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في صحيحه أن النبي قال«**إنّ منَ الشجَر لمَا بَرَكتُه كبركةِ المسلم**»، فدلّ على أن في كل مسلم بركة، وأيضا فيه يعني في البخاري قال أحد الصحابة: **ما هذه بأَوّلِ برَكَتِكمْ يا آلَ أبي بكرٍ.** هذه البركة التي أضيفت لكل مسلم وأضيفت لآل أبي بكر بركة عمل، هذه البركة راجعة إلى الإيمان وإلى العلم والدعوة والعمل.

فنقول: كل مسلم فيه بركة، هذه البركة ليست بركة ذات، وإنما هي بركة عمل، بركة ما معه من الإسلام والإيمان وما في قلبه من والإيقان والتعظيم لله جل وعلا والإجلال له، والإتباع لرسوله .

هذه البركة بركة العلم أو بركة العمل أو بركة الصلاح لا تنتقل، وبالتالي يكون التبرك بأهل الصلاح هو الإقتداء بهم في صلاحهم؛ التبرك بأهل العلم هو الأخذ من علمهم والاستفادة من علومهم، وهكذا، ولا يجوز أن يُتبرك بهم بمعنى يتمسح بهم أو يُتبرك بريقهم؛ لأن أهل الخلق من هذه الأمة لم يفعلوا ذلك مع خير هذه الأمة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي. وهذا أمـر مقطوع به.

تبرّك المشركين أنهم كانوا يرجون كثرة الخير ودوام الخير ولزوم الخير وثبات الخير بالتوجه إلى الآلـهة.

وهذه الآلـهة:

- يكون منها الصنم الذي من الحجارة.

- ويكون منها القبر من التراب.
- ويكون منها الوثن.
- ويكون منها الشجر.
- ويكون منها البقاع المختلفة؛ غار أو عين ماء أو نحو ذلك.

هذه تبركات مختلفة جميعها تبركات شركية، ولهذا جاء الشيخ رحمه الله قال (**بابُ من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما**)، (**بابُ من تبرك بشجر أو حجر)** الشجر جمع شجرة والشجر معروف والحجر معروف، ذلك أن المشركين كانوا يتبركون بالأشجار والأحجار، حتى في أول الدعوة في هذه البلاد كانت الأشجار كثيرة التي يتبرك بها الأحجار كثيرة.

قال (**ونحوهما**) يعني نحو الشجر والحجر مثل البقاع المختلفة أو غار معين أو قبر معين أو عين ما أو نحو ذلك من الأشياء التي يَعتقد فيها أصل الجهالة.

ما حكمه؟ الجواب: أنه مشرك كما صرّح به الشيخ عبد الرحمن بن حسن في شرحه فتح المجيد.

باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما فهو مشرك.

الشراح في هذا الموضع لم يُفصحوا هل المتبرك بالشجر والحجر شرك أكبر؟ أو شرك أصغر؟

وإنما أدار المعنى الشيخ سليمان رحمه الله في **التيسير** بعد أن ساق تفسير آية النجم ﴿**أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّى**﴾[النجم:19]، قال في آخره: مناسبة الآية للترجمة أنه إن كان إن كان التبرك شركا أكبر فظاهر، وإن كان شركا أصغر فالسلف يستدلون بالآيات التي نزلت في الأكبر على الأصغر.

وتحقيق هذا المقام: أن التبرك بالشجر أو الحجر أو بالقبر أو ببقاع مختلفة قد يكون شركا أكبر وقد يكون شركا أصغر:

 يكون **شركا أكبر**: إذا طلب بركتها معتقدا أن هذا الشجر أو الحجر أو القبر إذا تمسح به أو تمرَّغ عليه أو التصق به يتوسط له عند الله، فإذا اعتقد فيه أنه وسيلة إلى الله، فهذا اتخاذ إلـه مع الله جل وعلا وشرك أكبر، وهذا هو الذي كان يزعمه أهل الجاهلية للأحجار والأشجار التي يعبدونها، وبالقبور التي يتبركون بها، يعتقدون أنهم إذا عكفوا عندها وتمسحوا بها وبالقبور أو تثروا التراب عليها فإن هذه البقعة أو صاحب هذه البقعة أو الرَّوحانية؛ الروح التي تخدم هذه البقعة أنه يتوسط له عند الله جل وعلا، فهذا راجع إلى اتخاذ أنداد مع الله جل وعلا، قد قال سبحانه ﴿**وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**﴾[الزمر:3].

 ويكون **التبرك شركا أصغر**: إذا كان هذا التبرك بنثر التراب عليه، أو إلصاق الجسم بذلك، أو التبرك بعين ونحوها، إذا كان من جهة أنه جعله سببا لحصول البركة، بدون اعتقاد أنه يوصل إلى الله؛ يعني جعله سببا مثل ما يجعل لابس التميمة أو لابس الحلقة أو لابس الخيط، جعل تلك الأشياء سببا، فإذا أخذ تراب القبر ونثره عليه لاعتقاده أن هذا التراب مبارك وإذا لامس

جسمه فإن جسمه يتبارك من جهة السببية فهذا شرك أصغر؛ لأنه ما صرف عبادة لغير الله جل وعلا، وإنما اعتقد ما ليس سببا مأذونا به شرعا سببا.

وأما إذا تمسح بها -كما هي الحال الأولى- تمسح بها وتمرغ بها والتصق بها لتوصله إلى الله جل وعلا، فهذا شرك أكبر مخرج من الملة، ولهذا قال الشيخ سليمان -كما ذكرت لك-:

- إن كان الشرك شركا أكبر فظاهر بالاستدلال بالآية.
- وإن كان شركا أصغر فالسلف يستدلون بما نزل في الأكبر على ما يريدون من الاستدلال في مسائل الشرك الأصغر.

قال(وقول الله تعالى وقول الله تعالى **أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّى** الآيات)، (**أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّى(19)وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى**) هذه الثلاث ذكرتُ لكم أن الهمزة من قبل -يعني بالأمس- أن همزة الاستفهام إذا أتى بعدها فاء فإنه يكون بينها وبين الفاء جملة دلَّ عليها السياق، فمن أول سورة النجم إلى هذا الموضع يدل على المحذوف.

قال (**أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّى(19)وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى**)، (**اللَّاتَ**) هذه صخرة بيضاء عند أهل الطائف، وما هُدمت إلاّ بعد أن أسلمت ثقيف؛ أرسل لها النبي المُغيرة بن شعبة فهدَمَها وكسّرها، وكان عليها بيت ولها سدنة ولها خدم.

المقصود أن (**اللَّاتَ**) صخرة وصفت أنها بيضاء.

وفي قراءة ابن عباس وغيره من السلف قرؤوها (**اللَّاتَّ**)، (**أَفَرَأَيْتُمْ اللاتَّ**), واللاتَّ هذا رجل كان يلتُّ السويق، وكان يعطيهم السويق:

- في رواية على صخرة، فعظموا تلك الصخرة.
- وفي رواية أخرى -يعني على السلف- أنه كان يلتُّ لهم السويق فلما عكفوا على قبره.

فتحصَّل من هذا أن اللاتَ صخرة، وإذا قُرئت اللاتَّ فيكون قبر أو صخرة كان يتعبد عندها ويتصدق ذاك الذي كان يلتّ السويق.

و(**الْعُزَّى**) شجرة كانت بين مكة والطائف، وكانت في الأصل شجرة ثم بني بناء على ثلاث سَمُرَات، وكان هناك لها سدنة وكانت امرأة كاهنة هي التي كانت تخدم ذلك الشرك، ولمّا فتح النبي مكة أرسل إليها خالد بن الوليد فقطع الأشجار الثلاث؛ السمرات الثلاث، وقتل من قتل ولماّ رجع وأخبر النبي ، قال له «**ارجع فإنك لم تصنع شيئا**»، فرجع فرآه السدنة ففروا إلى الجبل، ثم رأى مرأة ناشرة شعرها عُريانة -هي الكاهنة التي كانت تخدم ذلك الشرك وتُحضر الجن لإضلال الناس في ذلك الموضع-، فرآها فعلاها بالسيف حتى قتلها، فرجع إلى النبي قال «**تلك العُزَّى**».

المقصود أن العزى اسم لشجرة كانت في ذلك الموضع، وفي الحقيقة تعلق الناس كان بتلك الشجرة وبالمرأة التي كانت تخدم ذلك الشرك، فلو قُطعت الأشجار وبقيت المرأة فإن المرأة ستغري الناس مرة أخرى بما تذكره لهم أو ما تحكيه لهم أو ما تجيب به مطلبهم عن طريق الجن، فيكون

الشرك ما انقطع، ولهذا قال النبي ﷺ «**تلك العُزَّى**». يعني في الحقيقة هي المرأة التي تغري الناس بذلك وإلاّ فهي شجرة.

كذلك (**مَنَاة**) قال (**وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى**)، (**الْأُخْرَى**) يعني الوضيعة الحقيرة، (**مَنَاة**) هذه أيضا صخرة، سُميت (**مَنَاة**) لكثرة ما يُمْنى عليها من دماء تعظيما لها.

وجه مناسبة الآية للترجمة أن اللاتَ صخرة ومناة صخرة والعزّى شجرة، وما كان يفعله المشركون عند هذه الثلاث فهو عين ما يفعله المشركون في الأزمنة المتأخرة عند الأشجار والأحجار والغيران والقبور، ومن قرأ شيئا مما يصنعه المشركون علم غربة الإسلام في هذه البلاد قبل هذه الدعوة، وأن الناس كانوا على شرك عظيم، وإذا تأملت أحوال ما حولك من البلاد التي ينتشر فيها الشرك وجدت من اتخاذ الأشجار والأحجار آلهة ويُتبرك بها الشيء الكثير.

أعظم من ذلك اتخاذ القبور آلـهة يُتوجه إليها ويُتعبد عندها.

ثم ساق حديث أبي وَاقِدٍ اللَّيْثِيّ قال (وعن أبي وَاقِدٍ اللَّيْثِيّ، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سِدْرَة يعكفون عندها ويَنُطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذاتُ أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا: يا رسولَ الله اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. فقال رسول الله ﷺ: «**الله أكبر! إنها السُّنن! قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[الأعراف: 138]. لَتَرْكَبُنّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**». رواه الترمذي وصححه) هذا الحديث حديث صحيح عظيم، والمشركون كانت لهم سدرة شجرة لهم فيها اعتقاد, واعتقادهم فيها يشمل ثلاثة أشياء:

الأول: أنهم كانوا يعظمونها.

الثاني: أنهم كانوا يعكفون عندها.

الثالث: أنهم كانوا ينوطون بها الأسلحة رجاء نقل البركة من الشجرة إلى السلاح؛ حتى يكون أمضى وحتى يكون خيره لحامله أكثر.

وفعلهم هذا شرك أكبر لأنهم عظموها وعكفوا عندها، والعكوف عبادة وهو ملازمة الشيء على وجه التعظيم والقربة، والثالث أنهم طلبوا منها البركة.

فصار شركهم أكبر لأجل هذه الثلاث مجتمعة.

الصحابة رضوان الله عليهم قالوا يعني من كانوا حديثي عهد بكفر قالوا (**اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ**) ظنوا أن هذا لا يدخل في الشرك وأن كلمة التوحيد لا تهدم هذا الفعل.

ولهذا قال العلماء: قد يغيب عن بعض الفضلاء بعض مسائل الشرك؛ لأن الصحابة وهم أعرف الناس باللغة، هؤلاء الذين كان إسلامهم بعد الفتح خَفِيَت عليهم بعض أفراد توحيد العبادة.

فقال رسول الله (**الله أكبر! إنها السنن! قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾**) شبّه عليه الصلاة والسلام -وانتبه لهذا- شبّه المقالة بالمقالة.

معلوم أن أولئك عبدوا غير الله؛ عبدوا ذات الأنواط، وأمّا أولئك فإنما طلبوا بالقول، والنبي عليه الصلاة والسلام شبه القول بقول قوم موسى (**اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ**) ولم يفعلوا ما طلبوا ولما نهاهم النبي انتهوا، ولو فعلوا ما طلبوا لكان شركا أكبر؛ لكن لما قالوا وطلبوا دون فعل صار قولهم شركا أصغر؛ لأنه كان فيه نوع تعلق بغير الله جل وعلا.

لهذا نقول: إن أولئك الصحابة الذين طلبوا هذا الطلب لما نهاهم النبي انتهوا، وهم لا يعلمون أن هذا الذي طلبوه غير جائز، وإلاّ فلا يظن بهم أنهم يخالفون أمر النبي ويرغبون في معصيته.

فإذن صار الشرك في مقالهم، وأمّا الفعل فلم يفعلوا شيئا من الشرك، وهذا الذي قالوه قال العلماء: هو شرك أصغر وليس بشرك أكبر، ولهذا لم يأمرهم النبي بتجديد إسلامهم.

ودلّ على ذلك قوله (**قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى**) فشبه المقالة بالمقالة، وقد قال الشيخ رحمه الله في المسائل: إنهم لم يكفروا، وأن الشرك منه أكبر ومنه أصغر؛ لأنه لم يأمرهم عليه الصلاة والسلام بتجديد الإسلام.

ظاهر من هذا أن الشرك الأكبر الذي كان فيه المشركون لم يكن راجعا إلى التبرك بذات الأنواط فقط، وإنما كان بالتعظيم والعكوف والتبرك بالتعليق، وقد قلتُ لك إن التبرك بالشجر والحجر ونحو ذلك إذا كان فيه اعتقاد أن هذا الشيء يُقرِّب إلى الله، وأنه يرفع الحاجة إلى الله، أو أن تكون حاجاتهم أرجى إجابة، وأمورهم أحسن إذا تبركوا بهذا الموضع، فهذا شرك أكبر، وهذا الذي كان يصنعه أهل الجاهلية لهذا قلت لك إن فعلهم يشمل ثلاثة أشياء:

- التعظيم -تعظيم العبادة- وهذا لا يجوز إلا لله؛ تعظيم أن هذا يتوصل ويتوسط لهم عند الله جل وعلا وهذا لا يجوز وهذا من أنواع العبادة، واعتقاد شركي.
- والثاني أنهم عكفوا عندها ولازموا، والعكوف والملازمة نوع عبادة، فإذا عكف ولازم تقربا ورجاء ورغبة ورهبة ومحبة هذا نوع من العبادة.
- والثالث التبرك.

فإذن يكون الشرك الأكبر ما ضمّ هذه الثلاث.

وإذا تأملت ما يصنعه عباد القبور والخرافيون في الأزمنة المتأخرة وفي زماننا هذا، وجدت أنهم يصنعون كما كان المشركون الأولون يصنعوا عند اللات وعند العزى وعند مناة وعند ذات أنواط، فإنهم يعتقدون في القبر؛ بل يعتقدون في الحديد الذي يُسيَّج به القبر، فالمشاهد المختلفة في البلاد التي يفشو فيها الشرك أو يظهر فيها الشرك، تجد أنّ الناس يعتقدون في الحائط

الذي على القبر، أو في الشُّباك الحديدي الذي يحيط بالقبر، فإذا مسحوا به كأنهم تمسحوا بالمقبور، واتصلت روحهم بأنه سيتوسط لهم لأنهم عظموه, هذا شرك أكبر بالله جل وعلا لأنه رجع إلى تعلق القلب في جلب النفع وفي دفع الضَّر بغير الله جل وعلا وجعله وسيلة إلى الله جل وعلا كفعل الأولين الذين قال الله فيهم ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[الزمر:3].

وأمّا في الحال الأخرى -التي نبهتُكَ في أول المقام عليها- مِن أنه يجعل بعض التمسحات أسبابا، مثل ما ترى بعض الناس الجهلة يأتي في الحرم ويتمسح بأبواب الحرم الخارجية، أو ببعض الجدران، أو ببعض الأعمدة.

فهذا إن ظن أن ثَمّ روحاً في هذا العمود، أو هناك أحد مدفون بالقرب منه، أو ثم من يخدم هذا العمود من الأرواح الطيبة -كما يقولون-، فتمسح لأجل أن يصل إلى الله جل وعلا فهذا شرك أكبر.

وأما إذا تمسح باعتقاد أن هذا المقام مبارك وأن هذا سبب قد يشفيه، إذن قلنا إذا كان يتمسح لجعله سببا فهذا يكون شركا أصغر.

وإذا كان تعلق قلبه بهذا الذي المتمسح به والمتبرك به وعظمه ولازمه واعتقد أن ثمّة روحا هنا، أو أنه يتوسل به إلى الله فإن هذا شركا أكبر. [1]

●

[الأسئلة]

[س/ ما معنى قولهم الشرك الأصغر أكبر من الكبائر؟ وكيف يكون كذلك والشرك الأكبر من الكبائر إذ هو من الكبائر؟ فنرجوا إزالة الإشكال.

ج/ هذا أيضا أوضحته بالأمس: وهو أن الكبائر قسمان:

- قسم منها راجع إلى جهة الاعتقاد والعمل الذي يصحبه اعتقاد.
- وقسم منها راجع إلى جهة العمل الذي لا يصحبه اعتقاد.

مثال الأول الذي يصحبه اعتقاد: أنواع الشرك بالله من الاستغاثة بغيره، ومن الذبح لغير الله، ومن النذر لغير الله نحو ذلك، هذه الأعمال ظاهرة هي كبائر يصحبها اعتقاد جعلها شركا أكبر، فهي في ظاهرها صرف عبادة لغير الله جل وعلا، وقام بقلب صاحبها الشرك بالله بتعظيم المخلوق وجعله يستحق هذا النوع من العبادة إما على جهة الاستقلال أو لأجل أن يتوسط.

والقسم الثاني الكبائر العملية التي تعمل لا على وجه اعتقاد، مثل الزنا وشرب الخمر والسرقة وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف ونحو ذلك من الكبائر والموبقات، فهذه تعمل دون اعتقاد لهذا صارت الكبائر على قسمين.

نقول: الشرك الأصغر، ومن باب أولى الشرك الأكبر هذا جنسه أكبر من الكبائر؛ يعني العملية، فأنواع الشرك الأصغر ولو كان لفظيا مثل قول ما شاء الله وشئت، مثل الحلف بغير الله، أو نسبة النِّعم إلى غير الله، أو نسبة اندفاع النقم إلى غير الله، أو تعليق التمائم ونحو ذلك. هذه من حيث الجنس أعظم -هي كبائر- من كبائر العمل الذي لا يصاحبه اعتقاد؛ وذاك لأن الأعمال تلك

---

[1] انتهى الشريط الرابع.

كالزنا والسرقة ونحوها من الكبائر العملية هذه ليس فيها سوء ظن بالله جل وعلا وليس فيها صرف عبادة لغير الله أو نسبة شيء لغير الله جل وعلا، وإنما هي من جهة الشهوات, والأخرى هي من جهة الاعتقاد لغير الله وجعل غير الله جل وعلا نِدًّا لله سبحانه وتعالى.

وأعظم الذنب أن يجعل المرء لله نداًّ وهو خلقه جل وعلا.

س/ لماذا لم يبين الرسول الشرك للصحابة قبل أن يقعوا فيه في حديث ذات الأنواط؟

ج/ من المعلوم أنَّ الشريعة جاءت بالإثبات المفصَّل والنفي المجمل، والنفي إذا كان مجملا فإنه ينبني تحته صور كثيرة يُدخلها من فهم النفي في الدلالة، فلا يحتاج مع النفي على أن ينبه كل قَرد فرد.

لهذا نقول من فهم لا إله إلا الله لم يُحتج إلى أن يفصل له كل مسألة من المسائل، فمثلا النذر لغير الله ليس فيه حديث النذر لغير الله شرك، والذبح لغير الله ليس فيه حديث الذبح لغير الله شرك، ونحو ذلك من الألفاظ الصريحة, وهكذا في العكوف عند القبور، أو العكوف والتبرك عند الأشجار والأحجار، لم يأتِ به الشيء الصريح؛ لكن نفي إلهية غير الله جل وعلى يدخل فيها عند من فهم معنى العبادة كل الصور الشركية.

ولهذا الصحابة فهموا ما دخل تحت هذا النفي, ولم يطلب ذات أنواط كما للمشركين ذات أنواط إلا من كان حديث عهد بكفر؛ يعني لم يسلم إلا قريبا، وهم قلة ممن كانوا مع النبي في مسيره إلى حنين.

والإثبات يكون مفصلا, وتفصيل الإثبات:

تارة يكون بالتنصيص.

وتارة يكون بالدلالة العامة من وجوب إفراد الله جل وعلا بالعبادة مثلا، ﴿**اعْبُدُوا [اللَّهَ]**[1] **مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ**﴾[2] ونحو ذلك من الآيات.

والأدلة الخاصة بالعبادة كقوله ﴿**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا**﴾[الإنسان:7]، وكقوله ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**﴾[الكوثر:2]، وكقوله ﴿**تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ**﴾[الأنفال:9]، فهذه أدلة إثبات تثبت أن تلك المسائل من العبادات، وإذا كانت من العبادات فنقول لا إلـه إلا الله يقتضي بالمطابقة أنه لا تصرف العبادة إلا لله جل وعلا.

إذن فيكون ما طلبه أولئك من القول الذي يعملوه راجع إلى عدم فهمهم أن تلك الصورة داخلة فيما نُفي لهم مجملا بقوله إله إلا الله.

س/ فضيلة الشيخ: ما حكم التبرك بالصالحين وبماء زمزم والتعلق بأستار الكعبة؟

التبرك بالصالحين قسمان:

- تبرك بذواتهم، بعرقهم، بسورهم؛ يعني بقية الشراب، بلعابهم الذي اختلط بالنوى مثلا أو ببعض الطعام، أو التبرك بشعرهم، أو نحو ذلك، فهذا

---

[1] الشيخ قال: ربكم.

[2] الأعراف:59، 65، 73، 85، هود:50، 61، 84، المؤمنون:23، 32.

لا يجوز وهو من البدع المحدثة، وقد ذكرت لكم أنَّ الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا يعملون مع أبي بكر وعمر وعثمان وعلي -وهم سادة أولياء هذه الأمة- شيئا من ذلك، وإنما فعله الخُلوف الذين يفعلون مالا يؤمرون ويتركون ما أُمِروا به.

- والقسم الثاني بركة عمل: وهي الإقتداء بالصالحين في صلاحهم، والاستفادة من أهل العلم، التأثر بأهل الصلاح، وهذا أمر مطلوب، والتبرك بالصالحين بهذا المعنى مطلوب شرعا.

أما التبرك بالذات كما كان يفعل مع النبي فهذا ليس لأحد إلا للنبي عليه الصلاة والسلام.

أما **التبرك بماء زمزم** فإن شُرب ماء زمزم بما جاء به الدليل ولما جاء به الدليل لا بأس به، فالنبي عليه الصلاة والسلام قال في ماء زمزم «**إنها طعام طعم وشفاء سقم**» فمن شربها طعاما أو شفاء سقم شرب بما دل عليه الدليل, كذلك شربها لغرض من الأغراض التي يريد أن يحققها لنفسه فهذا أيضا جائز؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**ماء زمزم لما شرب له**».

فإذن: أن يجعل ماء زمزم سببا لأشياء يريدها، فهذا راجع إلى أنه أُذن به شرعا، ولو شرب ماء آخر مثلا، ماء صحة وأراد بشرب هذا الماء أن يحفظ القرآن, فيكون هذا اعتقادا خاطئا؛ لأن ما جاء فيه الدليل هو الذي يجعل ذلك السبب مؤثرا أو جائزا أن يُعتقد أنه مؤثر.

أما التعلق بأستار الكعبة رجاء البركة هذا من وسائل الشرك ومن الشرك الأصغر كما ذكرت لكم بالأمس إذا اعتقد أن ذلك التبرك سبب.

أما إذا اعتقد أن الكعبة ترفع أمره إلى الله أو أنه إذا فعل ذلك عَظُم قدره عند الله وأن الكعبة يكون بها شفاعة عند الله أو نحو تلك الاعتقادات التي فيها اتخاذ الوسائل إلى الله جل وعلا فهذا يكون التبرك على ذاك النحو شرك أكبر.

ولهذا يقول كثير من أهل العلم: إن أنواع هذا التبرك بحيطان المسجد المحرم أو بالكعبة ونحو ذلك، أو بمقام إبراهيم التمسح بذلك رجاء البركة من وسائل الشرك؛ بل هو من الشرك، من وسائل الشرك الأكبر، بل هو من الشرك يعني الشرك الأصغر كما قرر ذلك الإمـام الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله.][1]

[س/ وهذا يقول ما رأيكم في امرأة طلبت من قريب لها ذاهب إلى مكة أن يشتري لها كفننا من هناك وأن يغسل الكفن بماء زمزم، يقول وهذا الأمر منتشر وجزاكم الله خيرا؟

ج/ هذا تبرك بما يباع في مكة واعتقاد فيه، وهذا باطل، ولا يجوز؛ لأنّ ما يباع في مكة ليس له خصوصية في البركة وليس له خصوصية في النفع؛ بل هو وما يباع في غيره سواء، هو وما يباع في غير الحرم سواء.

---

[1] مأخوذ من الوجه الأول من الشريط الخامس.

وأما غسله بماء زمزم لرجاء أن يكون ذلك الكفن فيه بركة ماء زمزم فكذلك هذا غلط؛ لأن بركة ماء زمزم مقيدة بما ورد فيه الدليل، ليست بركة عامة إنما هي بركة خاصة بما جاء فيه الدليل، ولهذا الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا يستعملون ماء زمزم إلا فيما جاءت به الأدلة من مثل «**ماء زمزم لما شرب له**» ومن مثل قوله عليه الصلاة والسلام في زمزم «**إنما طعام طعم وشفاء سقم**»، أما التبرك بها في غير ذلك فهذا ليس له أصل شرعي.

س/ وهذا يقول ما حكم الاغتسال بماء زمزم والماء المقروء فيه بالقرآن في بيوت الخلاء؟

ج/ لا بأس في ذلك؛ لأنه ليس فيه قرآنا مكتوبا وليس فيه المصحف مكتوبا، وإنما فيه الريح النفس الهواء الذي خالطه المصحف أو خالطته القراءة، ومن المعلوم أن أهل مكة في أزمنتهم الأولى كانوا يستعملون ماء زمزم ولم يكن عندهم غير ماء زمزم.

فالصواب أن لا كراهة في ذلك وأنه جائز والماء ليس فيه قرآن إنما فيه نفس بالقرآن وفرق بين المقامين.] (1)

[illegible]●[illegible]

باب ما جاء في الذبح لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(162)لَا شَرِيكَ لَهُ**﴾الآية[الأنعام: 162-163].

وقوله: ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**﴾[الكوثر: 2].

عن علي [illegible] «[illegible]».

[illegible]

[illegible] «[illegible]» [illegible]

[illegible]

قال بعد ذلك: باب ما جاء في الذبح لغير الله من الوعيد وأنه شرك بالله جل وعلا.

وقول الشيخ رحمه الله (**باب ما جاء في الذبح لغير الله**)، (**الذبح**) معروف وهو إراقة الدم، و(**لغير الله**) اللام هذه يعني متقربا به إلى غير الله، ذبح لأجل غير الله.

---

(1) مأخوذ من الوجه الثاني للشريط السابع من باب الشفاعة.

الذبح فيه شيئان مهمان، وهما نكتة هذا الباب وعقدته:
الأول: الذبح باسم الله، أو الذبح بالإهلال باسم ما.
والثاني: أن يذبح متقربا لما يريد أن يتقرب إليه.
فإذن تَمَّ تسمية، وتَم القصد.
 أما التسمية فظاهر أن ما ذكر اسم الله عليه فإنه جائز ﴿**فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ**﴾[الأنعام:118]، وأن ما لم يذكر اسم الله عليه فهذا الذي أُهِلَّ لغير الله؛ يعني ذكر غير اسم الله عليه فهذا أهل لغير لله به، ﴿**وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ**﴾[البقرة:173]، ﴿**وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ**﴾[1].
التسمية على الذبيحة من جهة المعنى استعانة، فإذا سمّى اللهَ فإنه استعان في هذا الذبح بالله جل وعلا؛ لأن الباء في قولك بسم الله. يعني أذبح متبركا ومستعينا بكل اسم لله جل وعلا، أو بالله جل وعلا الذي له الأسماء الحسنى.
فإذن جهة التسمية جهة استعانة.
 وفأما القصد فهذه جهة عبودية ومقاصد. فذبح بسم الله لله، كانت الاستعانة بالله والقصد من الذبح أنه لوجه الله تقرب لله جل وعلا.
فصارت الأحوال عندنا أربعة:
الأول: أن يذبح بسم الله لله، وهذا هو التوحيد.
الثانية: أن يذبح بسم الله لغير الله، وهذا شرك في العبادة.
الثالثة: أن يذبح بسم غير الله لغير الله، وهذا شرك في الاستعانة، وشرك في العبادة أيضا.
الرابعة: أن يذبح بغير بسم الله ويجعل الذبيحة لله وهذا شرك في الربوبية.
فإذن الأحوال عندنا أربعة إما أن يكون تسمية مع القصد لله حل وعلا وحده وهذا هو التوحيد وهو العبادة.
فالواجب أن يذبح لله قصدا، تقربا، وأن يسمي الله على الذبيحة:
- فإن لم يسمِّ الله جل وعلا وترك التسمية عمدا فإن الذبيحة لا تحل.
- وإن لم يقصد بالذبيحة التقرب إلى الله جل وعلا ولا التقرب لغيره، وإنما ذبحها لأجل أضياف عنده أو لأجل أن يأكلها؛ يعني ذبحها لقصد اللحم لم يقصد بها التقرب فهذا جائز وهو من المأذون فيه؛ لأن الذبح فيه لا يُشترط فيه أن ينوي الذابح التقرب بالذبيحة إلى الله جل وعلا.

فإذن صار عندك في المسألة الأولى أو **الحالة الأولى**: -مهمة- أن تعلم أن ذكر اسم الله على الذبيحة واجب، وأن يكون قصدك بالتقرب بهذه الذبيحة -إن نويت بها تقربا- أن يكون لله لا لغيره، وهذا مثل ما يُذبح من الأضاحي أو يُذبح من الهدي أو نحو ذلك مما يذبحه المرء تعظيما لله جل وعلا، عقيقة، ونحو ذلك مما أمر به شرعا فهذا تذبحه لله؛ يعني أن يقصد التقرب

---

[1] المائدة:3، النحل:115.

لله بالذبيحة، فهذا من العبادات العظيمة التي يحبها الله حل وعلا، وهي عبادة النحر والذبح.

قد يذبح بسم الله؛ لكن أريدها للأضياف أريدها للحم آكل لحما ولم أتقرب بها لغير الله، أيضا لم أتقرب بها لله، فنقول: هذه الحالة جائزة لأنه سمى بسم الله ولم يذبح لغير الله فليس داخلا في الوعيد ولا في النهي؛ بل ذلك من المأذون فيه.

الحال الثانية: أن يذبح بسم الله ويقصد بالتقرب أن هذه الذبيحة لغير الله، فيقول مثلا بسم الله وينحر الدم، وهو ينوي بإزهاق النفس وبإراقة الدم ينوي التقرب لهذا العظيم المدفون، لهذا النبي أو لهذا الصالح، فهو لو ذبح بسم الله فإن الشرك حاصل من جهة أنه أراق الدم تعظيما للمدفون، تعظيما لغير الله، كذلك يدخل فيه أن يذكر اسم الله على الذبيحة أو على المنحور ويكون قصده بالذبح أن يتقرب به للسلطان أو للملوك أو لأمير ما، وهذا يحدث عند بعض البادية أو كذلك بعض الحضر إذا أرادوا أن يعظموا ملكا قادما, أميرا قادما, أو أن يعظموا سلطانا أو شيخ قبيلة فإنهم يستقبلونه بالجِمَال، يستقبلونه البقر, يستقبلونه بالشياه يعني بالضأن، الخرفان، ويذبحونها في وجهه فيسيل الدم عند إقباله، هذا ذبح ولو سمى الله عليه لكن تكون الذبيحة قُصِد بها غير الله جل وعلا وهذه أفتى العلماء بتحريمها؛ لأن فيها إراقة دم لغير الله جل وعلا فلا يجوز أكلها ومن باب أولى قبل ذلك لا يجوز تعظيم أولئك بمثل هذا التعظيم؛ لأن إراقة الدم إنما يعظم به الله حل وعلا وحده؛ لأنه هو الذي سبحانه يستحق العبادة والتعظيم بهذه الأشياء وهو الذي أجرى الدماء في العروق سبحانه وتعالى.

الحال الثالثة:أن يذكر غير اسم الله وأن يقصد بالذبيحة غير الله جل وعلا، فيقول مثلا باسم المسيح ويحرِّك يده ويقصد بها التقرب للمسيح، فهذا الشرك جمع شرك الاستعانة وشركا في العبادة، أو أن يذبح باسم البدوي أو باسم الحسين أو باسم السيدة زينب أو باسم العيدروس أو باسم المرغناني أو نحو ذلك من الناس الذين توجه إليهم بعض الخلق بالعبادة، فيذبح باسمها ويقصد بها هذا المخلوق؛ يعني ينوى حين ذبح أن يريق الدم تقرباً لهذا المخلوق.

فهذا الشرك جاء من جهتين:

الجهة الأولى: جهة الاستعانة.

والجهة الثانية: جهة العبودية والتعظيم وإراقة الدم لغير الله جلَّ وعلا.

والرابع: أن يذبح باسم غير الله ويجعل ذلك لله جل وعلا، وهذا نادر، وربما حصل من أنه يذبح البدوي, أو يذبح للعيدروس أو يذبح للشيخ عبد القادر أو نحو ذلك ثم ينوي بهذا أن يتقرب إلى الله جل وعلا، وهذا في الحقيقة راجع إلى الشرك في الاستعانة والشرك في العبادة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض كلام له في هذه المسائل قال: ومعلوم أن الشرك في العبودية أعظم من الاستعانة بغير الله. فهذه المراتب أعظمها كلها شرك بالله جل وعلا.

والحالة الثانية صورة منها أن يذبح لسلطان أو نحوه. بعض العلماء ما أطلق عليها أنها شرك وإنما قال تحرم لأجل أنه لا يقصد بذلك تعظيم ذلك كتعظيم الله جل وعلا.

المقصود أن الشرك يقصد الذبح لغير الله شرك في العبودية والشرك بذكر غير اسم الله على الذبيحة شرك في الاستعانة، ولهذا قال جل وعلا ﴿**وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**﴾[الأنعام:121]؛ يعني إن أطعتموهم في الشرك فإنكم لمشركون كما أنهم مشركون.

نكمل إن شاء الله بقية الباب غدا بإذن الله.

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسـول اللـه، وعلـى آلـه وصـحبه، ومـن اهتدى بهداه.

أما بعد:

فأنبه على مسألة ألا وهي أن الكلام في مسائل التوحيد تقريرا واستدلالا وبيان وجه الاستدلال من الأمور الدقيقة، والتعبير عنها يحتاج إلى دقة من جهة المعبِّر وأيضا من جهة المتلقي.

أقول هذا لأن بعض الإخوة استشكلوا بالأمس وقبله واليوم أيضا بعض العبارات، ومدار الاستشكال أنهم ما دقَّقوا فيما قيل؛ إما أن يحذفوا قيدا، أو يحذفوا كلمة، أو يأخذ المعنى الذي دل عليه الكلام ويعبر عنه بطريقته، وهذا غير مناسب.

لهذا ينبغي أن يكون المتلقي لهذا العلم دقيقا فيما يسمع؛ لأن كل مسألة لها ضوابطها ولها قيودها، وأيضا بعض المسائل يكون الكلام عليها تارة مجملا، وفي بعض ما سمعه المتلقي يكون سمع أحد الأحوال وهي فيها تفصيل، ويكون الكلام عليها من حيث الإجمال غير الكلام عليها من حيث التفصيل.

نواصل الحديث على باب ما جاء في الذبح لغير الله.

قال الإمام رحمه الله تعالى (وقول الله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(162)لَا شَرِيكَ لَهُ**﴾الآية[الأنعام: 162-163]) هذه الآية فيها أن عبادة الصلاة وعبادة النسك وهو الذبح لله جل وعلا، وقال هنا (**قُلْ إِنَّ**) **و(إن)** من المؤكدات، ومجيء التأكيد في الجمل الخبرية معناه أنَّ من خوطِب بذلك منكر لهذا الأمر أو منزَّل منزلة المنكر له، ولهذا يكون الاستدلال بهذه الآية على أنه خوطب بها من ينكر أن الصلاة لله وحده استحقاقا وأن الذبح لله وحده استحقاقا، وهم المشركون، فدلّ على أن هذه الآية في التوحيد؛ يعني في توحيد الذبح لأجل الله جل وعلا وأن الذبح لغيره مخالف لما يستحقه الرب جل وعلا.

قال هنا (**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي**) والنسك هو الذبح أو النحر؛ يعني التقرب بالدم، والتقرب بالدم لله جل وعلا عبادة عظيمة؛ لأن الذبائح أو المنحورات -الإبل؛ البقر، الغنم من الضأن والماعز- هذه مما تعظم في نفوس أهلها.

ونحرُها تقربا لله جل وعلا والصدقة بها عبادة عظيمة:

- فيها إراقة الدم لله.
- وفيها تعلق القلب بحسن الثواب من الله جل وعلا.
- وفيها حسن الظن بالله تبارك وتعالى.
- وفيها التخلص من الشُّح والرغب فيما عند الله سبحانه بإزهاق نفس ما هو عزيز عند أهله.

ولهذا كان النحر والذبح من العبادات العظيمة التي يحبها الله جل وعلا، وهذه الآية دلَّت على أن النحر والصلاة عبادتان؛ لأنه جعل النسيكة لله، والله جل وعلا له من أعمال خلقه العبادات.

فلهذا صار وجه الدلالة أن قوله (**وَنُسُكِي**) فيه دلالة على أنَّ النُّسك عبادة من العبادات وأنه مستحَق لله جل وعلا.

قوله (**لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**) اللام هنا المتعلقة بقوله (**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي**) لام الاستحقاق.

لأن اللام في اللغة وفيما جاء من الاستعمال في القرآن:

- تأتي لام المِلْك﴿**أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ**﴾[الكهف:79]؛ يعني يملكونها.
- أو تكون لام الاختصاص وهو شبه الملك.
- أو تكون لام الاستحقاق مثل﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ**﴾ يعني جميع أنواع المحامد مستحَقة لله.

كذلك اللام هنا (**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي... لِلَّهِ**) يعني مستحَقّة لله جل وعلا.

قال سبحانه (**وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ**)، وهنا (**وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ**) تكون اللام هذه -مع أنها واحدة-؛ لكن لكي يكون معناها رجوعها للأول غير معناها في رجوعها للمحيى والممات، فإن الله جل وعلا قال في هذه الآية من آخر سورة الأنعام (**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ**) المحيى والممات يعني الإحياء والإماتة وهذه بيد الله جل وعلا ولله مِلكا فهو الذي يملكها سبحانه لأنها من أفراد ربوبيته جل وعلا على خلقه.

فهذه الآية بما اشتملت عليه من هذه الألفاظ الأربع دلت على توحيد الإلـهية وعلى توحيد لربوبية؛ (**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي**) هذا توحيد الإلـهية, (**وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي**) هذا توحيد الربوبية لله, اللام إذا أرجعتها للأوليين الصلاة والنسك صار معناها الاستحقاق، وإذا أرجعتها للأخير صار معناها المِلك، ولهذا يقول أهل التفسير هنا (**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي**) لله استحقاقا، (**وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي**) لله ملكا وتدبيرا وتصرفا.

قال (**لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(162)لَا شَرِيكَ لَهُ)** وهذا وجه استدلال ثالث بحيث قال (**لَا شَرِيكَ لَهُ**) يعني في ما مر؛ لا شريك له في الصلاة والنسك فلا يتوجه بالصلاة والنسك إلى أحد مع الله جل وعلا أو من دونه، وكذلك لاشريك له في الملك في المحيى والممات؛ بل هو المتفرد سبحانه بأنواع الجلال وأنواع الكمال وهو المستحق للعبادة وهو ذو الملكوت الأعظم.

قال (وقوله: ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**﴾[الكوثر: 2]) قال (**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ)** فأمر بالصلاة وأمر بالنحر، وإذا أمر به فهو داخل في حد العبادة؛ لأن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، والصلاة أمر بها الله جل وعلا وهي محبوبة لديه إذن، والنحر أمر الله جل وعلا به فهو محبوب ومرضي له إذن، فيكون إذن النحر عبادة لله جل وعلا، وفي التعريف الآخر أنّ العبادة هي كل ما يتقرب به العبد جل وعلا ممتثلا به الأمر والنهي، صادق على هذا؛ لأن النحر يعمل تقربا إلى الله جل وعلا بامتثال الأمر والنهي.

قال سبحانه ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾[الكوثر:1]، **(الْكَوْثَرَ)** هو الخير العظيم الذي منه النهر الذي في الجنة, (**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ)** الفاء هذه سببية؛ يعني بسبب ذلك أشكر الله جل وعلا بتوحيده بأن صلّ إلى ربك الذي أعطاك ذلك الخير الكثير وتقرب إليه بالنحر وبنَسك النسائك لله سبحانه؛ لأن الخير إنما أسداه جل وعلا وحده.

إذن وجه الدلالة من هذه الآية على هذا الباب أن النحر عبادة وقد قال الله جل الله وعلا (**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ)** يعني وانحر لربك، فصار النحر لغير الله والذبح لغير الله خارج عمّا أمر الله به، فهو إذا صرف للعبادة لغير الله جل وعلا.

قال رحمه الله (عن علي ﷺ، قال: **حَدّثَنِي رسول الله ﷺبِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ «لَعَنَ اللّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللّهِ. لَعَنَ اللّهُ مَنْ آوَىَ مُحْدِثاً. لَعَنَ اللّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ. لَعَنَ اللّهُ مَنْ غَيّرَ الْمَنَارَ.»** رواه مسلم) الشاهد من هذا قوله (**لَعَنَ اللّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللّهِ**) وهذا وعيد يدل على أن الذابح لغير الله ملعون، واللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله جل وعلا، فإذا كان الله هو الذي لعن فيكون قد طرد وأبعد من رحمة الله الخاصة, يكون جل وعلا قد طرد وأبعد هذا الملعون من رحمته جل وعلا الخاصة، أمّا الرحمة العامة فهي تشمل المسلم والكافر وجميع أصناف الخلق.

وإن كان دعاءٌ باللعن عليه (**لَعَنَ اللّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللّهِ**) كأن النبي عليه الصلاة والسلام قال داعيا على من ذبح لغير الله جل وعلا باللعن وهو الطرد والإبعاد من رحمة الله جل وعلا، هذا يدل على أن الذبح لغير الله من الكبائر، ومن المعلوم اقتران ذنب من الذنوب باللعن يدل على أنه من الكبائر من كبائر الذنوب، وهذا ظاهر من جهة أن الذبح لغير شرك بالله عز وجل يستحق صاحبه اللعنة والطرد و الإبعاد من رحمة الله جل وعلا.

فقوله (**لَعَنَ اللّهُ مَنْ ذَبَحَ لِـغَيْرِ اللّهِ**), اللام هذه يعني من أجل غير الله تقربا إليه وتعظيما، فذبح لغير الله تقربا إلى ذلك الغير وتعظيما إلى ذلك الغير,

وهذا وجه مناسبة هذا الحديث لباب ما جاء في الذبح لغير الله يعني من الوعيد وأنه شرك ومن الوعيد أن صاحبه ملعون.

الحديث الآخر قال (**وعن طارق بن شهاب، أن رسول الله قال: «دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب» قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: «مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئاً، فقالوا لأحدهما: قرب. قال: ليس عندي شيء أقربه. قالوا له: قرب ولو ذباباً. فقرب ذباباً، فخلوا سبيله، فدخل النار. فقالوا للآخر: قرب. فقال: ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل. فضربوا عنقه، فدخل الجنة**» رواه أحمد) وجه الدلالة من هذا الحديث أن التقريب للصنم بالذبح كان سببا لدخول النار، وذلك من حيث ظاهر المعنى أن من فعله كان مسلما فدخل النار بسبب ما فعل وهذا يدل على أن الذبح لغير الله شرك بالله جل وعلا-شرك أكبر-؛ لأن ظاهر قوله دخل النار يعني استوجبها مع من يخلد فيها.

ووجه الدلالة أيضا أن تقريب هذا الذي لا قيمة له -وهو الذباب- يدل على أن من قرَّب ما هو أبلغ وأعظم منفعة وأعظم عند أهله وأغلى أنه سبب أعظم لدخول النار, وقوله هنا (**قرّب**) يعني اذبح تقربا، والْحَظْ هنا أنهم لم يكرهوهم بالفعل، فالحديث لم يدلّ على أنهم أكرهوا؛ لأنه قال (**مرَّ رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرّب له شيئا**), فظاهر قوله (**لا يجوزه أحد**) يعني أنهم لا يأذنون لأحد بمجاوزته عند ذلك الطريق حتى يقرب وهذا ليس إكراها إذ يمكن أن يقول سأرجع من حيث أتيت، ولا يجوز ذلك الموضع ويتخلص من ذلك.

وهذا يدل على أن الإكراه بالفعل لم يحصل من أولئك[1] فلا يدخل هذا في قوله ﴿**إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا**﴾ [النحل:106]؛ لأنه ليس في الحديث دلالة -كما هو ظاهر- على حصول الإكراه وإنما قال (**مرَّ رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرّب له شيئا**)، (**لا يجوزه أحد**) ما صفة عدم السماح بعدم المجاوزة؟ هل هو أنه لا يجوزه حتى يقتل أو يقرب؟ أو لا يجوزه حتى يقرب أو يرجع؟

بعض العلماء استظهر من قوله في آخر الحديث من قتلهم لأحد الرجلين: أنه لا يجوزه حتى يُقتل، وأن هذا عُلم بالسياق، فصار ذلك نوع إكراه. فلهذا **استشكلوا** كون هذا الحديث دالا على أنّ من فعل هذا الفعل يدخل النار مع أنه مكره.

والجواب عن هذا الإشكال: أن هذا الحديث على هذا القول -وهو أنه حصل منهم الإكراه بالقتل- أن هذا الحديث فيمن كان قبلنا، ورفع الإكراه أو جواز قول كلمة الكفر أو عمل الكفر مع اطمئنان القلب بالإيمان هذا خاص بهذه الأمة, هذا أجاب به بعض أهل العلم.

والثاني وهو ما قدمتُ: أنّ السياق ليس بمتعين على أنهم هددوه بالقتل، وإذا كان غير متعين بأنهم هددوه بالقتل فإنه لا يُحمل على شيء مجمل لم

---

[1] انتهى الوجه الأول من الشريط الخامس.

يُعيَّن، ودلالة قوله هنا (**فضربوا عنقه**) يعني فيمن لم يقرب فدخل الجنة ربما لأنه أهان صنمهم بقوله (**ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون الله عز وجل**).

لهذا لاستشكل هذا الحديث طائفة من أهل العلم وهو بحمد الله ليس فيه إشكال؛ لأنه:

- إمّا أن يُحمل على أنه كان فيمن كان قبلنا فلا وجه إذا لدخول الإكراه.
- أو يُحمل على أنهم لم يكرهوه حين أراد المجاوزة ولكن قتلوه لأجل قوله (**لم أكن لأقرب لأحد شيئا دون الله عز وجل**).

إذن هذا الباب وهو قوله (**باب ما جاء في الذبح لغير الله**) ظاهر في الدلالة على أن التقرب لغير الله جل وعلا بالذبح أنه شرك بالله جل وعلا في العبادة، فمن ذبح لغير الله تقربا وتعظيما فهو مشرك الشرك الأكبر المخرج من الملة.

•

[الأسئلة]

[س/ وهذا يقول: يقول: أهلي يذبح الذبيحة يوزعها على المساكين لدفع البلاء فهل تجوز تلك النية؟

ج/ هذا فيه تفصيل: ذلك أن ذبح الذبائح إذا كان:

من جهة الصدقة ولم يكن لدفع شيء متوقَّع أو لرفع شيء حاصل ولكن من جهة الصدقة وإطعام الفقراء، فهذا لا بأس به، داخل في عموم الأدلة التي فيها الحض على الإطعام وفضيلة إطعام المساكين.

وأما إن كان الذبح؛ لأن بالبيت مريضا فيذبح لأجل أن يرتفع ما بالمريض من أذى، فهذا لا يجوز ويحرم. قال العلماء: سدا للذريعة. ذلك لأنّ كثيرين يذبحون حين يكون بهم مرض لظنهم أن المرض كان بسبب الجن أو كان بسبب مؤْذ من المؤْذين، إذا ذبح الذبيحة وأراق الدم فإنه يندفع شره أو يرتفع ما أحدث، وهذا لا شك أنه اعتقاد محرم ولا يجوز.

والذبيحة لرفع المرض والصدقة بها عن المريض. قال العلماء: هي حرام ولا تجوز سدا للذريعة، وللشيخ العلامة سعد بن حمد بن عتيق رسالة خاصة في الذبح للمريض.

كذلك إذا كان الذبح لدفع أذى متوقع مثلا كان بالبلد داء معين فذبح لدفع هذا الداء، أو كان في الجهات التي حول البيت تَمَّ شيء يؤذي، فيذبح ليندفع ذلك المؤذي؛ إما لص مثلا يتسلط على البيوت، أو أذى يأتي للبيوت فيذبح ويتصدق بها لأجل أن يندفع ذلك الأذى، هذا أيضا غير جائز ومنهي عنه سدا للذريعة؛ لأن من الناس من يذبح لدفع أذى الجن وهو شرك بالله جل وعلا.

فإذن تحصَّل من ذلك أنّ قول النبي «**داووا مرضاكم بالصدقة**» فيما رواه أبو داوود وغيره، وقد حسنه بعض أهل العلم وضعفه آخرون، أن معنى (**داووا مرضاكم بالصدقة**) يعني بغير إراقة الدم، فيكون إراقة الدم مخصوص من ذلك من المداواة بالصدقة؛ لأجل ما فيه من وسيلة إلى الاعتقادات الباطلة.

ومعلوم أن الشريعة جاءت لسد الذرائع جميعا -يعني الذرائع الموصلة إلى الشرك-، وجاءت أيضا بفتح الذرائع الموصلة إلى الخير، فما كان من ذريعة يوصل إلى الشرك والاعتقاد الباطل فإنه يُنهى عنه.**]** [1]

س/ فضيلة الشيخ مما يقع فيه كثير من الناس أنه إذا حصل له أمر، ونجا منه، فإنه يجب عليه أن يتصدق.

ج/ الصدقة في مثل هذا ليس لها حكم الوجوب، والشكر لله جل وعلا على نعمه، إذا نُجِّيَ العبد من بلاء، أو حصلت له مسرَّة يكون تارة بالسجود، وتارة بالصلاة، أو بالصدقة شكرا لله جل وعلا على نعمه، وهذا كله من المستحب، وليس من الواجب، إلا إذا كان ثم نذْر، نذر أنه إن نُجِّي من كذا وكذا، فإنه سيتصدق، فهنا يكون ألزم نفسه بعبادة ألا وهي الصدقة إذا حصل له كذا وكذا؛ فتكون واجبة بالنذر.

أما أصل الصدقة فهو مستحب، وإذا كانت في مقابلة نعمة، أو اندفاع نقمة، فهي أيضا مستحبة، وليست بواجبة، لا تجب إلا إذا نذر و تحقق الشرط. نعم.

س/ فضيلة الشيخ إذا كان الذبح لا يجوز لدفع المرض فكيف نجمع بينه وبين الحديث: «**داووا مرضاكم بالصدقة**»؟

ج/ هذا أجبت عنه بالأمس.

س/ وهذا يقول: عندنا عادة وهي أن من حصل بينه وبين شخص عداوة أو بغضاء بتعدٍّ من أحدهما على الآخر، فيطلبون من أحدهما أن يذبح ويسمون ذلك ذبح صلح، فيذبح؛ يحضرون معهم من حصلت معه هذه العداوة، فما حكم ذلك؟

ج/ ذبح الصلح الذي تعمله بعض القبائل في صورته المشتهرة المعروفة لا يجوز؛ لأنهم يجعلون الذبح أمام من يريدون إرضاءه، ويريقون الدم تعظيما له أو إجلالا لإرضائه. وهذا يكون محرما؛ لأنه لم يُرِق الدم لله جل وعلا وإنما أراقه لأجل إرضاء فلان، وهذا الذبح محرم والذَبيحة أيضا لا يجوز أكلها؛ لأنها لم تُهَلَّ أو لم تذبح لله جل وعلا وإنما ذبحت لغيره.

فإن كان الذبح أن هذا صفته من جهة التقرب والتعظيم صار شركا أكبر، وإن لم يكن من جهة التقرب والتعظيم صار محرما؛ لأنه لم يَخلص من أن يكون لغير الله.

فصار عندنا في مثل هذه الحالة وكذلك في الذبح للسلطان ونحوه في المسألة التي مرت علينا بالأمس أن يكون الذبح في مقدمة وأن يراق الدم بقدومه وبحضرته، هذا قد يكون على جهة التقرب والتعظيم، فيكون الذبح حينئذ شركا أكبر بالله جل وعلا؛ لأنه ذبح وإراقة الدم تعظيما للمخلوق وتقربا إليه.

---

[1] مأخوذ من الوجه الأول من الشريط الرابع، من باب ما جاء في الرقى والتمائم.

وإن لم يذبح تقربا أو تعظيما وإنما ذبح لغاية أخرى مثل الإرضاء ولكنه شابه أهل الشرك في ما يذبحونه تقربا وتعظيما، فنقول الذبيحة لا تجوز ولا تحل والأكل منها حرام.

ويمكن للإخوة الذين يشيع عندهم في بلادهم أو في قبائلهم مثل هذا الذي المسمى ذبح الصلح ونحوه أن يبدلوه بخير منه وهو أن تكون وليمة للصلح، فيذبحون للضيافة يعني يذبحون لا بحضرة من يريدون إرضاءه، ويدعونهم ويكرمونهم، وهذا من الأمر المرغب فيه أن يكون الذبح كما يذبح المسلم عادة لضيافة أضيافه ونحو ذلك.

س/ فضيلة الشيخ يوجد بعض الساعات مكتوب عليها لفظ الجلالة، فهل يجوز الدخول بها إلى الخلاء؟ وجزاكم الله خيرا.

ج/ العلماء يقولون: ويكره دخوله الخلاء بشيء فيه ذكر الله، في آداب دخول الخلاء في الفقه، فاصطحاب شيء مما فيه ذكر الله إلى الخلاء مكروه. نكتفي.

[س/ وهذا يقول ما الحكم إذا ذبح العبد ذبيحة من أجل أن الله قد شاف مريضه وخرج من المستشفى؟

ج/ هذا يرجع إلى نيته في ذبح هذه الذبيحة، فإذا كانت بعد الانتهاء من المرض وبعد إن ارتفع المرض وعوفي وشفي ذلك المريض بفضل الله جل وعلا وبنعمته، فهذا يختلف حاله:

إذا قصد أنها شكر الله جل وعلا يتصدق بلحمها فهذا حسن لأن المرض قد انتهى وارتفع فهو لا يقصد بها الاستشفاء، وإنما هي نوع شكر لله جل وعلا أو دعا عليها أحدا من أقربائه أو من ما يحبون ذلك المريض ونحو ذلك فهذا من باب الإكرام.

وإما إذا كان مقاصده أو نياته في هذا الذبح أن يدفع رجوع هذا المرض مرة أخرى، أو إن يدفع شيئا من انتكاسات المرض أن يدفع شيئا مما يخاف فهذا داخل في عدم الجواز سدا لذريعة الاعتقادات الباطلة.**]** [1]

❊❊•❊❊

باب لا يُذبح لله في مكان يُذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿**لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ**﴾[التوبة: 108].

وعن **ثَابِت بن الضّحّاكِ** [illegible]

---

[1] مأخوذ من الوجه الثاني للشريط السابع من باب الشفاعة.

[ ]

( ) ( ) ( )

( )

( ) ( ) ( )

مناسبة ... ظاهرة ...

---

(1) قال ابن عبد البر في التمهيد ج 5ص 229: وكذلك أحمعوا على أن من صلى في كنيسة أو بيعة في موضع طاهر أن صلاته ماضية جائزة.

(2) الشيخ يريد: إراقة الدم وإزهاق الروح.

(«هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟». قَالُوا: لاَ.) نستفيد من [illegible] ذلك أنه لو كان [illegible] وثن لمنع [illegible] الرجل من النحر [illegible] دلالة [illegible] [illegible] إليه [illegible] قد [illegible] الزمان [illegible] بأنه [illegible] المجيء [illegible] «لا تجعلوا قبري عيدا» [illegible] فِيهَا [illegible] وأيضا [illegible].

[illegible] المشركين [illegible] إلى [illegible] وأعظم [illegible] فيه لغير [illegible] صورة [illegible] مخصا [illegible] بِنَذْرِكَ فَإِنَّهُ لاَ وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ [illegible] ق[illegible] يدل [illegible] جل وعلا، [illegible] تحت

[الأسئلة]

[س 1/ هل يدخل في (**باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله**) ما يحصل وخاصة في أوربا وأمريكا من شراء كثير من المسلمين لكنائس القديمة ثم تعديلها لتكون مساجد أو هدم الكنيسة وبناء مسجد مكانها؟ نرجو التوجيه وجزاكم الله خيرا.

ج/ لا يدخل في ذلك لأن مسجد النبي ﷺ الذي الصلاة فيه مضاعفة أُقيم على مكان فيه قبور المشركين، بعد أن نُبشت تلك القبور وأزيل الرفات أقيم المسجد في ذلك المكان.

والكنيسة التي عُبد فيها غير الله جل وعلا إذا حُولت إلى مسجد فهذا من أعظم الطاعات، ومن أحب الأعمال لله جل وعلا.

وذكرت لكم أن الفرق بين هذه وبين (**لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله**) أن الذبح صورته مشتركة الصورة الظاهرة واحدة، وإنما الاختلاف في النيات ولهذا مُنع من ذلك، وأما عبادة المسلمين وصلاتهم وهيئة مساجدهم وجلوسهم إلى آخر تلك الهيئات مخالف لما عليه النصارى.

فإبدال الكنيسة بمسجد هذا أمر مطلوب إذا تمكن المسلمون منه، وهذا الذي فعله المسلمون في الأندلس؛ بل وفي بعض البلاد الأخرى كالشام ومصر.] [1]

•

باب من الشرك النذر لغير الله تعالى

وقول الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: 7].

وقوله: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [البقرة: 270].

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ قال: «**من نذر أن يطيع الله، فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه**».

[الشرح]

قال (**باب من الشرك النذر لغير الله**)، (**من الشرك**)، (**من**) ها هنا تبعيضية, (**من الشرك النذر**), (**النذر**) مبتدأ مؤخر, النذر لغير الله كائنٌ من الشرك، والشرك هنا المقصود به الشرك الأكبر؛ النذر لغير الله شرك أكبر بالله جل وعلا، ووجه كون النذر شركا بالله جل وعلا أنّ النذر المطلق والمقيَّد إيجاب عبادة على المكلف؛ لأن النذر هو إلزام المكلف نفسَه بعبادة لله جل وعلا، هذه حقيقة النذر، فالنذر إلزام بعبادة، فهو عبادة و يلزم المرء نفسه بعبادة إما مطلقا أو بقيد.

ويدل أيضا على أن النذر عبادة أن الله جل وعلا مدح الذين يوفون بالنذر فقال: (**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا**) فهذا يدل على أن الوفاء بالنذر أمر مشروع واجب أو مستحب، وهو محبوب لله جل وعلا؛ يعني من حيث الدلالة، وإلا فإن الوفاء بالنذر واجب لأنه إلزام بالطاعة، وقد قال عليه الصلاة والسلام (**منْ نذَرَ أنْ يطيعَ اللهَ، فليطعْه**).

فإذن الوفاء بالنذر مدح الله أهله وإذا كان كذلك فيكون عبادة لأنه محبوب لله جل وعلا.

وكذلك قوله (**وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ**) هذا يدل على محبة الله جل وعلا لذلك الذي حصل منهم تعظيما لله جل وعلا للنفقة، وإن كان كذلك فإنه عبادة من العبادات وإذا صُرف النذر لغير الله جل وعلا كان شركا بالله جل وعلا.

هاهنا سؤال معروف في هذا المقام: وهو أن النذر مكروه، قد كره النبي ﷺ النذر وسئل عنه فكرهه وقال «**إنه لا يأتي بخير**»، فكيف إذن يكون عبادة وقد كرهه عليه الصلاة والسلام؟

والجواب: أن النذر قسمان: نذر مطلق، ونذر مقيد.

---

[1] من الوجه الثاني من الشريط السادس.

والنذر المطلق: هو أن يلزم العبد نفسه بعبادة لله حل وعلا، هكذا بلا قيد؛ يعني يقول مثلا: لله علي نذر أن أصلي ركعتين, ليس في مقابله شيء يحدث في المستقبل أو شيء حدث له، فيُلزم نفسه بعبادة صلاة أو عبادة صيام أو نحو ذلك، فهذا النذر المطلق وهو إلزام العبد نفسه بطاعة لله حل وعلا أو بعبادة ليس هو الذي كرهه عليه الصلاة والسلام؛ لأن الذي كرهه وصفه بقوله «**إنما يستخرج به من البخيل**» وهذا هو:

النذر المقيد: الذي يجعل إلزام نفسه بطاعة لله جل وعلا مقابلا بشيء يحدثه الله جل وعلا له ويقدره ويقضيه له، يقول مثلا إن شفى الله مريضي فلله علي نذر أن أتصدق بكذا وكذا، إن نجحت فسأصلي ليلة, إن عينت في هذه الوظيفة فسأصوم أسبوعا ونحو ذلك، فهذا كأنه يشترط به على الله جل وعلا، فيقول: يا ربي إن أعطيتني كذا وكذا صمت لك, إن أنجحتني صليت أو تصدقت, إن شفيت مريضي فعلت كذا وكذا، وهذا بالمقابلة، وهذا الذي وصفه النبي عليه الصلاة والسلام بقوله (**إنما يستخرج به من البخيل**) لأن البخيل هو الذي لا يعمل العبادة حتى يقاضى عليها، فصار ما أعطاه الله من النعمة أو دفع عنه من النقمة كأنه في حس ذلك الناذر قد أعطي الأجر وأعطي ثمن تلك العبادة.

وهذا يستحضره كثير من العوام و الذين يستعملون النذور فإنهم يظنون أن حاجاتهم لا تحصل إلا بالنذر. وقد قال شيخ الإسلام رحمه الله وغيره من أهل العلم: إن من ظن أنه لا تحصل حاجة من حاجاته إلا بالنذر فإنه في اعتقاد محرم؛ لأنه ظن أن الله لا يعطي إلا بمقابل، وهذا سوء ظن بالله جل وعلا، وسوء اعتقاد فيه سبحانه وتعالى؛ بل هو المتفضل المنعم على خلقه.

فإذن إذا تبين ذلك، فالنذر المطلق لا يدخل في الكراهة، وإذا قلنا النذر عبادة فنظر فيه إلى جهة المطلق وإلى جهة عدم التقييد فيما إذا قيد ووفي بالنذر فإنه يكون قد تعبد الله بتلك العبادة وألزم نفسه بها، فيكون النذر على ذلك نذرا يظهر أنه عبادة لله جل وعلا، والكراهة إنما جاءت لصفة الاعتقاد لا لصفة أصل العبادة، فإنه في النذر المقيد إذا قال إن كان كذا وكذا فلله عليّ كذا وكذا الكراهة راجعة إلى ذلك التقييد لا إلى أصل النذر، دلّ على ذلك التعليل حيث قال «**فإنما يستخرجه له من البخيل**» إذن فلا إشكال إذن، والنذر عبادة من العبادات العظيمة.

وهنا **قاعدة** في أنواع الاستدلال على أن عملا من الأعمال صرفه لغير الله جل وعلا شرك أكبر، وذلك أن الاستدلال له نوعان:

 فكل دليل من الكتاب أو السنة فيه إفراد لله بالعبادة يكون دليلا على أن كل عبادة لا تصلح إلا لله، هذا نوع من الأدلة، كل دليل فيه إفراد الله جل وعلا بالعبادة، يصلح أن تستدل به على أن عبادة ما لا يجوز صرفها لغير الله جل وعلا، بأي مقدمة؟ بأن تقول دل الدليل على وجوب صرف العبادة لله وحده وعلى أنه لا يجوز صرف العبادة لغير الله جل وعلا، وأن من صرفها لغير لله

جل وعلا فقد أشرك، وتلك العبادة الخاصة مثلا عندنا هنا النذر تقول هذه عبادة من العبادات، فهي داخلة في ذلك النوع من الأدلة.

 والنوع الثاني من الاستدلال: أن تستدل على المسائل بأدلة خاصة وردت فيها، تستدل على الذبح بأدلة خاصة وردت في الذبح، تستدل على وجوب الاستغاثة بالله وحده دون ما سواه على أدلة خاصة بالاستغاثة, وعلى أدلة خاصة بالاستعاذة ونحو ذلك.

فإذن الأدلة على وجوب إفراد الله بجميع أنواع العبادة تفصيلا وإجمالا وعلى أن صرفها لغير الله شرك أكبر يستقيم بهذين النوعين من الاستدلال.

استدلال عام بكل آية أو حديث فيها أمر بإفراد الله بالعبادة والنهي عن الشرك فتُدخل هذه الصورة فيها لأنها عبادة بجامع تعريف العبادة.

والثاني أن تستدل على المسألة بخصوص ما ورد فيها من الأدلة.

لهذا قال الشيخ رحمه الله هنا (**باب الشرك النذر لغير الله**) واستدلّ عليها بخصوص أدلة وردت في النذر.

والآيات التي قدّمها في أول الكتاب كقوله جل وعلا ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ**﴾[الإسراء:23]، وكقوله ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات: 56]، وكقوله ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**﴾[النساء:36]، وكقوله ﴿**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**﴾[الأنعام: 151]، هذه أدلة تصلح لأن تستدل بها على أن صرف النذر لغير الله شرك, فتقول: النذر لغير الله عبادة والله جل وعلا نهى أن تصرف العبادة لغيره، وأن من صرف العبادة لغير الله فهوّ مشرك، وتقول: النذر عبادة لأنه كذا وكذا لأنه داخل في حد العبادة حيث إنه يرضاه الله جل وعلا ومدح الموفين به.

الدليل الخاص أن تستدل بخصوص ما جاء في الكتاب والسنة من الأدلة على النذر، ولهذا الشيخ هنا أتى بالدليل التفصيلي وفي أول الكتاب أتى بالأدلة العامة على كل مسائل العبادة.

وهذا من الفقه الدّقيق في التصنيف وفِقْهِ الأدلة الشرعية من أن المستدل على مسائل التوحيد ينبغي له أن يدرك التنويع؛ لأن في تنويع الاستدلال وإيراد الأدلة من جهة ومن جهة أخرى ثالثة ورابعة ما يضعف حجة الخصوم الذين يدعون الناس لعبادة غير الله وللشرك به جل وعلا، وإذا أتيت مرة بدليل عام ومرة بدليل خاص ونوّعت فإنه يضيق، أما إذا ليس ثم دليل واحد فربما أوّلَه لكَ أو ناقشك فيه فيحصل ضعف عند المستدل، أما إذا أنتبه لمقاصد أهل العلم وحفظ الأدلة فإنه يقوى على الخصوم والله جل وعلا وعد عباده بالنصر ﴿**إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ**﴾[غافر:59]، وقد قال الشيخ رحمه الله في كشف الشبهات: والعامي من الموحدين يغلب الألف من علماء المشركين. وهذا صحيح فإن عند العوام الذين علموا مسائل التوحيد وأخذوها عن أهلها عندهم من الحجج ووضوح البينات في ذلك ما ليس عند بعض المتعلمين.

قال(**وقول الله تعالى: (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ)**) وجه الاستدلال ظاهر وهو أن الله جل وعلا مدح الموفين بالنذر، ومدحه للموفين بالنذر يقتضي أن هذه

العبادة محبوبة له جل وعلا وأنها مشروعة وما كان كذلك فهو من أنواع العبادات فيكون صرفه لغير الله جل وعلا شرك أكبر.

كذلك (قوله: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[البقرة: 270]) دال على أن النذر عظمه الله جل وعلا بقوله (**فَإِنَّ اللهَ يَعْلَمُهُ**) وعظَّم أهله، وهذا يدل على أن الوفاء به عبادة محبوبة لله جل وعلا.

قال (وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ [illegible]:

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

•

[الأسئلة]

[س/ هل يعتبر نذر مطلق أم مقيد إذا حصل للعبد منفعة مثل نجح أو حصل على وظيفة ونذر أن يصوم ثلاثة أيام لله سبحانه وتعالى مع العلم أنه لم ينذر قبل نجاحه أو حصوله على الوظيفة.

ج/ الجواب: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه أما بعد:

النذر المطلق: هو الذي لم يعلق بشيء سيحصل في المستقبل.
والنذر المقيد: هو المعلق الذي علق الوفاء به بحصول من الله جل وعلا للعبد، وهذا يكون في المستقبل؛ إن شفى الله مريضي فسأصوم ثلاثة أيام، إن نجحت فسأصوم, هذا هو النذر المعلق المقيد.
أما المطلق فهو أن ينذر نذرا لله جل وعلا تبررا منه، إمّا بسبب حادثة حدثت أو نعمة تجدّدت، أو نقمة اندفعت أو بدون سبب، فهذا كله يدخل في المطلق أمّا المقيد فهو المعلق بشرط في المستقبل.] [1]

باب من الشرك الاستعاذة بغير الله

وقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً﴾[الجن: 6]

وعن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً فقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ, لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ, حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ» رواه مسلم

[الشرح]

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، نشهد له بالرسالة، وبأنه بلغها وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، وتركنا بعده على بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، صلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذا الباب ترجمه الإمام رحمه الله تعالى بقوله (**باب من الشرك الاستغاثة بغير الله**) وهذا الباب مع الباب الذي قبله والأبواب أيضا التي سلفت كلها في بيان قصد هذا الكتاب وبيان الغرض من تأليفه وأن التوحيد إنما يُعرف بضده، فمن طلب التوحيد فليطلب ضد التوحيد؛ لأنه -أعني التوحيد- يجمع بين الإثبات والنفي يجمع بين الإيمان بالله وبين الكفر بالطاغوت، فمن جمع بين هذين فإنه قد عرف التوحيد، ولهذا شيخ رحمه الله فصّل في أفراد توحيد العبادة وفصّل في أفراد الشرك، فبّين أصناف الشرك الأصغر القول والعمل وبين أصناف الشرك الأكبر العملي و الاعتقادي، فذكر الذبح لغير الله وذكر النذر لغير الله والذبح والنذر عبادتان عظيمتان، وعبادة الذبح وعبادة النذر ظاهرة:
عبادة الذبح فعلية عملية.
والنذر قولية إنشاءً وعملية وفاءً.

---

[1] من الوجه الثاني الشريط السادس.

فذكر العمليات أو الذبح من العمليات؛ يعني من أنواع الشرك الأكبر الذي يكون من جهة العمل، وذكر النذر لغير الله وهو يحصل بالقول.

والذبح والنذر، العمل والقول كل منهما معه اعتقاد تعظيم المخلوق كتعظيم الله جل وعلا﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾[البقرة: 165]، وقال﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ(97)إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:97-98].

وعطف على ذلك (**باب من الشرك الاستعاذة بغير الله**) والاستعاذة بغير الله تكون بالقول الذي معه اعتقاد، فهي مناسبة لأنْ تكون بعد (**باب من الشرك النذر لغير الله**).

وقوله رحمه الله (**من الشرك**) من هاهنا تبعيضية -كما ذكرنا فيما سبق من هذه الأبواب-، وهذا الشرك هو الشرك الأكبر؛ من الشرك الأكبر الاستعاذة بغير الله أن الاستعاذة بغير الله شرك أكبر بالله جل جلاله.

الاستعاذة: طلب العياذ، يقال: استعاذ إذا طلب العياذ، والعياذ طلب ما يؤمِّن من الشر، الفرار من شيء مخوف إلى ما يؤمِّن منه أو إلى من يؤمِّن منه.

ويقابلها اللياذ وهو الفرار إلى طلب الخير أو التوجه و الاعتصام والإقبال لطلب الخير.

ومادة استفعل مثل ما هاهنا استعاذ -وكما سيأتي-، استغاث, استعان- ونحو هذه المادة هي موضوعة في الغالب للطلب، فغالب مجيء السين والتاء للطلب؛ استسقى إذا طلب السقيا، واستغاث إذا طلب الغوث، واستعاذ إذا طلب العياذ.

قلنا في الغالب؛ لأنها تأتي أحيانا للدلالة على كثرة الوصف في الفعل كما في قوله تعالى ﴿وَاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾[التغابن:6]، (**اسْتَغْنَى**) ليس معناها طلب الغنى، وإنما جاء بالسين والتاء هنا للدلالة على عِظَم الاتصاف بالوصف الذي اشتمل عليه الفعل وهو الغنى.[1]

فهذه المادة: استغاث، واستعاذ، واستعان، وأشباه ذلك فيها طلب، والطلب من أنواعه التوجه والدعاء إذا طلب فإن هناك مطلوبا منه، والمطلوب منه لما كان أرفع درجة من الطالب كان الفعل المتوجه إليه يسمى دعاء، ولهذا في حقيقة اللغة وفي دلالة الشرع:

الاستعاذة: طلب العوذ أو طلب العياذ، هو الدعاء المشتمل على ذلك.

والاستغاثة هو طلب الغوث دعاء مشتمل على ذلك.

وهكذا في كل ما فيه طلب نقول: إنه دعاء. وإذا كان دعاء فإنه عبادة والعبادة لله جل وعلا بالإجماع ولما دلت عليه النصوص ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن:18]، ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[الإسراء: 23]، ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[النساء:36].

إذن فكل فعل من الأفعال أو قول من الأقوال فيه طلب عبادة لم؟ لأنه دعاء لأن كل طلب دعاء.

---

[1] انتهى الشريط الخامس.

فالذي يطلب شيئا:

- إذا طلبه مِن مقارن فيقال هذا التماس.
- إذا طلبه ممن هو دونه يقال هذا أمر.
- وإذا طلبه ممن هو أعلى منه فهذا دعاء.

والمستعيذ والمستغيث لاشك أنه طالب ممن هو أعلى منه لحاجته إليه، فلهذا كل دليل فيه ذكر إفراد الله جل وعلا بالدعاء والعبادة دليل على خصوص هذه المسألة وهي أنّ الاستعاذة عبادة من العبادات العظيمة، وإذْ كانت كذلك فإن إفراد الله بها واجب.

قال هنا (**من الشرك الاستعاذة بغير الله**)، وقوله (**الاستعاذة بغير الله**) هذا الغير يشمل كل ما يتوجه الناس إليه بالشرك، ويدخل في ذلك بالأوَّلية ما كان المشركون الجاهليون يتوجهون إليه بذلك من الجن والملائكة ومن الصالحين ومن الأشجار والأحجار ومن الأنبياء والرسل إلى غير ذلك.

هل قوله هنا (**باب من الشرك الاستعاذة بغير الله**) (**الاستعاذة بغير الله**) هل هذا المقصود منه: أن الاستعاذة جميعا لا تصلح إلا لله، وأنه لو استعاذ بمخلوق فيما يقدر عليه أنه يدخل في الشرك؟

الجواب: هذا فيه تفصيل.

ومن أهل العلم من قال: الاستعاذة لا تصلح إلا لله، وليس ثَم استعاذة بمخلوق فيما يقدر عليه؛ لأن الاستعاذة توجُّه القلب واعتصامه والتجاؤه ورغبه ورهبه فيها هذه المعاني جميعا، فهي توجُّهٌ للقلب، وهذه المعاني جميعا لا تصلح إلا لله جل وعلا.

وقال آخرون: قد جاءت أدلة بأنه يستعاذ بالمخلوق فيما يقدر عليه لأن حقيقة الاستعاذة طلب انكفاف الشر، طلب العياذ وهو أن يعيذ من شر أحدق به، وإذا كان كذلك فإنه قد يكون المخلوق يملك شيئا من ذلك، قالوا فإذن تكون الاستعاذة بغير الله شركا أكبر إذا كان ذلك المخلوق لا يقدر على أن يعيذ أو لا يقدر على الاعاذة مما طلب إلا الله جل وعلا.

والذي يظهر من ذاك أن المقام -كما ذكرت لك فيه تفصيل-، وذاك أن الاستعاذة فيها عمل ظاهر وعمل باطن:

فالعمل الظاهر أن يطلب أن يطلب العوذ أن يطلب العياذ وهو أن يُعصم من هذا الشر أو ينجو من هذا الشر.

وفيها عمل باطن وهو توجه القلب وسكينته واضطراره وحاجته إلى هذا المستعاذ به واعتصامه بهذا المستعاذ به وتفويض أمر نجاته إليه.

إذا كان هذان في الاستعاذة:

فإذا قيل الاستعاذة لا تصلح إلا لله؛ يعني لا تصلح إلا بالله، لا يستعاذ بمخلوق مطلقا يُعنى أنه لا يستعاذ به من جهة النوعين جميعا؛ لأن منه القلب -يعني النوعين معا-؛ لأن منه عمل القلب الذي وصفتُ، بالإجماع لا يصلح إلا لله جل وعلا.

وإذا قيل الاستعاذة تصلح بالمخلوق فيما يقدر عليه فهذا لما جاء في بعض الأدلة من الدلالة على ذلك، وهذا إنما يراد منه الاستعاذة بالقول ورغب القلب في أن يخْلُص مما هو فيه من البلاء، وهذا يجوز أن يتوجه به إلى المخلوق.

فإذن حقيقة الاستعاذة تجمع الطلب الظاهر وتجمع المعنى الباطن، ولهذا اختلف أهل العلم فيها، فالذي ينبغي أن يكون منك دائما على ذُكر أن توجه أهل العبادات الشركية لمن يشركون به من الأولياء أو الجن أو الصالحين أو الطالحين أو غير ذلك أنهم جمعوا بين القول باللسان وبين أعمال القلوب التي لا تصلح إلا لله جل وعلا.

وبهذا يبطل ما يقوله أولئك الخرافيون من أنّ الاستعاذة بهم إنما هي فيما يقدرون عليه، وأنّ الله أقدرهم على ذلك، فيكون إبطال مقالهم راجعا إلى جهتين:

الجهة الأولى أن يبطل قولهم في الاستعاذة وفي أشباهها أن هذا الميْت أو هذا الجن يقدر على هذا الأمر، وإذا لم يقتنع بذلك أو حصل هنالك إيراد اشتباه فيه.

فالأعظم أن يتوجه المورد إلى الأدلة السنية أن يتوجه إلى أعمال القلب وأن هذا الذي توجه إلى ذلك الميْت أو الولي قد قام بقلب من العبوديات ما لا يصلح إلا لله جل جلاله.

إذن فنقول الاستعاذة لغير الله شرك أكبر لأنها صرف العبادة لغير الله جل جلاله، فإن كان ذلك في الظاهر مع طمأنينة القلب بالله وتوجه القلب إلى الله وحسن ظن بالله وأن هذا العبد إنما هو سبب أن القلب مطمئن فيما عند الله، فإن هذه تكون استعاذة بالظاهر، وأما القلب فإن لم تقم به حقيقة الاستعاذة وإذا كان كذلك كان هذا جائزا.

قال رحمه الله (وقول الله تعالى: ﴿**وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً**﴾[الجن:6]) (**وَأَنَّهُ**) هذه معطوفة على أول السورة وهو ما أوحى الله جل وعلا إلى نبيه ﴿**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنْ الْجِنِّ**﴾[الجن:1]، ثم بعد آيات (**وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً**) ومعنى (**رَهَقاً**) هنا يعني خوفا واضطرابا في القلب أوجب لهم الإرهاق والرهق في الأبدان والأرواح، فلما كان كذلك تعاظمت الجن وزاد شرُّها، قال (**وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الجِنِّ**) وقد كان المشركون إذا نزلوا بواد أو بمكان مخوف كانوا يعتقدون أن لكل مكان مخوف جني أو سيِّد من الجن يخدم ذلك المكان هو له ويسيطر عليه، فكانوا إذا نزلوا واديا أو مكانا قالوا نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يعنون الجن فعاذوا بالجن لأجل أن يكفَّ عنهم الشر مدة مقامهم، لهذا قال جل وعلا (**وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً**)، (**فَزَادُوهُمْ**) يعني زاد الجنُّ الإنسَ خوفا واضطرابا وتعبا في الأنفس والأرواح وإذا كان كذلك كان هذا مما هو من العقوبة عليهم، والعقوبة إنما

تكون على ذنب، فدلت الآية على ذم أولئك، وإنما ذُموا لأنهم صرفوا تلك العبادة لغير الله جل وعلا، والله سبحانه أمر أن يُستعاذ به دون ما سواه فقال سبحانه ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ**﴾[الفلق:1]، وقال ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**﴾ [الناس:1].وقال ﴿**قُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ(97) وَأَعُوذُ بِكَ [رَبِّ] أَن يَحْضُرُونِ**﴾[المؤمنون:97-98] والآيات في ذلك كثيرة كقوله ﴿**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ**﴾[1] فعُلم من التنصيص على المستعاذ به وهو الله جل وعلا على أنّ الاستعاذة حصلت بالله وبغيره وأن الله أمر نبيه أن تكون استعاذته به وحده دون ما سواه، وذكرتُ لكم أصل الدليل في ذلك أن الإستعاذة عبادة وإذا كانت عبادة فتدخل فيما دلت عليه لآيات من أفراد العبادة بالله وحده.

وفي قوله (**فَزَادُوهُمْ رَهَقاً**) ثَم قولا آخر -وهو قول قتادة وبعض السلف- من أن (**رَهَقاً**) معناه إثما ؛ فزادوهم إثما وهذا أيضا ظاهر من جهة الإستدلال إذا كانت الإستعاذة موجبة للإثم، فهي إذن عبادة إذا صرفت لغير الله وعبادة مطلوبة إذا حرفت لله جل جلاله، وهذا يستقيم مع الترجمة من أن الاستعاذة بغير الله شرك.

قال (**وعن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً فقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللّهِ التّامّاتِ مِنْ شَرّ مَا خَلَقَ, لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ, حَتّىَ يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ» رواه مسلم**) وجه الدلالة من هذا الحديث أن النبي ﷺ بيّن فضل الاستعاذة بكلمات الله فقال (**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً فقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللّهِ التّامّاتِ مِنْ شَرّ مَا خَلَقَ**) وجعل المستعاذ منه المخلوقات الشريرة، والمستعاذ به هو كلمات الله، وقد استدل أهل العلم -حين ناظروا المعتزلة وردوا عليهم- استدلوا بهذا الحديث على أن كلمات الله ليست بمخلوقة قالوا: لأن المخلوق لا يستعاذ به والإستعاذة به شرك.كما قاله الإمام أحمد وغيره من أئمة السنة.

فوجه الدلالة من الحديث إجماع أهل السنة على الاستدلال به على أن الاستعاذة بالمخلوق شرك، وأنه لما أمر بالاستعاذة بكلمات الله فإن كلمات الله جل وعلا ليست بمخلوقة.

قال(**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً فقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللّهِ التّامّاتِ مِنْ شَرّ مَا خَلَقَ**) فالمقصود بـ(**كَلِمَاتِ اللّهِ التّامّاتِ**) هنا: الكلمات الكونية التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر وهي المقصودة بقوله جل وعلا﴿**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي**﴾[الكهف:109]، ﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ**﴾[لقمان:27].

﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ**﴾[الأنعام:115]، وفي قراءة ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا**﴾ هذه الآية في الكلمات الشرعية وكذا في الكلمات الكونية.

---

[1] الأعراف:200، فصلت:36.

إذن فقوله (**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللّهِ التّامّاتِ**) يعني الكلمات الكونية، (**مِنْ شَرّ مَا خَلَقَ**) يعني من شر الذي خلقه الله جل وعلا، وهذا العموم المقصود من شر المخلوقات التي فيها شر، وليست كل المخلوقات فيها شر؛ بل ثم مخلوقات طيبة ليس فيها شر كالجنة والملائكة والرسل والأنبياء والأولياء، وهناك مخلوقات خُلقت وفيها شر فاستعيذ بالله جل وعلا بكلمات الله جل وعلا من شر الأنفس الشريرة والمخلوقات التي فيها شر.

•

باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو أن يدعو غيره

وقول الله تعالى: ﴿**وَلاَ تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنْفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِينَ** (106)ـ **وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[يونس: 106 -107].

وقوله: ﴿**إِنَّ الذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾[العنكبوت:17].

وقوله: ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ اللهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ(5) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ**﴾ [الأحقاف:5-6].

وقوله: ﴿**أَمَّن يُجِيبُ المُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَءِلَهٌ مَّعَ اللهِ**﴾[النمل: 62].

روى الطبراني بإسناده: أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق. فقال النبي ﷺ: «**إنه لا يستغاث بي، إنما يستغاث بالله**».

[الشرح]

قوله (**باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره**)، (**من الشرك**) -كما ذكرنا فيما سبق- يعني الشرك الأكبر، (**أن يستغيث**) يعني الاستغاثة؛ لأن (**أن**) مع الفعل تؤول بمصدر: باب من الشرك الاستغاثة بغير الله أو استغاثةٌ بغير الله أو دعاء أو دعوة غيره أو دعاء غيره. وهذا ظاهر في أن الاستغاثة كما ذكرنا طلب، والطلب نوع من أنواع الدعاء، ولهذا قال العلماء: إن في قوله (**أو يدعو غيره**) بعد (**أن يستغيث بغير الله**) فيه عطف للعام على الخاص، ومن المعلوم أن الخاص قد يُعطف على العام وأن العام قد يُعطف على الخاص.

وقوله (**أن يستغيث بغير الله**) هذا أحد أفراد الدعاء كما ذكرنا؛ لأن الاستغاثة طلب والطلب دعاء، (**أو يدعو غيره**) هذا عام الذي يشمل الاستغاثة ويشمل الاستعاذة ويشمل أصنافا كثيرة من أنواع الدعاء.

(**أن يستغيث**) الاستغاثة هي طلب الغوث، والغوث يحصل لمن وقع في شدة وكرب يخشى معه المضرّة الشديدة أو الهلاك، فيقال أغاثه إذا فزع إليه

وأعانه على ما به وخلّصه منه، كما قال جل وعلا في قصة موسى ﴿**فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ**﴾[القصص:15] (**اسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ**) يعني من كان من شيعة موسى طلب الغوث من موسى على من كان من عدوا لهما جميعا، فأغاثه موسى عليه السلام.

فإذن الاستغاثة طلب الغوث، وطلب الغوث لا يصلح إلا من الله فيما لا يقدر عليه إلا الله جل جلاله؛ لأن الاستغاثة يمكن أن تطلب من المخلوق لأنه يقدر عليها.

بعض العلماء يقول: نضبط ذلك بقولنا الاستغاثة شرك أكبر إذا استغاث بالمخلوق فيما لا يقدر عليه ذلك المخلوق.

وقال آخرون: الاستغاثة شرك أكبر إذا استغاث بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله.

وهاتان مختلفتان، والأصح منهما الأخيرة؛ لأن المرء إذا استغاث بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله، والمخلوق يعلم أن لا يقدر عليه إلا الله فإنه شرك أكبر بالله جل وعلا، أو في حقيقة الأمر أنه لا يقدر عليه إلا الله.

أما قول من قال من أهل العلم أن الاستغاثة شرك أكبر إذا استغاث بالمخلوق فيما لا يقدر عليه، فإن هذا يَرِدُ عليه أن ثمة أشياء قد يكون في الظاهر يقدر عليها المخلوق لكن في الحقيقة لا يقدر عليها، فإذن يكون هذا الضابط غير منضبط.

لأن مثلا من وقع في شدة وهو في غرق مثلا وتوجه لرجل يراه بأنه يغيثه، فقال استغيث بك استغيث بك وذاك لا يحسن السباحة ولا الإنجاء من الغرق فهذا استغاث بالمخلوق فيما لا يقدر عليه المخلوق. فهل يكون شركا أكبر؟ لا, لم؟ لأن الإغاثة عادة من الغرق ونحوه يصلح أن يكون المخلوق قادرا عليها.

فيكون الضابط الثاني هو الصحيح هو أن يقال: **الاستغاثة شرك بغير الله شرك أكبر إذا كان استغاث فيما لا يقدر عليه إلا الله**.

أما إذا استغاث فيما يقدر عليه غير الله من المخلوقين؛ لكن هذا المخلوق المعين لم يقدر على هذا الشيء، فإنه لا يكون شركا؛ لأنه ما اعتقد في المخلوق شيئا لا يصلح إلا لله جل جلاله.

فإذن نقول الاستغاثة بغير الله:

- إذا كانت فيما لا يقدر عليه إلا الله فهي شرك أكبر.
- وإذا كانت فيما يقدر عليه المخلوق فهي جائزة، كما حصل من صاحب موسى إذِ استغاث بموسى عليه السلام.

قال (**أو يدعو غيره**) الدعاء كما ذكرت لك هو العبادة، والدعاء نوعان: دعاء مسألة ودعاء عبادة.

[illegible]

والنوع الثاني **دعاء العبادة** كما قال جل [illegible] ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا أَحَدًا﴾ [الجن:18] [illegible] تعبدوا [illegible] الله أحدا [illegible] تسألوا [illegible] «**الدعاء** [illegible] **العبادة**».

[illegible] زكى [illegible] العبادة؛ [illegible]

[illegible]: [illegible] **المسألة** **متضمن** [illegible] **مستلزم** [illegible].

[illegible] شيئا [illegible] داعٍ [illegible] متضمن [illegible]

[illegible]

[illegible] يؤولون [illegible]

[illegible]

ثم [illegible]

قل [illegible] ﴿[illegible] إِذًا [illegible] الظَّالِمِينَ (106) وَإِنْ [illegible] بِضُرٍّ [illegible] وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ [illegible] مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ [illegible] الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: 106-107]

قل في أولها (وَلَا تَدْعُ مِنْ [illegible] اللَّهِ [illegible] يَمْسَسْكَ [illegible])، (تَدْعُ) هذا نهي [illegible] توجه إلى الفعل (تَدْعُ) [illegible] كل [illegible] يعم [illegible] الدعاء [illegible] ذكرت [illegible] مسألة [illegible] عبادة؛ [illegible] الشرط [illegible] تعمّ، و(تَدْعُ) نكرة لأنها فعل مشتمل على مصدر، [illegible] حث [illegible] فإن [illegible] يعم [illegible] الشيخ [illegible] أحد [illegible] الآية.

(وَلَا [illegible] مِنْ [illegible] اللَّهِ) [illegible] يُ[illegible] لغير [illegible] يصلح [illegible] الاستغاثة [illegible].

---

(1) قال الشيخ: يمسسك.

(فابتغوا عند الله الرزق) [العنكبوت: 17] تعالى

الرزق، أعظم

الحياة،

لم؟

كلْ

(ابْتَغُوا) (الرِّزق) (عند الله)

حقُّه

(5)

[1]

---

[1] انتهى الوجه الأول من الشريط السادس.

[illegible] (وقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: 62])

[illegible]

[illegible] اللفظين [illegible] (وَيَكْشِفُ السُّوءَ) [illegible]

(أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ) [illegible]

(وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ [illegible]) [illegible] (أَإِلَٰهٌ مَّعَ [illegible]) [illegible]

[illegible] شيء؟ [illegible]

[illegible] (قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ).

[illegible] (روى الطبراني بإسناده: أنه كان في زمن [illegible] ﷺ [illegible] يؤذي المؤمنين [illegible] بعضهم) [illegible]

نستغيث [illegible] ﷺ [illegible]: «[illegible] يستغاث بي [illegible]

[illegible]

.[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

باب قول الله تعالى﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ(191) وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾[الأعراف:191-192]

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ(13)إِنْ تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[فاطر:13]،

وفي الصحيح، عن أنسٍ رضي الله عنه قال: شج النبي ﷺ **يَوْمَ أُحُدٍ**، و **كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ**، فقال: «**كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجّوا نَبِيّهُمْ؟**»، فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: 128].

وفيه: عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **إِذَا رفعَ رأسَه من الرّكوعِ منَ الرّكعةِ الآخِرةِ من الفجر يقول: اللهمّ العَنْ فلاناً وفلاناً وفلاناً, بعدَما يقول سمعَ اللّه لمن حَمِدَه ربّنا ولكَ الحمد.** فأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾[آل عمران:128].

وفي رواية يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث ابن هشام، فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: 128]

وفيه: عن أبي هريرة ﷺ، قال: قام فينا رسول الله ﷺحين أنزل عليه: ﴿وأنذِرْ عَشيرتَكَ الأقرَبين﴾ [الشعراء: 214]، فقال: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ (أو كلمة نحوها) اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ [مِنَ الله]. لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً. يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ الله شَيْئاً. يَا عَبّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ الله شَيْئاً. يَا صَفِيّةُ عَمّةَ رَسُولِ اللّهِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللّهِ شَيْئاً. يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ رَسُولِ اللّهِ سَلِينِي بِمَا شِئْتِ. لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئاً**».

[الشرح]

هذا الباب (**باب قول الله تعالى﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ(191) وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾**) هذا الباب إيراده بعد الأبواب المتقدمة من أحسن الإيراد وأعظمها فقها ورسوخا في العلم؛ ذلك أنّ برهان وجوب توحيد الله جل وعلا في إلهيته هو ما رُكِزَ في الفطر من أن الله جل وعلا واحد في ربوبيته، والربوبية وأنّ الله واحد في ربوبيته هذه يقر بها المشركون ويقر بها كل أحد، فهي البرهان على أن المستحق للعبادة هو من توحَّد في الربوبية، فهذا الباب والباب الذي بعده أيضا برهان لاستحقاق الله العبادة وحده دون ما سواه بدليل فطري ودليل واقعي ودليل عقلي.

ومن المعلوم أن الأدلة العقلية عندنا أهل السنة والجماعة نأخذها من الكتاب والسنة؛ لأن في الكتاب والسنة من الأدلة العقلية ما يغني عن تكلُّف أدلة عقلية أخرى لمن تأمل ذلك في نصوص الوحيين.

فهذا الباب في بيان أن الذي يخلق هو الله وحده والذي يرزق هو الله وحده والذي يملك هو الله وحده وأن غير الله جل وعلا ليس له نصيب من الخلق وليس له نصيب من الرَّزق وليس له نصيب من الإحياء وليس له نصيب من

الإماتة وليس له نصيب من الأمر وليس له ملك حقيقي في أمر من الأمور (**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**)، حتى أعلى الخلق مقاما وهو النبي عليه الصلاة والسلام قال له الله جل وعلا (**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**) يعني لست مالكا لشيء من الأمر، ليس من الأمر شيء تملكه، اللام هنا لام الملك، فمن الذي يمكلك إذن؟ هو الله جل وعلا، فإذا كان النبي عليه الصلاة والسلام يُنفى عنه ذلك فإنّ نفيه عمن هو دونه من باب أولى.

والذين توجّهوا إلى أصحاب القبور أو إلى الصالحين والأولياء والأنبياء في داخلهم زعْمٌ بأنهم يملكون أشياء، إمّا أن يملكوا شيئا من الرزق أو يملكوا شيئا من التوسط والشفاعة بدون إذن من الله جل وعلا ومشيئته.

فإذن هذا الباب أحد الأبواب التي فيها البرهان على استحقاق الله للعبادة وحده دون ما سواه، والقرآن فيه كثير من البراهين على أنّ المستحق للعبادة هو الله جل وعلا وحده دون ما سواه، فمن تلك الأدلة والبراهين ما في القرآن من أدلة فيها إقرار المشركين بتوحيد الربوبية، كل ذلك النوع م ن الأدلة فيه دليل على أنَّ المستحق للعبادة هو من أقررتم له بالربوبية.

ومن الأدلة والبراهين على ذلك ما في القرآن من أن الله جل جلاله نصر رسله وأولياءه على أعدائهم وأنّ كل طائفة من طوائف الشرك ذلت وخضعت وغلبت أمام طوائف أهل الإيمان أمام جند الله جل وعلا من الرسل وأتباع الرسل والأنبياء، وهذا نوع آخر من الأدلة أنه ما من طائفة موحدة بعث الله جل وعلا إمامها ورسولها بقتال المشركين إلا وظهرت عليهم, إلا وغلبتهم حتى صارت العاقبة لهم، وهذا أمر في القرآن كثير وأدلته كثيرة, قصص الأنبياء، وقصص القرى، وكل قرية خالفت رسولها عوقبت وهكذا كل القرى، هذا دليل على أن التوحيد هو الحق وأنّ الشرك باطل.

من الأدلة نوع آخر في القرآن-من البراهين نوع آخر في القرآن- مِن أن المخلوق ضعيف، أن العابد الذي يسمع هذا القرآن, كل مخلوق, كل مكلف يعلم من نفسه الضعف، وأنه جاء إلى الحياة بغير إختياره؛ بل الله جل وعلا هو الذي أتى به إلى هذه الحياة، وأنه سيخرج من هذه الحياة بغير إختياره أيضا، فهو أيضا مقهور، ويعلم قطعا أن الذي قهره وأذله وجعله على هذه الحالة ليس هو تلك الآلهة إنما هو الله جل وعلا وحده هو الذي يحيي ويميت، وهذا إقرار عام يعلمه كل أحد من فطرته.

من الأدلة و البراهين أنّ الله جل وعلا له الأسماء الحسنى وله الصفات العلا وأنه ذو النعوت الكاملة وذو النعوت الجليلة -نعوت الجلال ونعوت الجمال ونعوت الكمال-، وهو سبحانه كل الكمال المطلق في كل إسم له وفي كل نعت ووصف له، له الكمال المطلق الذي يعتريه نقص في وجه من الوجوه.

هذا الباب ذكر فيه الشيخ رحمه الله أحد أنواع أدلة الربوبية أو براهين التوحيد، وأنه الله جل وعلا هو الواحد في ربوبيته.

والباب الذي يليه هو باب قول الله تعالى ﴿إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[سبإ:23] فيه دليل على عظمة الله جل وعلا في صفاته.

وفي هذا الكتاب تنويع أيضا -كما سيأتي- براهين التوحيد -توحيد العبادة- بأدلة من القرآن متنوعة، ونكمل إن شاء الله في الدرس القادم شرح هذا الباب، والذي يليه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

[1]بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

(باب قول الله تعالى﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ(191) وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾[الأعراف:191-192]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾[فاطر:13]) ذكرنا لكم بالأمس أن هذا الباب مع الباب الذي يليه مناسبته لكتاب التوحيد أنّ هذين البابين هما برهان للتوحيد؛ برهان لاستحقاق الله حل وعلا العبادة وحده و على بطلان عبادة ما سواه، وهذا البرهان هو بتقرير أنّ الله حل وعلا واحد في ربوبيته، ودليل ذلك الفطرة ودليل ذلك العقل ودليل ذلك أيضا النص من الكتاب والسنة، فلا أحد ينكر أن الله جل وعلا هو مالك الملك، وهو الذي بيده تصريف الأمر كيف يشاء، إلا شرذمة قليلة من الناس -كما قال الشهرستاني وغيره- لا يصح أن تنسب لهم مقالة.

فالناس مفطورون على الإقرار بالرب وعلى الإقرار بأنهم، وإذا كان كذلك فإن الحجة عليه في وجوب توحيد الألوهية أن الله جعل في فطرهم الإقرار بأن الله واحد في ربوبيته، ولهذا المشركون لا ينكرون أن الله جل جلاله واحد في خلقه واحد في رَزْقه؛ يعني أنه هو الخلاق وحده، و أنه هو الرزاق وحده، وأنه جل وعلا هو الذي يحيي و يميت، وهو الذي يجير ولا يجار عليه، وهو الذي بيده ملكوت السماوات و الأرض، وهو الذي ينبت النبات، وهو الذي يُنزل الماء، إلى آخر أفراد تدبيره جل وعلا للأمر وأفراد توحيد الربوبية.

فالبرهان على أنّ الله هو المستحق للعبادة وحده أنه جل وعلا هو مالك الملك وحده، وهو الذي يدبر هذا الملكوت وحده، وهو الذي خلق العباد والعباد صائرون إليه، وأما الآلهة التي توجه إليها العباد بالعبادة من الأنبياء والأولياء والملائكة فإنما هم مخلوقون مربوبون لا يخلقون شيئا وهم يخلقون، وأيضا لا يستطيعون نصرا لمن سألهم، وإنما ذلك لله جل وعلا.

فإذا كان أولئك ليس لهم من الأمر شيء، وليس لهم من الملك شيء، وليس لهم من الخلق شيء، وليس لهم من تدبير الأمر شيء، وإنما تدبير أمر السماوات وتدبير أمر الأرض بيد الله وحده دونما سواه، فإن الذي يستحقّ العبادة وحده هو الذي يفعل تلك الأفعال، وهو الذي يتصف بتلك الصفات، هو الذي وحّده العباد في ربوبيته.

---

[1] من هنا يبتدئ الشريط السابع.

فإذا كان كذلك يجب أن يكون إذن واحدا في أفعالهم لكي لا يتوجهوا في العبادة إلا إليه وحده.

وهذا كثير في القرآن جدا، فإنك تجد في القرآن أنّ أعظم الأدلة والبراهين على المشركين في إبطال عبادتهم لغير الله وفي إحقاق عبادة الله وحده دونما سواه أنهم يقرون بتوحيد الربوبية، فالإقرار بتوحيد الربوبية برهان توحيد الإلهية، فالله جل وعلا احتج في القرآن على المشركين بما أقروا به من توحيد الربوبية على ما أنكروه من توحيد الإلـهية.

ولهذا قال جل وعلا ﴿**قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِن السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنْ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنْ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ**﴾[يونس:31]؛ يعني أتقرون بذلك فلا تتقون الشرك -لأني ذكرتُ لكم أن الفائدة أتت بعد الهمزة فهي تعطف ما بعدها على جملة محذوفة دلّ عليها السياق-، (**أَفَلَا تَتَّقُونَ**) يعني أتقرون بأن الله واحد في ربوبيته فلا تتقون الشرك به؟ ﴿**فَذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الحَقُّ**﴾ باعترافكم وبإيقانكم، ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ**﴾[يونس:32]، وهذا نوع احتجاج بما أقروا به وهو توحيد الربوبية على ما أنكروه وهو توحيد الإلـهية.

كذلك الآيات العظيمة في سورة النمل قال جل وعلا﴿**قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (59) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ**﴾[النمل:59-60] (**أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ**) هنا إنكار عليهم، أنكر لماذا؟ لأن ما سبق يقرون به، (**أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**) يقرون بأن الذي خلقها هو الله، فإذن كيف يتخذون إلها مع الله، كان هذا إنكار, من الذي أنزل لهم من السماء ماء فأنبت لهم به حدائق ذات بهجة؟ هو الله، فإذن كيف يتخذون إلها معه، ولهذا قال جل وعلا (**أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ**), هذا إنكار عليهم، (**بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ**) يعني يعدلون بالله غيرَه أو يعدلون غير الله جل وعلا به؛ يعني يساوون هذا بهذا، أو (**يَعْدِلُونَ**) يعني يصرفون عن الحق ويُصرفون عنه إلى غيره، فكيف يعدلون عن الحق لا غيره أو كيف يعدلون بالله غيره من الآلهة وهكذا الآية التي بعدها قوله ﴿**أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلاَلَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ البَحْرَيْنِ حَاجِزًا**﴾[النمل:61]، جواب المشركين على هذا السؤال (**أَمَّنْ**) جوابهم هو الله، قال جل وعلا ﴿**أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾[النمل:61]، ثم قال جل وعلا ﴿**أَمَّن يُجِيبُ المُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ**﴾[النمل: 62] رجع من الآيات التي في الآفاق وفيما حولهم إلى الشيء الذي يعلمونه علم اليقين ﴿**أَمَّن يُجِيبُ المُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَءِلَهٌ مَّعَ اللهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ**﴾[النمل: 62]، ثم قال جل وعلا ﴿**أَمَّن يَّهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ وَمَن يُّرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَءِلَـهٌ مَّعَ اللهِ تَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (63) أَمَّن يَبْدَؤُا الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَّرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَءِلَـهٌ مَّعَ اللهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[النمل:63-64]، وفي الحقيقة أنه لا برهان لهم، ولهذا قال في آية

المؤمنون ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ **[المؤمنون:117]، (لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ)** فكل إله لا برهان له, **(لَا بُرْهَانَ لَهُ)** يعني لا حجة قائمة على إنه إلـه وإنما اتخذه البشر بالطغيان وبالظلم، ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ **[المؤمنون:117]،** فهذا الباب قائم على هذه الحجة، ولهذا من أعظم الحجة على المشركين وعلى الذين توجهوا إلى الأموات توجهوا إلى المقبورين بطلب تفريج الكربات وطلب إغاثة اللهفات وطلب إنجاح الحاجات وسؤال ما يحتاجه الناس، أعظم الحجة عليهم أنْ تحتج عليهم بتوحيد الربوبية.

وهؤلاء المشركون في هذه الأزمنة زادوا -كما قال الشيخ رحمه الله في القواعد الأربع- زادوا على مشركي الجاهلية بأنهم اعتقدوا أن لتلك الآلهة, لتلك الأموات, أن لهم تصرفا في الكون أيضا، فنسبوا إليهم شيئا من الربوبية ولم يجعلوا توحيد الربوبية أيضا خالصا.

وهذا البرهان برهان عظيم ينبغي لك أن تتوسع في دلائله وأن تعلم الحجة في القرآن منه؛ لأن القرآن كثيرا ما يحتجّ بهذا البرهان وهو توحيد الربوبية على ما ينكره المشركون وهو توحيد الإلهية.

من ذلك ما ساقه الشيخ رحمه الله في هذا الباب قال (باب قول الله تعالى﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾) هذا إنكار وتوبيخ لهم كيف يشركون الذي لا يخلق وهم يخلقون ومن الذي خلقهم هو الله جل وعلا هو الذي خلق من عبدوا وهو الذي خلق العابد أيضا، فالذي يستحق العبادة وحده دون ما سواه إنما هو الله ذو الجلال والإكرام، قال **(وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا)** لأن النصر في الحقيقة إنما هو من عند الله جل وعلا، لو أراد الله أن يمنع نصر الناصر لمنعه.

قال (وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ(13)إِنْ تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ الآيات) قال **(مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ)** وهذا موطن الشاهد، وقوله **(مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ)**حتى هذا القطمير وهو غلاف النواة أو الحبل الواصل من أعلى النواة إلى ظهر الثمرة هذا لا يملكونه، فغيره مما هو أعلى منه من باب أولى وأولى، وحتى هذا الشيء الحقير لا يملكون مما لا يحتاجه الناس ولا يطلبونه، فكيف إذن يطلبون منهم أشياء لا يملكونها؟ قال جل وعلا هنا **(وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا...)، (الَّذِينَ)** إسم موصول يعم كل ما دعي من دون الله -الملائكة أو الأنبياء والرسل أو الصالحين من الأموات أو الطالحين أو الجن أو الأصنام والأشجاروالأحجار-؛ كل ما دعي وما دعي فإنه لا يملك ولو قطميرا لا يملك هذا، فإذن لم يسأل؟ فالواجب أن يتوجه بالسؤال لمن يملك.

ذلك ذكر الشيخ رحمه الله بعد ذلك عدة أحاديث في هذا الباب، وهذه الأحاديث مدارها على بيان قول الله جل وعلا ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾[آل عمران: 128]، ووجه الإستدلال من هذه الأحاديث وإيراد هذه الآية: أن هذا النفي توجه إلى رسول الله ﷺ وهو عليه الصلاة والسلام سيد ولد آدم، ليس لك يا محمد من الأمر شيء، واللام في قوله لك لام الإستحقاق أو لام الملك؛

يعني لا تستحق شيئا أو لا تملك شيئا يعني لا تستحقه بذاتك وإنما بما أمر الله جل وعلا وبما أذن به، فتعظيم النبي ﷺ ومحبة النبي عليه الصلاة والسلام هي فرع عن محبة الله وعن تعظيم الله جل وعلا، فما هو أبعد أو أعظم مما أذن الله به فليس له ذلك، أو كذلك المِلك؛ مِلك الأشياء أو مُلك شيء من الأمر فإنه ليس له عليه الصلاة والسلام , ذلك قال جل وعلا (**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**)، ولو كان له عليه الصلاة والسلام من الأمر شيء لنصر نفسه وأصحابه يوم أحد ولكن في يوم أحد حصل ما حصل فأنزل الله جل وعلا قوله ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنْ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ**﴾[آل عمران: 128].

كذلك الحديث الآخر لما لعن النبي ﷺ في قنوت الفجر فلانا وفلانا من الناس الذين آذوا المؤمنين نزل قول الله جل وعلا (**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**)؛ يعني لست تملك شيئا من الأمر .

وهكذا الحديث الذي بعده.

وهذه الأحاديث دالة على أن النبي ﷺ نُفي عنه أن يملك شيئا من ملكوت الله، وإذا كان كذلك فإنه عليه الصلاة والسلام قد بلّغ ذلك وبيّنه، ومن هو دونه عليه الصلاة والسلام من باب أولى، فالملائكة أولى أن ينفى عنهم ذلك، والأنبياء أولى أن ينفى عنهم ذلك، وكذلك الصالحون من أتباع الرسل وأتباع محمد ﷺ كذلك أولى أن يُنفى عنهم ذلك.

فإذا كان كذلك بطلت كل التوجُّهات إلى غير الله جل و علا، ووجب أن يُتوجه بالعبادة وبأنواع العبادة من الدعاء والإستغاثة والإستعاذة والذبح والنذر وأنواع التوجّهات إلى الحق جل وعلا وحده دون ما سواه.

الحديث الأخير لمّا نزلت ﴿**وأنذِرْ عَشيرتَكَ الأقرَبين**﴾[الشعراء: 214]، قال النبي ﷺ: «**يا معشر قريش اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنكِ من الله شيئاً**» وهذا ظاهر في أن النبي عليه الصلاة والسلام لا يستطيع أن يفعل شيئا بما ينفع به الأقربين إلا ما جعل الله له من الرسالة وبلاغ وأداء الأمانة، وأما أنه يغني عنهم من الله شيئا؛ يغني عنهم العذاب يغني عنهم النكال يغني عنهم العقوبة فالله جل وعلا لم يجعل لأحد من خلقه من ملكوته شيء، وإنما هو سبحانه المتفرد بالملكوت والجبروت والمتفرد بالكمال والجمال والجلال.

•

باب قول الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ:23].

وفي الصحيح عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ، قال:«**إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خَضَعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، ينفذهم ذلك:** ﴿**حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا**

الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ[سبأ:23]، **فيسمعها**[1] **مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض، وصفه سفيان بكفه، فحرفها وبدد بين أصابعه، فيسمع الكلمة، فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مئة كَذْبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء».**

وعن النوّاس بن سِمعان (ﷺ)، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلّم بالوحي أخذت السماوات** [illegible] **رجفة** ([illegible] **قال**: **رعدة شديدة**) **خوفاً** [illegible] **عز** [illegible]. [illegible] **صعِ** [illegible] **عليه السلام** [illegible] **ثم** [illegible] **الملائكة،** [illegible] **بسماء** [illegible] **ملائكتُ** [illegible]: [illegible] **جبريل؟** [illegible]: [illegible]. [illegible]»

[الشرح]

هذا الباب -كما ذكرنا بالأمس- مناسبته لكتاب التوحيد أن فيه برهانا على أن المستحق للعبادة هو الله جل جلاله ذلك أنه هو المتصف بصفات الكمال والجلال، وهذا الباب فيه ذِكر لصفة أو لصفات الجلال لله جل وعلا، والله سبحانه كلّ من في السماوات ومن في الأرض خائف منه وجِلٌ منه في الحقيقة إذْ هو الجليل سبحانه، ولذلك كان الأعرف به في السماء الملائكة فإن الملائكة **يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**[النحل:50]، وقال وعلا في وصفهم أيضا **وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ**[الأنبياء:28]، فصفات الجلال لله جل وعلا وصفات الكمال له سبحانه وصفات الجمال له سبحانه هذه كلها دلائل على أنه هو المستحق للعبادة وحده دون ما سواه، فمن المتصف بالعظمة على كمالها؟ من الذي يُهاب منه ويُخاف على الحقيقة؟ من الذي يكون كل ما في السماوات وما في الأرض على وفق أمره؟ هو الله جل وعلا.

إذن هو جل وعلا ذو الأسماء الحسنى وذو الصفات العلى، ولهذا قال جل وعلا في آية سبأ **(حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ)**، (**فُزِّعَ**) يعني أزيل الفزع عن قلوب الملائكة، فالملائكة مع أنهم مقربون إلا أنهم شديدوا المعرفة بالله جل وعلا، شديدوا العلم به، عظيم علمهم بالرب جل وعلا، ومما يعلمونه عن الله جل وعلا أنه هو الجبار وأنه هو الجليل سبحانه وأنه ذو الملكوت، فلهذا يشتد فزعهم منه سبحانه؛ لأنه لا غِنى بهم عنه جل وعلا طرفة عين.

والصفات التي فيها هذا البرهان هي صفات الجلال لله جل وعلا، وصفات الجلال هي الصفات التي تورث الخوف في القلب؛ لأن الصفات تنقسم إلى أقسام متنوعة بإعتبارات، ومن تقسيمات الصفات أنها تنقسم إلى صفات جلال وصفات جمال.

---

[1] قارئ المتن قال: فيسمع الكلمة.

فالصفات التي تحدث في القلب الخوف والهلع والرهبة من الرب جـل وعلا هذه تسمى صفات الجلال، والذي يتصف بصفات الجلال على الحقيقة هو الله جل وعلا؛ لأنه هو الكامل في صفاته سبحانه، فإذا كان كذلك كان الكامـل فـي صفاته هو المستحق للعبادة. وأمّا البشر, أمّا المخلوقين فـإنهم ناقصـون فـي صفاتهم يعلمون أن حياتهم ليست حياة كاملة، وإنما هـي حيـاة إذا عـرض لهـا أي عارض صـار المخلـوق ميْتـة، وإذا عـرض لـه أي عـارض صـار مريضـا، إذا عرض له أي عارض صار ضعيفا لا يستطيع أن يعمل شيء، فهم ضعاف فقراء محتاجون ليست لهـم صـفات الكمـال، وهـذا ودليـل نقصـهم ودليـل عجزهـم ودليل أنهم مقهورون مربوبون، فيجب أن يتـوجه العبـاد إلـى مـن لـه صـفات الكمال ونعوت الجلال والجمال، وهو الله جل وعلا وحده سبحانه وتعالى.

هذا المراد من هذا الباب وهذا ظاهر بحمد الله.

•

باب الشفاعة

وقوله الله عز وجل: ﴿**وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾[الأنعام: 51]

وقوله: ﴿**قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا**﴾[الزمر:44].

وقوله: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ**﴾[البقرة:255].

وقوله: ﴿**وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى**﴾[النجم:26].

قوله: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ(22)وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾[سبإ:22-23]**.**

قال أبو العباس رحمه الله تعالى: **نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عوناً لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى﴾**[الأنبياء:28], **فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة، كما نفاها القرآن وأخبر النبي ﷺ:**
«[illegible]
[illegible]»

وقال له أبو هريرة: من أسعد الناس بشـفاعتك يـا رسـول اللـه؟ **قـال: «من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه».**

فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله ولا تكون لمن أشرك بالله.

وحقيقته أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع. ليكرمه وينال المقام المحمود.

فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك. ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع. وقد بين النبي ﷺ [illegible].
[illegible].

[ ]

هذه الشروط وفائدتها - وهي فائدة البحث أنه أحد يتعلق - إذن بأن طلبت

منه يملك أهل الشرك في أن آلهتهم

تشفع ولا بد من اعتقاد، الذين بعث إليهم رسول صلى

سواء توجه بالشفاعة

جزما وطا

.

فهذه الآيات إبطال لدعوى أولئك المشركين أن أحد الشفاعة

رضاه .

أحد

المخلوق؟

:

.

.

قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم (

اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ

ظَهِيرٍ) [سبأ: 22] ثلاث:

الحالة الأولى: يدعوا الذين زعموهم ينظروا

يملكون مثقال السماوات الأرض جل مِثْقَالَ

السَّمَاوَاتِ الْأَرْضِ

الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾[سبأ:23]، فنفى آخر ما نفى الشفاعة وأثبتها بشرط قال ﴿**وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ**﴾.

فالشفاعة تنفع بشرط أن يأذن الله، فإذن لا يبتدئ هذا الشافع فيشفع.

فإذا كان كذلك توجّه السؤال إذن الآن: من يأذن الله لهم؟ إذا كان ليس له شريك، وليس له ظهير، وليس عنده شفيع إلا بإذنه، فمن ذا الذي -إذن- يشفع عنده بإذنه، من هم، ومن الذي يأذن له الله جل وعلا؟

الجواب في ما قاله شيخ الإسلام ابن تيميه فيما ساقه الشيخ رحمه الله بعد ذلك.

إذن فالآيات التي سبقت من أول الباب إلى هنا رتبها الإمام رحمه الله ترتيبا موضوعيا، فالآيات الأُوَل وجه الاستدلال منها أنّ الشفاعة مِلك لله -الآية الأولى والثانية- وأنه ليس لأحد شيء من الشفاعة؛ يعني ليس أحد يملك شيئا من الشفاعة، فإذا كان لا يملك إذن من يشفع، كيف يشفع؟ يشفع بأن يعطى الشفاعة، يؤذن له بالشفاعة، يكرم بالشفاعة.

من يشفع؟ هل يشفع استقلالا؟ نفى شفاعة الاستقلال وأثبت الشفاعة بشرطين وهو شرط الإذن والرضى.

إذا كان كذلك فمن الذي يؤذن له؟ ومن الذي يُرضى له أن يشفع؟ ومن الذي يرضى عنه أن يُشفّع فيه؟ هذه ثلاثة أسئلة جوابها في كلام شيخ الإسلام، حيث قال المصنف رحمه الله: (قال أبو العباس: **نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره مِلك أو قسط منه أو يكون عوناً لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال**: ﴿**وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى**﴾[الأنبياء:28]، **فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة، كما نفاها القرآن**)،

(**منتفية يوم القيامة**) يعني عن جميع الخلق إلا لمن أثبت الله جل وعلا له الاستحقاق أو أن يكون نائلا تلك الشفاعة؛ يعني الأصل لا شفاعة إلا لمن رضي الله قوله أو أذن له جل وعلا، قال (**كما نفاها القرآن وأخبر النبي ﷺ أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده**).

قول الشيخ رحمه الله (**فهذه الشفاعة التي يضنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن**) يعني منتفية بدون شروط لأن المشركين يعتقدون أنها تحصل بدون إذن من الله ولا رضاه؛ لأن الشافع عندهم يملك الشفاعة، ولكن هي تحصل بالشرط كما أثبت ذلك الكتاب والسنة.

قال (**يأتي فيسجد لربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة أولا ثم يقال له ارفع رأسك وقل يُسمع وسل تُعطى واشفع تشفع، وقال له أبو هريرة: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه»**).

فالدليل الأول من السنة في أنّ النبي ﷺ وهو سيد ولد آدم لا يشفع حتى يؤذن له، (**يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع**) هذا في دليل الإذن، من الذي يؤذن له؟ يؤذن للنبي عليه الصلاة و السلام ويؤذن

---

(1) انتهى الوجه الأول من الشريط السابع.

لغيره، لا يبتدئون وإنما يستأذنون في الشفاعة فيؤذن لهم لم؟ لأنهم لا يملكونها وإنما الذي يملكها عند الله إنما هو الله جل وعلا سبحانه وتعالى.

من الذي يؤذن في الشفاعة فيه؟ من الذين يرضى عنه في الشفاعة؟ جاء بالحديث الآخر حيث قال أبو هريرة للنبي صَلَّى الله عليه وسلم (من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «**من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه**») فهذا الذي يرضى عنه فيشفع فيه بعد إذن الله جل وعلا هو صاحب الإخلاص؛ هم أهل التوحيد.

فإذن تلك الشفاعة منتفية عن أهل الشرك ولهذا قال (**فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله ولا تكون لمن أشرك بالله).**

فإذا كان كذلك يكون الدي توجه إلى الموتى؛ إلى الرسل أو إلى الأنبياء أو إلى الصالحين أو الطالحين يطلب منهم الشفاعة فإنه مشرك؛ لأنه توجه بالدعاء لغير الله، وأولئك لا يملكون الشفاعة وإنما يشفعون بعد الإذن والرضى، والرضى يكون عن أهل التوحيد وأهل التوحيد هم الذين لا يسألون الشفاعة أحدا من الموتى.

فإذن كل من سأل ميْتا الشفاعة فقد حرم نفسه الشفاعة لأنه أشرك بالله جل وعلا، والشفاعة المثبتة إنما هي لأهل الإخلاص ليس لأهل الشرك فيها نصيب.

ونقف عند هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

بقي في باب الشفاعة الأسطر الأخيرة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، فوقفنا عند قوله (**وحقيقته**) يعني حقيقة الشفاعة (**أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع، ليكرمه وينال المقام المحمود**) هذا في حقيقة الشفاعة، فإننا ذكرنا لكم أن الشفاعة نُفي أن يملكها أحد إلا الله جل وعلا ﴿**قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا**﴾[الزمر:44]، لام هذه لام المِلك يعني الذي يملك الشفاعة هو الله جل وعلا، فقال ﴿**لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ**﴾[الأنعام: 51]، فإنّ الشفاعة إنما هي لله تبارك وتعالى، وجاء في الأدلة أن الشفاعة منفية عن المشركين وأن الشفاعة النافعة إنما هي لأهل الإخلاص بشرطين الإذن والرضى.

إذا تقرر ذلك فما حقيقة الشفاعة؟ يعني ما حقيقة حصولها وكيف تحصل؟

الجواب في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في قوله (**حقيقته أن الله سبحانه هو الذي يتفضّل على أهل الإخلاص)** يعني الذين شُفع لهم إنما ذلك بتفضّل الله جل وعلا عليهم وهم أهل الإخلاص، حيث جاء في حديث أبو هريرة: قال عليه الصلاة والسلام «**أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه**» أو قال «**خالصا من قلبه ونفسه**»، فأهل الإخلاص هم الذين يُكرمهم الله بالشفاعة، فالمتفضل بالشفاعة هو الله جل وعلا.

فإذا ثبت ذلك انقطع القلب من التعلق بغير الله لأجل الشفاعة، فإن الذين توجهوا إلى المعبودات المختلفة -إلى الأولياء إلى الصالحين إلى

الملائكة إلى غير ذلك- توجهوا إليهم رجاء الشفاعة، كما قال جل وعلا عنهم ﴿**وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ**﴾[يونس:18]، فإذا بطل أن تكون لهم الشفاعة وأن المتفضل بالشفاعة هو الله جل وعلا فإن الله جل جلاله إنما يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة من دعا، بواسطة دعاء الذي أذن له أن يشفع.

وهاهنا سؤال: لِم لم يتفضل الله عليهم أن غفر لهم بدون واسطة الشفاعة؟

والجواب عند ذلك ما ذكره شيخ الإسلام هنا بقوله (**ليكرمه**) فهو إظهار فضل الشافع، إظهار إكرام الله جل وعلا للشافع في ذلك المقام، إذْ -كما هو معلوم- أن الشافع الذي قُبلت شفاعته ليس في المقام مثل المشفوع له فالله جل وعلا يُظهر إكرامه لمن أذن له أن يشفع، ويُظهر رحمته بالشافع؛ لأن الشافع له قرابة يريد أن يشفع لهم، له أحباب يريد أن يشفع لهم، لذلك الشفاعة يوم القيامة لأهل الكبائر ليست خاصة بالنبي [illegible]؛ [illegible] للأنبياء [illegible]

[illegible]

[illegible] على [illegible].

[illegible] أنّ [illegible].

[illegible]

[illegible] لغير [illegible].

[illegible] أن تتعلق القلوب به سبحانه وتعالى في رجاء الشفاعة؛ [illegible] يؤذن [illegible].

[illegible] (فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كل [illegible]) [illegible] القرآن [illegible] ﴿**لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ** [illegible]﴾[illegible]

[illegible].

[illegible].

[illegible].

[illegible]

[الأسئلة]

[**س**/ رجل عنده ولد مريض مرضا لم يجد له علاج فقال: أذهب إلى مكة وأضع ولدي عند البيت أدعو له بالشفاء، ثم وقت الظهر سوف أعزم مائة شخص من فقراء الحرم على الغداء وأقول: ادعوا الله أن يشفي ولدي. فما رأيكم في هذا العمل؟

ج/ هذا العمل فيه: تصدق ودعوة الفقراء إلى الطعام، وفيه طلب الدعاء منهم لولده.

والتصدق بالطعام هذا من جنس المشروع كما ذكرت لكم، فإن كان فيه من الذبائح فعلى التفصيل الذي مر من قبل سواء أكانت دجاجا أو كان ضأنا أو غير ذلك مما يُذبح يعني مما فيه إراقة دم، وإن كان أطعمهم طعاما لإشباعهم والتصدق عليهم، هذا هو القصد.

وطلب منهم الدعاء، وهي المسألة الثانية فهذا راجع إلى: هل يشرع طلب الدعاء من الغير بهذه الصفة؟

والظاهر أن هذا من جنس ما هو غير مشروع، وإذا قلنا: غير مشروع يعني مما ليس بمستحب ولا واجب، وهل يجوز ذلك أم لا؟

طلب الدعاء من الآخرين قال العلماء فيه: الأصل فيه الكراهة.

والذي يتأمل[1] ما روي عن الصحابة وعن التابعين فيمن طلب منهم الدعاء أنهم قهروه ونهوه، وقالوا: أنحن أنبياء؟ كما قال حذيفة، وكما قال معاذ، وكما قال غيرهما، ومالك بن أنس ورحمه إمام دار الهجر كان ربما طُلِب منه الدعاء فنهى من طلب منه الدعاء، لم؟ لأنه إذا عرف عند الناس أن فلانا يطلب منه الدعاء بخصوصه، فإن القلوب تتعلق بذلك، وإنما يتعلق في طلب الدعاء بالأنبياء أما من دونهم فلا يتعلق بهم في هذا الأمر.

لهذا اختار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن طلب الدعاء من المسلم الحي يكون مشروعا إذا قصد به نفع الداعي ونفع المدعو له، إذا قصد الطالب أن ينفع الجهتين، ينفع الداعي وينفع المدعو له فهذا محسن وطالب لنفسه، فهذا من المشروع، وهذا هو الذي يُحمل عليه ما جاء في السنة فيما رواه أبو داود والترمذي وغيرهما أن النبي قال لعمر لما أراد أن يعتمر قال له:«**لا تنسنا يا أخي من دعائك**» وهذا الحديث إسناده ضعيف، وقد احتج به بعض أهل العلم، وظاهر أن معناه أن النبي أراد أن ينفع عمر بهذه الدعوة، فالطالب للدعاء محتاج إلى غيره.

المقصود من هذا أن فعل هذا السائل لأجل ولده الأَوْلى تركه لأجل ألا يتعلق قلبه بأولئك في دعائهم.

ومن العلاج المناسب أن يلتزم بين الركن والمقام يعني بين الحجر الأسود وبين آخر حد باب الكعبة وهو الملتَزم، يلتزم ويلصق بطنه وصدره وخده ببيت الله جل وعلا، ويقف بالباب مخبتا منيبا سائلا الله جل وعلا، منقطعا عن الخلق، عالما أنه لا يشفي من الداء في الحقيقة إلا الله جل جلاله، وأنه جل وعلا هو الذي يشفي وهو الذي يعافي كما قال **مَا يَفْتَحْ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ**[فاطر:2]، فهذا أعظم أثرا إن شاء الله من فعله الذي يريد أن يفعله من دعوة أولئك، فالتضرع لله في أوقات الإجابة وفي الأماكن الفاضلة وفي الأزمنة الفاضلة نرجو أن يكون معه إجابة الدعاء وشفاء المرض.**][2]**

[س/ ما الفرق بين التوسل والشفاعة؟ نرجو التوضيح وجزاكم الله خيرا.

ج/ بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن إهتدى بهداه.

أما بعد:

التوسل هو إتخاذ الوسيلة، والوسيلة هي الحاجة نفسُها أو من يوصل إلى الحاجة، قد يكون ذلك التوسل باستشفاع؛ يعني بطلب الشفاعة؛ يعني يصل إلى حاجته -بحسب ظنه- بالإستشفاع، وقد يصل إلى حاجته -بحسب ظنه-

---

[1] انتهى الوجه الأول من الشريط الرابع.

[2] مأخوذ من الوجه الأول من الشريط الرابع من باب ما جاء في الرقى والتمائم.

بغير الإستشفاع، فيتوسل مثلا بالذوات يسأل الله بالذات، يسأل اللـه بالجـاه، يسأل الله بحرمة فلان، مثلا ما يقول: أسألك اللهـم بنبيـك محمـد، بعـد وفـاته عليه الصلاة والسلام، أو يقول: أسألك اللهم بأبي بكر أو بعمر أو بالإمام أحمد أو بابن تيمية -أو إلى آخره- بالولي الفلاني، بأهل بـدر، بأهـل بيعـة الرضـوان، يسأله بهم.

هذا هو الذي يسمونه توسلا، وهذا التوسل معنـاه أنـه جعـل أولئـك وسـيلة، وأحيانا يقول لفظ (الحرمة) أسألك بحرمتهم أسألك بجاههم ونحو ذلك.

أما **الإستشفاع** فهو أن يسألهم الشفاعة، يطلب منهم أن يشفعوا له.

وتحصَّل مـن ذلـك أن التوسـل يختلـف عـن الإستشـفاع؛ فـإن المستشـفِع طالب للشفاعة، والشفاعة إذا طلبها من العبد فيكون قد سأل غير الله، وأمـا المتوسل بحسب العُرف -عُرف الإستعمال- المتوسل يسأل الله لكـن يجعـل ذلك بوسيلة أحد.

فالإستشفاع سؤال لغير الله، وأما الوسيلة فهي سؤال اللـه بفلان بحرمتـه بجاهه.

والتوسل بالذوات وبالجاه وبالحرمة لا يجوز لأنـه إعتـداء فـي الـدعاء ولأنـه بدعة محدثة، وهو وسيلة إلى الإشراك.

وأما الإستشفاع بالمخلوق الذي لا يملك الدعاء وهو الميت أو الغائب أو نحو ذلك فهذا طلب ودعاء لغير الله وهو شرك أكبر.

فالتوسل بحسب العرف هذا من البدع المحدثة ومن وسائل الشرك.

وأما طلب الشفاعة من غير الله فهو دعاء غير الله وهو شرك أكبر.

الجـاهليون والخرافيـون والقبوريـون يسـمون عبـاداتهم جميعـا مـن طلـب الشفاعة ومن الذبح والنذر ومـن الإسـتغاثة ودعـاء المـوتى يسـمونها توسـلا، وهذا غلط على اللغة وعلى الشرع.

والكلام في أصله ما يصح المعنى به لغة، وبين التوسل والشفاعة في أصل ما يصح لغة، أما إذا أخطأ الناس وسمو العبادات المختلفـة توسـلا فهـذا غلـط من عندهم.**][1]**

[س/ وهذا يقول بعض العلماء أجاز التوسل ودليلهم حديث إلى الأعمى، فكيف يرد عليهم وجهازكم الله خيرا ؟

ج/ حديث الأعمى رواه الترمذي وغيره وهو حديث حسن، وهناك رواية أخرى طويلة في معجم الطبراني الصغير لهذا الحديث، وفيها زيادة: أن أحد الصحابة وهو عثمان بين حنيف أنه أرشد إلى استعمال ذلك الدعاء بعد وفاته عليه الصلاة والسلام.

القدر الأول وهو أن الأعمى توسل بالنبي عليه الصلاة والسلام في حياته، هذا صحيح وجار على الأصول، توسل بالنبي عليه الصلاة والسلام في حياته توسل بدعائه، وهو عليه الصلاة والسلام يملك ذلك ويستطيعه ويقدر عليه.

---

[1] مأخوذ من الوجه الثاني للشريط السابع من نفس الباب (باب الشفاعة)

أما توسل بالنبي عليه الصلاة والسلام أي بدعائه أو بذاته بعد وفاته فإنه لا يجوز أنه من طلب الشيء مما لا يملكه.

والرواية التي بالطبراني الصغير ضعيفة وفيها مجاهيل، ولذلك ليست بحجة في ما وردت في استعمال الصحابة ذلك بعد وفاته.

والذي يدل على أيضا عن ذلك خاص بالأعمى وعلى أصل الاستشفاع أنه رحمة من الله جل وعلا للمستشفع وفضل منه عليه وإزالة عما به أن ذلك الأعمى رأى النور و أبصر بعد دعاء النبي عليه الصلاة والسلام له، وتوجه ذلك الأعمى إلى الله جل وعلا أن يجيب فيه دعاء نبيه عليه الصلاة والسلام.

الصحابة الآخرون الذين كانوا مكفوفين لم يدعوا بهذا الدعاء، فكان في المدينة أناس عده كفت أبصارهم، منهم ابن أم مكتوم وجماعة فما دعوا بهذا الدعاء، وإنما كان ذلك خاصة بذلك الأعمى.

فالعلماء لهم بذلك توجيهان:

<u>التوجيه الأول</u>: أن ذلك الدعاء كان خاصا بذلك الأعمى بدليل عدم استعمال بقية الصحابة ذلك الدعاء، وعدم إرشاد النبي عليه الصلاة والسلام لهم أن يزال ما بهم من عمى البصر بذلك الدعاء.

<u>والتوجيه الثاني</u>: أن ذلك خاص بحياته عليه الصلاة والسلام، ولا يكون بعد وفاته عليه الصلاة والسلام.

وهذا الثاني والأول جميعا ظاهرة صحيحة والصحابة فهموا ذلك.

ولهذا ثبت في البخاري وغيره أنّ عمر لما أجدبوا قال وهو يخطب الاستسقاء قال: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا بنبيك، وإنّا نتوسل إليك اليوم بعم نبيك، يا عباس قم فادع الله لنا.

قال العلماء انتقل عمر من الفاضل وهو النبي عليه الصلاة والسلام إلى المفضول وهو العباس عم النبي عليه الصلاة والسلام لعلة شرعية، وهو أن الدعاء من الحي ممكن وأما من غير الحي -حياة الدنيا المعروفة- فإنه غير ممكن، وإلا يكون عمر انتقل من الفاضل إلى المفضول بغير علة شرعية، وهذا ممتنع فقها للصحابة رضوان الله عليهم.] [1]

•

باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[القصص:56]

وفي الصحيح عن ابن المسيب، عن أبيه، قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله وعنده [illegible] أبي أمية [illegible] جهل [illegible]:«[illegible]

[illegible]

[1] مأخوذ من الوجه الثاني للشريط السابع.

فأنزل الله عز وجل ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى﴾ [التوبة: 113] في أبي طالب ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص56].

[الشرح]

(باب قول الله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص:56]).

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد أنّ الهداية من أعز المطالب وأعظم ما تعلق به الذين تعلقوا بغير الله أن يكون لهم النفع في الإستشفاع وفي التوجه في الدنيا والأخرى، والنبي عليه الصلاة والسلام -وهو سيد ولد آدم وهو أفضل الخلق عند ربه جل وعلا- نفي عنه أن يملك الهداية وهي نوع من أنواع المنافع، فدلّ على أنه عليه الصلاة والسلام ليس له من الأمر شيء كما جاء في ما سبق في باب قول الله تعالى ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾[الأعراف:191] في سبب نزول قول الله تعالى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[آل عمران: 128].

فإذا كان النبي عليه الصلاة والسلام ليس له من الأمر شيء ولا يستطيع أن ينفع قرابته, «**يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا**» إذا كان هذا في المصطفى ﷺ وأنه لا يغني من الله جل وعلا من أحبابه شيئا وعن أقاربه شيئا، وأنه لا يملك شيئا من الأمر وأنه ليس بيده هداية التوفيق، فإنه أن ينتفي ذلك وما دونه عن غير النبي ﷺ من باب أوْلى، فبطل إذن كل تعلق للمشركين من هذه الأمة بغير الله جل وعلا؛ لأن كل من تعلقوا به هو دون النبي عليه الصلاة والسلام بالإجماع.

فإذا كانت هذه حال النبي عليه الصلاة والسلام وما نُفي عنه فإن نفي ذلك عن غيره ﷺ من باب أولى.

قال هنا (باب قول الله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[القصص:56])، (**لَا**) هنا نافية، وقوله (**تَهْدِي**) الهداية المنفية هنا هي هداية التوفيق والإلهام الخاص والإعانة الخاصة، هي التي يُسميها العلماء هداية التوفيق والإلهام، ومعناها أنّ الله جل وعلا يجعل هداية التوفيق، معناها أن الله جل وعلا يجعل في قلب العبد من الإعانة الخاصة على قَبول الهدى ما لا يجعله لغيره، فالتوفيق إعانة خاصة لمن أراد الله توفيقه، بحيث يقبل الهدى ويسعى فيه، فجعل هذا في القلوب ليس إلى النبي ﷺ؛ إذ القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء، حتى من أحب لايستطيع عليه الصلاة والسلام أن يجعله مسلما مهتديا، فمِن أنفع قرابته له أبو طالب ومع ذلك لم يستطع أن يهديه هداية توفيق، فالمنفي هنا هو هداية التوفيق.

والنوع الثاني من الهداية المتعلقة بالمكلف هداية الدلالة والإرشاد، وهذه ثابتة للنبي ﷺ بخصوصه، ولكل داع إلى الله ولكل نبي ورسول، قال جل وعلا ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[الرعد:7]، وقال جل وعلا في نبيه عليه

الصلاة والسلام ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(52)صِرَاطِ اللَّهِ﴾ [الشورى:52-53]، (**لَتَهْدِي**) يعني تدل وترشد إلى صراط مستقيم بأبلغ أنواع الدلالة وأبلغ أنواع الإرشاد، الدلالة والإرشاد المؤيَّدان بالمعجزات والبراهين والآيات الدالة على صدق ذلك الهادي وصدق ذلك المرشد.

فإذن الهداية المنتفية هي هداية التوفيق، وهذا يعني أن النفع وطلب النفع في هذه المطالب المهمة يجب أن يكون من الله جل وعلا، وأن محمدا عليه الصلاة والسلام مع عِظم شأنه عند ربه وعِظم مقامه عند ربه وأنه سيد ولد آدم وأنه أفضل الخلق عليه الصلاة والسلام وأشرف الأنبياء والمرسلين إلا أنه لا يملك من الأمر شيئا عليه الصلاة والسلام.

فبَطَل -إذن- تعلق القلوب في المطالب المهمة في الهداية وفي المغفرة وفي الرضوان وفي البعد -بعد الشرور- وفي جلب الخيرات إلا بالله جل وعلا فإنه هو الذي تتعلق القلوب به جل وعلا خضوعا وإنابة ورغبا ورهبا وإقبالا عليه وإعراضا عما سواه سبحانه وتعالى.

قال بعد ذلك (وفي الصحيح عن ابن المسيب، عن أبيه، قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ) إلى أن قال(فقال له «**يا عم! قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاجّ لك بها عند الله**» فقالا له : أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعادا، فكان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله.) في هذا القدر من الفائدة أن هذه الكلمة كلمة (لا إله إلا الله) ليست مجردة عن المعنى، تنفع من قالها ولو لم يُقِرَّ بمعناها، والعرب كانوا لصلابتهم وعزتهم ورجولتهم ومعرفتهم بما يقولون كانوا إذا تكلموا بكلام يعون ما يتكلمون به، يعون كل حرف وكل كلمة خوطبوا به أو نطقوا به هم، فلما قيل لهم قولوا لا إله إلا الله مع أنها كلمة يسيرة لكن أبوا؛ لأنهم يعلمون أن هذه الكلمة معناها إبطال إلهة من سوى الله جل وعلا، ولهذا قال جل وعلا ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللـهُ يَسْتَكْبِرُونَ(35) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ(36) بَلْ جَاءَ بِالَحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ**﴾[الصافات:35-37]الآيات، وكذلك قوله في أول سورة ص فجاء قول الله جل وعلا مخبرا عن قولهم ﴿**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا**﴾[ص:5] استنكروا لا إله إلا الله، وهذا هو الذي حصل مع أبي طالب حيث قال له النبي ﷺ **(قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاجّ لك بها عند الله)** فلو كانت مجردة من المعنى عندهم أو يمكن أن يقولها دون اعتقاد وما فيها ورضى بما فيها ويقين وانتفاء الريب لقالها؛ ولكن ليس هذا هو المقصود من قول الله بل المقصود وهو قولها مع تمام اليقين بها وانتفاء الريب والعلم والمحبة إلى آخر الشروط.

(فقالا له : أترغب عن ملة عبد المطلب) وهذا فيه والعياذ بالله ضرر جليس السوء على المجالس له، (فكان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله . فقال النبي ﷺ: «**لأستغفرن لك ما لم أنه عنك**») وهذا هو موطن الشاهد من هذا الحديث، ومناسبة هذا الحديث لهذا الباب أن

النبي ﷺ قال (**لأستغفرن لك**) واللام هنا هي التي تقع في جواب القسم، فثَم قسم مقدر تقديره: والله لأستغفرن لك. وحصل من النبي ﷺ أن استغفر لعمه؛ ولكن هل نفع عمَّه استغفار النبي صَلَّى الله عليه وسلم له؟ لم ينفعه ذلك، وطلب الشفاعة والإستشفاع هو من جنس طلب المغفرة، فالإستغفار طلب المغفرة، والشفاعة قد يكون منها طلب المغفرة فرُدت، رُدّ ذلك لأن المطلوب له المستشفع له هو مشرك؛ لأن المستشفع له المشفوع له مشرك بالله، والإستغفار والشفاعة لا تنفع أهل الشرك، والنبي ﷺ لا يملك أن ينفع مشركا بمغفرة ذنوبه أو أن ينفع أحدا ممن توجه إليه بشرك في إزالة ما به من كربات أو جلب الخيرات له، لهذا قال (**لأستغفرن لك ما لم أنه عنك**) فأنزل الله عز وجل﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**﴾[التوبة:113].

وهذا ظاهر في المقام أن الله جل وعلا نهى النبي ﷺ أن يستغفر للمشركين.

وكلمة (**مَا كَانَ**) في الكتاب والسنة تأتي على استعمالين:

الاستعمال الأول: النهي. والاستعمال الثاني: النفي.

النهي: مثل هذه الآية وهي قوله (**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ**) هذا نهي عن الاستغفار لهم، وكذلك قوله ﴿**مَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً**﴾[التوبة:122].

والنفي: كقوله﴿**وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ**﴾[القصص: 59] ونحو ذلك من الآيات.[1]

فإذن (**مَا كَانَ**) من القرآن تأتي على هذين المعنيين، وهنا المراد بها النهي؛ نهي أن يستغفر أحد لمشرك.

وإذا كان كذلك فالميت الذي هو من الأولياء، من الأنبياء، من الرسل فإذا نُهي في الحياة الدنيا أن يستغفر لمشرك، فهو أيضا لو فرض أنه يقدر على الاستغفار في حال البرزخ فإنه لن يستغفر لمشرك توجه إليه بالاستشفاع أو توجه إليه بالاستغاثة أو بالذبح أو بالنذر أو تألهه أو توكل عليه أو أنزل به حاجاته من دون الله جل وعلا.

قال (وأنزل الله في أبي طالب: ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾[القصص:56])

•

[الأسئلة]

[س/ ما حكم عمل احتفال بسيط بمناسبة انتهاء عقد أحد العاملين بالشركة، سواء كان مسلما أو غير مسلم، وحجة بعضهم في عمل الاحتفال لغير المسلم أنه من باب دعوته إلى الإسلام، مع العلم أنه خلال وجوده في العمل لم يقدَّم له كتاب أو شريط لدعوته الإسلام ممن يحتجون لهذا القول، وجزاكم الله خيرا ؟

---

[1] انتهى الشريط السابع.

ج/ تلك الاحتفالات المقصود منها إكرام من أقيمت له، فإذا كان مسلما فإكرام المسلم من حقوقه المستحبَّة، وإذا كان غير مسلم فله حالتان:

الحالة الأولى: أن يكون ممن لم يُظهر للإسلام عداوة؛ بل وأظهر في الإسلام رغبة وهو مسالم لأهل الإسلام ومحب لأهل الخير، محب لأهل الدين والصلاح، كما يظهر من بعضهم، فهذا الغالب على قلبه أنه يَصلح أن يدعى للإسلام؛ لأنه قريب سَلِمَ من البغضاء والعداوة التي تحجزه عن قبول الحق لو عرض عليه.

فهذا النوع إذا كان قصد من عمل الاحتفال أن يكون بداية لدعوته وأن يكون في الاحتفال شيء من الدعوة إلى الإسلام ببيان محاسنه وبيان بطلان الأديان الأخرى ونحو ذلك، فهذا بحسَب قصد فاعله، وأصل الإكرام لغير المسلم لا يجوز.

وأما إن كان معاديا أو لم يُظهر قبولا للإسلام، أو عُرف من سيرته حين بقي أنه -يعني حين بقي تلك المدة في المؤسسة أو الشركة- أنه لا يحب الخير؛ بل ربما أظهر صدودا عن أهل الخير، وأظهر عدم قبولٍ لبعض أوامر الشرع التي يُحكم بها، فهذا لا يجوز إكرامه؛ لأن إكرامه من موالاته؛ وموالاته -موالاة الكافر محرمة-؛ لأنه يُكرم مع بقائه على عداوته وعلى بغضه.

والأصل في هذا قول الله جل وعلا ﴿**لاَ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُم أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ(8) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[الممتحنة:8-9] فهذه الآيات فيها بيان حال الصنفين؛ لهذا النبي ﷺ كان ربما أجاب دعوة يهودي أو يهودية، وربما أتى بعض أهل الكتاب، وربما أهدى إليهم، بل وحثَّ على الهدية للجار، وهذا لأجل الترغيب في الخير، والترغيب في الإسلام.

المقصود أن الإكرام بتلك الحفلات لا يجوز، إلا إذا كان ثَمَّ مصلحة شرعية راجحة يقدِّرها أهل العلم إذا وصف الحال لهم، وأما ما عدا ذلك فلا يجوز إقامة الحفلات لهم؛ لأنها نوع موالاة للكفار، نعم.**]**[1]

❁❁•❁❁

باب ما جاء أن سبب كُفْرِ بني آدم وتركِهم دينهم هو الغلو في الصالحين

وقول الله عز وجل: ﴿**يَا أَهْلَ الكِتَابِ لا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاَّ الحَقَّ**﴾[النساء: 171].

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا(23) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا**﴾[نوح:23-24] قال: **هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا، أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم**

---

[1] من الوجه الثاني من الشريط السادس.

التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك، ونسي العلم، عبدت. وقال ابن القيم قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم.

وعن عمر أن رسول الله ﷺ قال «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما [illegible] عبد فقولوا: عبد الله ورسوله** ». أخرجاه.

وقال [illegible] رسول [illegible] ﷺ: «[illegible] **والغلو،** [illegible]»

ولمسلم عن ابن مسعود [illegible] ﷺ [illegible]: «[illegible]». [illegible] ثلاثا.

[الشرح]

هذا (**باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين**)، هذا الباب جاء بعد الأبواب قبله من أول الكتاب إلى هنا، والشيخ رحمه الله بيّن أصولا فيما سبق؛ بيّن شيئا من البراهين على التوحيد، وبين ما يتعلق به المشركون وأبطل أصول اعتقاداتهم بالشريك أو الظهير أو الشفيع ونحو ذلك، فإذا كان هذا الاعتقاد مع ما أورد من النصوص بهذه المثابة من الوضوح والبيان وأن النصوص دالة على ذلك دلالة واضحة، فكيف -إذن- دخل الشرك كيف صار الناس إلى الشرك بالله جل وعلا، والأدلة على انتفائه وعلى عدم جوازه وعلى بطلانه واضحة ظاهرة، وأن الرسل جميعا بعثت ليعبدوا الله وحده دون ما سواه ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللهُ ومَنِهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ**﴾[النحل:36]؟ فما سبب الغواية، ما سبب الشرك؟ هذا الذي بُيِّن من أوضح الواضحات, الأبواب السالفة دالة بظهور ووضوح على إحقاق عبادة الله وحده وعلى إبطال عبادة كل من سوى الله جل جلاله وتقدست أسمائه.

فإذن ما سبب وقوع الشرك؟ كيف وقع الشرك في الأمم؟

جاء الشيخ رحمه الله بهذا الباب وما بعده ليبين أن سبب الشرك وسبب الكفر هو الغلو الذي نهى الله جل وعلا عنه ونهى عنه رسوله ﷺ سواءٌ في هذه الأمة أم في أمم من قبل، فسبب وقوع الشرك هو الغلو في الصالحين، هذا أحد أسباب وقوع الكفر والشرك؛ بل هو سببها الأعظم.

قال هنا (**باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين**) هذا ذكر للأسباب بعد ذكر الأصول والعقائد.

قال هنا (**هو الغلو في الصالحين**) الغلو مأخوذ من غلا في الشيء، يغلو غُلُوًّا إذا جاوز به حدّه، وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ لما رمى الجمرات بحصيات قال «**بمثل هذه فارموا وإياكم والغلو**» يعني مجاوزة الحد حتى في حجم تلك الحصاة وفي مقدار الحصى، قال (**بمثل هذه فارموا**) فإذا جاوز في المثلية بأن رمى بكبيرة فإنه قد غلا؛ يعني جاوز الحدَّ الذي حُدّ له في ذلك. فإذن الغلو هو مجاوزة الحد.

قال هنا (**الغلو في الصالحين**) معناه أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم الذي أمرهم الله به هو مجاوزة الحد الذي أُذن به في الصالحين.

والصالحون يشمل الأنبياء والرسل ويشمل أيضا الأولياء ويشمل كل من اتصف بالصلاح في الأمم، وأصل كلمة (الصالحون) أصلها جمع الصالح، والصالح هو اسم من قام به الصلاح، والصلاح في الكتاب والسنة:

- تارة يكون بمعنى نفي الفساد؛ ما يقابل الفساد.
- وتارة بمعنى ما يقابل السيئات.

فيقال صالح بمعنى ليس بذي فساد، ويقال أيضا صالح بمعنى ليس بسيئ، فهذا جاء وهذا جاء.

والصالحون هنا المراد بهم أهل الصلاح؛ يعني أهل الطاعة والإخلاص لله جل وعلا الذين اجتنبوا الفساد واجتنبوا السيئات، وهم الذين اشتركوا في فعل الطاعات وتر ك المحرمات أو كانوا من السابقين بالخيرات، فاسم الصالح يقع شرعا على المقتصد وعلى السابق بالخيرات؛ فالمقتصد صالح والسابق بالخيرات صالح وكلٌّ درجات عند الله جل وعلا.

قال (**هو الغلو في الصالحين**) يعني مجاوزة الحد في الصالحين, ما هو الحد الذي أُذِن به الشرع في الصالحين حتى نعلم ما الذي يكون مجاوزة له؟ الصالحون أُذِن في حقهم بأن يحبّوا في الله وأن يوقروا في الله وأنْ يُقتدى بهم في صلاحهم وفي علمهم، وإذا كانوا من الرسل والأنبياء فإنه يؤخذ بشرائعهم وبما أمروا به ويتبع ذلك ويقتدى بآثارهم.

هذا هو الحد الذي أذن به؛ احترام ومحبة ومولاة لهم ودفع عنهم ونصرة لهم ونحو دلك من المعاني.

أما الغلو فيهم بأن يجاوز ذلك الحد فهو بحر لا ساحل له، فمما حصل من الغلو فيه أنهم جُعلت فيهم خصائص الإلهية، جُعل بعض البشر أنه يعلم سر اللوح والقلم، وأنه من جوده الدنيا وضرتها كما قال البوصيري في قصيدته المشهورة:

فإن من جودك الدنيا وضُرَّتها ومن علومك اللوح و

وهذا ليس إلاّ لله جل وعلا، وهدا من الغلو المنهي عنه.

كذلك قوله في النبي عليه الصلاة والسلام غاليا فيه أعظم الغلو قال:

لو ناسبت قدره آياتُه عظما أحيى اسمه يدعى دارس

يقول إن النبي عليه الصلاة والسلام لم يعط آية تناسب قدره، قال الشرّاح حتى القرآن لا يناسب قدر النبي ﷺ، والعياذ بالله، يقولون القرآن المتلو بخلاف غير المتلو عند الأشاعرة؛ لأنهم يفرقون بين هذا وهذا.

فهذا البوصيري يقول (**لو ناسبت قدره**) يعني النبي عليه الصلاة والسلام (**لو ناسبت قدره آياته عظما**) يعني في العظمة (**أحيى اسمه حين يدعى دارس الرمم**) لكان لا يناسب قدره إلا إذا ذكر اسمه على ميْت قد درس وذهب رميمه في الأرض وذهبت عظامه لتجمعت هذه العظام وحيي لأجل ذكر اسم النبي ﷺ عليه، وهذا من أنواع الغلو الذي يحصل من الذين

يعبدون غير الله جل وعلا ويتوجهون إلى الأنبياء والرسل فيجعلون في حقهم من خصائص الألوهية ما لا إذن لهم به؛ بل هو من الشرك الأكبر بالله جل وعلا ومن سوء الظن بالله ومن تشبيه المخلوق بالخالق، وهذا كفر والعياذ بالله.

يقابل ذلك -هناك حد مأذون به، و هناك غلو- والحالة الثالثة الجفاء، الجفاء في حق الصالحين وهذا بعدم موالاتهم وعدم احترامهم وعدم إعطائهم حقَّهم وترك محبة الصالحين.

فكل تقصير في الأمر يعدّ جفاء وكل زيادة فيه يعد غلوا.

قال (وقول الله عز وجل: ﴿**يَا أَهْلَ الكِتَابِ لا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ**﴾[النساء: 171]) قوله (**يَا أَهْلَ الكِتَابِ لا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ**) مناسبته للباب ظاهرة؛ أي أنه نهى أهل الكتاب عن الغلو فقال (**يَا أَهْلَ الكِتَابِ لا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ**) ووجه الاستدلال أنه قال (**لا تَغْلُواْ**)، و(**تَغْلُواْ**) هنا فعل جاء في سياق النهي وهذا يعم جميع أنواع الغلو في الدين، (**لا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ**) يعني لا تغلوا بأي نوع من أنواع الغلو في الدين، فنهوا عن أي نوع من أنواع الغلو، هذا موطن الشاهد ووجه الاستدلال من الآية على الحديث.

وإذا كان كذلك دخل في هذا العموم الغلو في الصالحين، والمتأمل لحال أهل الكتاب ولما قصّ الله جل وعلا من أخبارهم يجد أنهم قد غلوا في صالحيهم, قد غلا النصارى في عيسى وفي أمه وفي حواريه، وقد على اليهود أيضا في عزير وفي أصحاب موسى وفي أحبارهم وفي رهبانهم وهكذا.

فحصل الغلو من أهل الكتاب، تارة بأن جعلوا الرسل والأنبياء لهم خصائص الألوهية من جهة التوجه لهم، وقد قال الله جل وعلا ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ(72)لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ**﴾[المائدة: 72-73]، وفي آخر سورة المائدة أيضا قال الله جل وعلا ﴿**وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ**﴾[المائدة:116]؛ يعني تنزيها وتعظيما لك أن أقول لهم ذلك وذلك من الشرك فكيف أقول لهم ذلك قال ﴿**قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ(116)مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ**﴾[المائدة:116-117]، وهذا كله في التوحيد، فحصل أن غلا أتباع الرسل وأتباع الأنبياء في الأنبياء والرسل وغلوا أيضا في الصالحين من أتباعهم وجعلوا لهم بعض خصائص الإلهية؛ جعلوا لهم الشفاعة جعلوا لهم نصيبا من الملك أو أنهم يدبرون الأمر أو أنهم يصرفون شيئا من الملكوت، فيعتقد الآن بعض الصوفية أن للكون أقطابا أربعة وأن ربما في ربع العالم المسئول عن فلان وفي الربع الثاني المسؤول عن فلان وإلى آخره، فجعلوا لهم نصيبا من الملك، جعلوا لهم نصيبا من الربوبية، وجعلوا لهم أيضا نصيبا من الإلهية فتقربوا إليهم بأنواع القربات من الذبح والاستغاثة والتذلل

والخضوع والمحبة والتوكل والرغب والرهب وخوف السر، إلى آخر أنواع العبادات القلبية والعملية.

قال رحمه الله (وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا(23) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا**﴾[نوح:23-24]، قال: **هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا، أوحى الشيطان إلى قومهم**) إلى آخر ما قال رحمه الله تعالى، هذه القصة أو هذا الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما محمول على الرّفع؛ لأن هذا خبر غيبي وهذا الخبر الغيبي فيه أنه لا يستقى إلا من مشكاة النبوة.

وود وسواع ويغوث ويعوق ونسر هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح, نوح عليه السلام أتى بالرسالة بأن يعبد الله وحده دون ما سواه بالتوحيد، فكيف دخل الشرك في قوم نوح؟

في القرآن ذكرٌ لأصلين من أصول الشرك -وثَم غيرهما أيضا-:

الأصل الأول: شرك قوم نوح. **والأصل الثاني**: شرك قوم إبراهيم.

وشرك قوم نوح كان بالصالحين؛ بالغلو في الصالحين وأرواح الصالحين، فجاءهم الشيطان من جهة روح ذلك العبد الصالح وأثر تلك الروح وأن من تعلق به فإنه يشفع له, ثم ساقهم من ذلك التعظيم إلى الصور والأنصاب والأوثان والأصنام.

والنوع الثاني شرك قوم إبراهيم، وذلك شرك في تأثير من جهة النظر في الكواكب ومن يؤثر ويحرك، فهذا شرك في الربوبية وما تبعهم من الشرك في الإلهية؛ لأنهم جعلوا لتلك الكواكب أصناما وجعلوا لها صورا، جعلوها أوثانا فعبدوها من دون الله جل وعلا وتوجهوا إليها.

وأما قوم نوح فكان شركهم في الصالحين، في الغول في الصالحين، كما قال ابن عباس هنا في بيان أصل وقوع هذا الشرك (**فلما هلكوا، أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك، ونسي العلم، عبدت**. قال ابن القيم قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم).

الشاهد من هذا أن أولئك توجهوا إلى الصور -صور الصالحين- فكانوا أهل علم يعلمون أنهم إذا اتخذوا الصور فإنهم لن يعبدوها؛ لكن كانت الصور تلك للصالحين والمعظمين وسيلة وطريق وسبب لأنْ عُبدت في المستقبل لما نسي العلم، والشيطان ربما أتى إلى الصورة فجعل في عيني الناظر إليها والمخاطب لها أنها تتحدث وأن فم المصوَّر يتكلم وأنه يُسمعُ منه وأنه يُسمع منه كلاما ونحو ذلك من الأشياء وأصناف التصرفات التي تجعل القلوب تتعلق بتلك الرّوحانيات -كما يقول- وتلك الأرواح، فيُغرى أولئك بهم.

وهذا هو الذي حصل عند القوم الذين عكفوا على القبور وعبدوا أهلها مع الله جل وعلا، يأتي ويقول: ذهبتُ إلى القبر الفلاني فكلّمني أبي. وهو شيطان نطق على لسان أبيه، وربما تصور بصورة أبيه فخرج له في ظلام

ونحوه، فيحدثه أبوه بصوته الذي يعرفه، أو يحدثه العالم أو الولي بصوته الذي يعرفه منه، فتقع الفتنة وهذا من الشيطان.

ولهذا قال ابن عباس هنا كلمة بين السبب في ذلك فقال (**أوحى الشيطان إلى قومهم**) والوحي إلقاء في الخفاء، الشيطان ما يتحدث علنا, (**أوحى**) يعني ألقى في خفاء, الوحي هو إلقاء الخبر في خفاء، فألقى في روعهم, ألقى في أنفسهم, ذلك الأمر فكان سببا للشرك بالله جل وعلا.

أول الأمر ما عُبدت, جُعلت وسائل الشرك من الصور والأنصاب والتسمية بأسماء الصالحين، وكان ذلك وسيلة إلى الشرك، لم تُعبد جعلوا الوسائل؛ لكن عندهم من العلم ما يحجزهم أن يعبدوا أولئك الصالحين؛ لكن لما نسي العلم عُبدت.

وهذا الفعل الذي فعلوه بإيحاء الشيطان كان من الغلو في أولئك الصالحين، وهذا وجه الشاهد من أنهم لمّا ماتوا عكفوا على قبورهم أو صوروا تلك الصور أو نصبوا الأنصاب في أماكنهم ويكون أنشط لهم في العبادة أو العلم؛ ولكنهم لما فعلوا ذلك كان ذلك سببا من أسباب العبادة؛ لأنهم غلوا في الصالحين. وهذا مراد الشيخ رحمه الله من إيراد هذا الأثر.

قال(وعن عمر أن رسول الله ﷺ قال «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله**»)، قوله (**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم**) فيه نهي عن إطرائه عليه الصلاة والسلام.

والإطراء: هو مجاوزة الحد -أيضا- في المدح.

الغلو عام في أشياء كثيرة قد يكون في المدح، قد يكون في الذم، قد يكون في الفهم، قد يكون في العلم، قد يكون في العمل.

لكن الإطراء الغلو في المدح، الغلو في الثناء، الغلو في الوصف، والنبي عليه الصلاة والسلام نهى عن إطرائه كإطراء النصارى ابن مريم، وقال (**إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**).

قوله هنا (**كما أطرت النصارى ابن مريم**)

 الكاف هنا بعض الناس يظن أنها كاف المثلية؛ يعني لا تطروني بمثل ما أطرت النصارى ابن مريم ويقول: إن النصارى أطرت ابن مريم في شيء واحد وهو أنْ قالوا إنه ولد لله جل وعلا. والنبي عليه الصلاة والسلام فهي أن تجعل له رتبة البنوة، فإذا كان كذلك ما عداه فجائز وهذا هو قول الخرافيين، كما البوصيري في هذا المقام:

دَعْ ما ادعته النصارى في نبيهم **واحكم كما ش... فيه واح...**

يعني لا تقل إنه ولد لله أو أنه ابن الله، وبعد ذلك قل ما شئت غير ملوم وغير مثرّب عليك.

[illegible]

وفي هذا القدر كفاية وأسأل [illegible] ولكم عموم الانتفاع [illegible] والعمل، وصلى [illegible] وبارك [illegible] محمد

•

باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟!

في الصحيح عن عائشة، أن أُمّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لرسول الله ﷺ كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، وما فيها [illegible] الصور، فقال: « **أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ أو العبد الصالح، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِداً** [illegible] **تِلْكَ** [illegible] **شِرَارُ الْخَلْقِ** [illegible] » فهؤلاء جمعوا بين [illegible]: [illegible] التماثيل.

ولهما عنها، قالت: لما نزل برسول [illegible] ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ. فَإِذَا اغْتَمَّ بها كَشَفَهَا فقال [illegible] كذلك: **لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»** [illegible] صَنَعُوا [illegible] أُبْرِزَ [illegible] [illegible] مَسْجِداً. أخرجاه.

[illegible] جندب [illegible] ﷺ [illegible] بِخَمْسٍ وَهُوَ [illegible]: « [illegible] **خَلِيلٌ** [illegible] **فَإِنّ** [illegible] **بَكْرٍ** [illegible] ».

[illegible] نهى [illegible] في آخر حياته، ثم إنه [illegible] - [illegible]. والصلاة [illegible]
[illegible].

[illegible] مسجداً، [illegible] موضع [illegible] ﷺ: « [illegible] **الأرضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً**».

[illegible] (ﷺ) [illegible]: « **إن [illegible] شرار الناس [illegible] تدركهم الساعة [illegible] أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد** ». [illegible].

[الشرح]

هذا (**باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده**)، هذا الباب مع الأبواب بعده في بيان أن النبي ﷺ كان حريصا على هذه الأمة وكان بالمؤمنين عليه الصلاة والسلام رءوفا رحيما، ومن تمام حرصه على الأمة أن حذرهم كل وسيلة من وسائل الشرك التي تصل بهم إلى الشرك، وسد جميع الذرائع الموصلة إلى الشرك، وغلظ في ذلك وشدّدَ فيه وأبدى وأعاد حتى إنه بيّن ذلك خشية أن يفوته تأكيده وهو في النزع وهو يعاني سكرات الموت عليه الصلاة والسلام.

فهذه الأبواب في بيان وسائل الشرك الأكبر، وأن الشرك الأكبر له وسائل وله ذرائع يجب سدها ويجب منعها رعاية وحماية للتوحيد؛ ولأن النبي عليه الصلاة والسلام غلّظ فيمن يفعلون شيئا من تلك الوسائل أو الذرائع الموصلة إلى الشرك.

هذا الباب في بيان أحد الوسائل الموصلة إلى الشرك والذرائع التي يجب منعُها.

قال رحمه الله (**باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح**)، صورة ذلك: أن يأتي إلى قبر رجل صالح يعلم صلاحه -إما أن يكون من الأنبياء والمرسلين، أو أن يكون من صالحي هذه الأمة، أو صالحي أمة غير هذه الأمة- فيتحرّى ذلك المكان لكي يعبد الله وحده دون ما سواه[1]، فيأتي إلى هذا القبر أو يأتي إلى هذه البقعة لكي يعبد الله فيها رجاء بركة هذه البقعة، وهذا يروج عند كثيرين في أنّ ما حول القبور -قبور الصالحين أو قبور الأنبياء- مبارك وأن العبادة عندها ليست كالعبادة عند غيرها، والنبي عليه الصلاة والسلام غلّظ في ذلك مع أن المغلَّظ عليه لم يعبد إلا الله جل وعلا ولم يعبد صاحب القبر؛ لكنه اتخذ ذلك المكان رجاء بركته ورجاء تنزل الرحمات -كما يقولون- ورجاء تنزل النسمات والفضل من الله عليه واختاره لأجل بركته؛ ولكنه لم يعبد إلا الله جل وعلا، ومع ذلك لعن النبي ذلك الصِّنف الذين يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد.

وقوله هنا (**فيمن عبد الله**) يعني لم يشرك بالله، عبد الله وحده، صلى لله مخلصا، أو دعا لله مخلصا، أو تضرّع واستغاث واستعاذ لله جل وعلا مخلصا عند قبر رجل صالح؛ لكنه تحرى القبر لأجل البركة.

والرجل الصالح -كما سبق أن ذكرنا- هو المقتصد الذي أتى بالواجبات وابتعد عن المحرمات، وأعلى منه درجة السابق بالخيرات، فالصالحون من الرجال والنساء مقامات هم درجات عند الله.

وبعض أهل العلم يعبرون بتعريف الرجل الصالح بقوله: الصالح من عباد الله هو القائم بحقوق الله القائم بحقوق عباده. وهذا صحيح؛ ولأن المقتصد قائم بحقوق الله قائم بحقوق عباده، أتى بالواجبات وانتهى عن المحرمات، وأعظم منه درجة السابق بالخيرات.

فأهل السبق بالخيرات من عباد الله الصالحين لا يجوز أن تعظم قبورهم وأن يُغلى فيها بظن أن البقعة التي حول القبر بقعة مباركة؛ لأن هذا جاء فيه الوعيد الذي يأتي في هذا الباب وغلظ فيه عليه الصلاة والسلام.

قال (**فكيف إذا عبده**؟) يعني هذا التغليظ جاء فيمن اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، ومن أسرج على القبور أو من عظم القبور وعظم من فيها وعبد الله جل وعلا عندها؛ عبد الله وحده، جاء فيه اللعن وجاء فيه أنه من شرار الخلق عند الله.

فكيف إذا توجّه ذلك العابد، إلى ذلك القبر يدعوه، أو يرجوه، أو يخافه، أو يأمل منه، أو يستغيث به، أو يصلي له، أو يذبح له، أو يستشفع به؟ لاشك أن هذا أعظم وأعظم في التغليظ من عبادة الله وحده عند قبر رجل صالح.

لهذا قال الشيخ رحمه الله من تأمل هذه الأحاديث التي سترد فإنه – هذا مقتضى كلام الشيخ في التبويب- يجد أن التغليظ يكون أشد وأشد لو كان في القلوب إيمان ومحبة للنبي يكون أشد وأشد إذا عُبد صاحب ذلك القبر، فإذا

---

[1] انتهى الوجه الأول من الشريط الثامن.

صُلي له هل هو بمنزلة من صلى عنده؟ ذاك وسيلة وهذا غاية هذا شرك أكبر، فأولئك شرار الخلق عند الله مع أنهم فعلوا وسائل الشرك ووسائل المحرمات، فكيف بمن فعل الشرك الأكبر بعينه وتوجه إلى قبور الصالحين واتخذها أوثانا مع الله جل وعلا؟ لاشك أن هذا أبلغ وأبلغ في التغليظ؛ وذلك لأنه من الشرك الأكبر المخرج من ملة الإسلام إذا فعله مسلم.

قال (**فكيف إذا عبده**؟)، (**عبده**) يعني عبد القبر أو عبد الرجل؛ لأن العبادة -عبادة القبوريين- تارة تتوجه إلى القبر، وتارة تتوجه إلى صاحب القبر؛ بل وتارة توجه إلى ما حول القبر، فالأبنية المحاطة بالقبور في قبور الأولياء عندهم التي بنيت على القبور وصارت مشاهد تارة تتخذ تلك الستور الحديدية أنها آلهة، فإذا تمسحوا بها رجوا منها البركة واتخذوها وسيلة إلى الله جل وعلا، يعكفون عندها فيتخذون تلك المشاهد أوثانا يعبدونها ويرجونها ويخافونها، وإذا ضم أحدهم إلى صدره تلك المشاهد أو الحديد أو الستور ونحو ذلك فكأنه صار مقرّبا عند الله وقبلت وسيلته تلك، وهذا نوع من أنواع اتخاذ المشاهد أوثانا.

كذلك اتخاذ القبور أوثانا، أو اتخاذ الرجل الصالح الذي هو متبرئ من أولئك ومن عبادتهم له يتخذونهم آلهة مع الله إذا توجهوا إليهم بالعبادة، وقد علمنا أن العبادة معناها واسع، وأنه قد تكون بالصلاة له، أو بدعوته، بسؤاله، بطلبه كشف المدلهمات أو جلب الخيرات، أو الذبح له، أو وضع النذور له ونحو ذلك من أنواع العبادة.

وهذا هو الواقع عند أولئك الذين يعبدون الأوثان وقبور الصالحين.

قال(في الصحيح عن عائشة، أن أُمّ سَلَمَةَ ذَكَرَتْ لرسول الله كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأرض الْحَبَشَةِ، وما فيها من الصور، فقال عليه الصلاة والسلام: «**أُولَئِكِ, إِذَا مات فِيهِمُ الرّجُلُ الصّالِحُ أو العبد الصالح، بَنَوْا عَلَىَ قَبْرِهِ مَسْجِداً، وَصَوّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصّوَرَ أُولَئِكِ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ الله**») أم سلمة رضي الله عنها لما كانت في الحبشة رأت كنيسة، ورأت في تلك الكنيسة صور الصالحين، فذكرت ذلك لرسول الله فقال (**أُولَئِكِ, إِذَا مات فِيهِمُ الرّجُلُ الصّالِحُ**)، قد يكون نبيا من أنبيائهم أو عبدا من عباد الله الصالحين فيهم، ماذا عملوا معه؟ قال (**بَنَوْا عَلَىَ قَبْرِهِ مَسْجِداً**) فيجعلون المسجد وهو مكان العبادة في اللغة بما يدخل فيه الكنيسة.

مكان العبادة يقال له مسجد، والمسجد مكان السجود، والسجود هو الخضوع والتذلل لله جل وعلا، فالمسجد يطلق على كل مكان يعبد فيه، كل مكان يتخذ لعبادة الله جل وعلا، كما قال النبي «**جُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً**» فمكان العبادة يقال له مسجد.

فالكنيسة هنا قال النبي عليه الصلاة والسلام في شأنها بنوا على قبره مسجدا يعني مكان للعبادة.

فإذن الكنائس بُنيت على القبور -قبور أولئك الصالحين- وصوروا فيها الصور، جعلوا صورة ذلك العبد جعلوا على قبره أو فوق قبره على الحائط؛ لكي يدلوا الناس على عبادة الله بتعظيم ذلك الرجل الصالح وتعظيم قبره، فاتخذوا البناء على القبور الذي هو وسيلة من وسائل الشرك الأكبر ومن

البدع التي يحدثها الخلوف بعد الأنبياء، اتخذوا ذلك فوق القبور وتعبّدوا فيها، قال عليه الصلاة والسلام (**أُولَئِكِ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ الله جل وعلا**)، (**أولئكِ**) الخطاب لأم سلمة، والخطاب إذا توجه إلى مؤنث تكسر فيه الكاف -كاف الخطاب- (**أُولَئِكِ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ الله**) من هم شرار الخلق عند الله؟ هم الذين عظّموا الصالحين فبنوا على قبورهم مساجد، هل في هذا الحديث أنهم توجهوا بالعبادة لأولئك الصالحين؟ لا؛ إنما عظموا قبور الصالحين وجعلوا لهم صورا، فجمعوا بين فتنتين فتنة القبور وفتنة الصور.

وفتنة الصور وسيلة من وسائل حدوث الشرك.

وكذلك فتنة القبور بالبناء عليها، وبتعظيمها، وبإرشاد الناس لها، هذا وسيلة إلى أن يعتقد في صاحب القبر أن له شيئا من خصائص الإلهية، أو أنه يتوسط عند الله جل وعلا في الحاجات، كما حصل ذلك فعلا.

قال المصنف الإمام رحمه الله (**فهؤلاء جمعوا بين فتنتين فتنة القبور وفتنة التماثيل**) وهذا هو الواقع، وهذا التغليظ في أنهم شرار الخلق عند الله.

هذا نفهم منه التحذير التحذير عند الأمة أن يبنوا على قبر أحد مسجدا لأنه إن بُني على قبر أحد مسجد فإنه من بنى ذلك ودل الخلق على تعظيم ذلك القبر فإنه من شرار الخلق عند الله، وقد قال عليه الصلاة والسلام «**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراع بذراع**».

فإذا وجه الدلالة من هذا الحديث أنه قال (**أُولَئِكِ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ الله**) وهذا تغليظ فيمن عبد الله في الكنيسة التي فيها القبور و الصور، والقبور والصور من وسائل الشرك بالله جل وعلا.

قال(ولهما عنها) يعني عن عائشة (قالت: لما نزل برسول الله ﷺ) يعني نزل به الموت (طَفِقَ يَطْرَحُ خُمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ. فَإِذَا اغْتَمّ بها كشَفَهَا فقال وهو كذلك: «**لَعْنَة اللَّهُ على الْيَهُودَ وَالنّصَارىَ. اتّخَذُواَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**») هذا الحديث من أعظم الأحاديث التي فيها التغليظ في وسائل الشرك وبناء المساجد على القبور واتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد.

ووجه ذلك أنه عليه الصلاة والسلام وهو في ذلك الغم وتلك الشدة ونزول سكرات الموت به عليه الصلاة والسلام يعانيها لم يفعل عليه الصلاة والسلام؛ بل اهتمَّ اهتماما عظيما وهو في تلك الحال بتحذير الأمة من وسيلة من وسائل الشرك، وتوجيه اللعن والدعاء على اليهود والنصارى بلعنة الله؛ لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، سبب ذلك أنه عليه الصلاة والسلام يخشى أن يُتخذ قبره مسجدا كما اتخذت قبور الأنبياء قبله مساجد.

ومن اتخذ قبور الأنبياء مساجد؟ شرار الخلق عند الله من اليهود والنصارى الذين لعنهم النبي عليه الصلاة والسلام، فقال (**لَعْنَة اللَّهُ على الْيَهُودَ وَالنّصَارىَ**)، واللعنة هي الطرد والإبعاد من رحمة الله، وذلك يدل على أنهم فعلوا كبيرة من كبائر الذنوب وهذا كذلك؛ فإن البناء على القبور واتخاذ قبور الأنبياء مساجد هذا من وسائل الشرك وهو كبيرة من الكبائر، قال:

(**اتّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**)، فإذن سبب اللعن أنهم اتخذوا قبور الأنبياء مساجد، والنبي عليه الصلاة والسلام يلعن ويحذر وهو في ذلك الموقف العصيب، فقام ذلك مقام آخر وصية أوصى بها عليه الصلاة والسلام ألا تُتخذ القبور مساجد فخالف كثير من الفئام في هذه الأمة خالفوا وصية عليه الصلاة والسلام.

قال (**اتّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**) اتخاذ القبور مساجد يكون على أحد ثلاثة صور:

الصورة الأولى: أن يسجد على القبر؛ يعني يجعل القبر مكان سجوده، (**اتّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**) يعني جعلوا القبر مكان السجود، هذه صورة، وهذه الصورة في الواقع لم تحصل بانتشار؛ لأن قبور الأنبياء في اليهود والنصارى لم تكن مباشِرة للناس يمكن أن يصلوا على القبر وأن يسجدوا عليه؛ بل كانوا يعظمون قبور أنبيائهم فلا يصَلُّوا عليها مباشرة؛ لكن قوله (**اتّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**) أبلغ صورة أن يتخذ القبر نفسه مسجدا يعني يصلي عليه مباشرة، وهذه أفضع تلك الأنواع، وهي التي تدل على أعظم وسيلة من وسائل الشرك والغلو بالقبر.

الصورة الثانية: أن يصلي إلى القبر، أن يتخذ القبر مسجدا؛ يعني أن يكون أمام القبر يصلي إليه، فإنه اتخذ القبر -وما حوله له حكمه- اتخذه مكانا للتذلل والخضوع، والمسجد لا يعنى به مكان السجود ووضع الجبهة على الأرض فقط وإنما يعني به مكان التذلل والخضوع، فاتخذوا قبورهم مساجد يعني جعلوها قبلة لهم، ولهذا نهى النبي أن يصلى إلى القبر لأجل أن الصلاة إليه وسيلة من وسائل التعظيم، وهذا يوافق قول الشيخ رحمه الله في الباب (**باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح**) قوله عند قبره نفهم من هذه الصورة التي هي أن يكون أمامه القبر بينه وبين القبلة تعظيما للقبر.

الصورة الثالثة: أن يتخذ القبر مسجدا بأن يجعل القبر في داخل بناء وذلك البناء هو المسجد, فإذا دفن النبي قام أولئك بالبناء عليه، فجعلوا حول قبره مسجدا واتخذوا ذلك المكان للتعبد وللصلاة فيه، هذه هي الصورة الثالثة، وهي أيضا موافقته لقول الشيخ رحمه الله (**عند قبر رجل صالح**).

وهذا يبين لك بعض المناسبة في إيراد هذا الحديث تحت الباب.

قال: (**قالت عائشة: يُحَذّرُ مَا صَنَعُوا**) يعني ما سبب اللعن؟ لماذا لعن النبي عليه الصلاة والسلام اليهود والنصارى في ذلك المقام العظيم -وهو أنه في سكرات الموت-؟ السبب أنه يريد أن يحذر الصحابة من ذلك، قالت (**يُحَذّرُ مَا صَنَعُوا**) وقد قبل الصحابة رضوان الله عليهم تحذيره وعملوا بوصيته.

قالت: (**وَلَوْلاَ ذَلكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ**)، (**أُبْرِزَ قَبْرُهُ**) يعني أُظهر وجعل قبره مع سائر القبور في البقيع أو نحو ذلك؛ ولكن كان من العلل التي جعلتهم لا ينقلونه عليه الصلاة والسلام من مكانه الذي يُتوفى فيه قوله هنا عليه الصلاة

والسلام («**لَعْنَة اللّهُ على الْيَهُودَ وَالنّصَارىَ. اتّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» يُحَذّرُ مَا صَنَعُوا، ولَوُلاَ ذَاكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ) فهذه أحد العلتين.

والعلة الثانية قول أبي بكر إنه سمع النبي يقول: «**إنّ الأنبياء يُقبرون حيث يُقبضون**».

قالت (**غَيْرَ أَنّهُ خَشِي**) هنا أو (**خُشي**) تُروى بالوجهين، (**غَيْرَ أَنّهُ خَشِي**) يعني عليه الصلاة والسلام (**أَنّ يُتّخَذَ مَسْجِداً**) يعني أن يتخذ قبره مسجدا، ويجوز أن ويجوز أن تقرأها (**غَيْرَ أَنّهُ خُشِي أَنّ يُتّخَذَ مَسْجِداً**) يعني خشي الصحابة أن يتخذ قبره مسجدا، وهذا تنبيه على إحدى العلتين.

الصحابة رضوان الله عليهم قبلوا هذه الوصية، وجعلوا دفنه عليه الصلاة والسلام في مكانه، وحجرة عائشة التي دُفن فيها عليه الصلاة والسلام كانت عائشة تقيم أو أقامت جدارا بينها وبين القبور، فكانت غرفة عائشة فيها قسمان قسم فيه القبر وقسم هي فيه.

كذلك لما توفي أبو بكر ودُفن بعد رسول الله -من جهة الشمال-، كانت أيضا في ذلك المقام في جزء من الغرفة من الحجرة.

ثم بعد ذلك لما دفن عمر تركت الحجرة رضي الله عنها.

ثم أغلقت الحجرة، فلم يكن ثم باب فيها يدخل وإنما كان فيها نافذة صغيرة، وكانت الحجرة -كما تعلمون- من بناء ليس حَجَر ولا من بناء مُجَصّص وإنما كانت من البناء الذي كان في عهده عليه الصلاة والسلام من خشب ونحو ذلك.

ثم بعد ذلك لما جاءت الزيادة في المسجد النبوي في عهد الوليد بن عبد الملك، وكان أمير المدينة يوم ذاك عمر بن عبد العزيز رحمه الله، وأخذوا شيئا من حُجَر زوجات النبي عليه الصلاة والسلام، بقيت حجرة النبي عليه الصلاة والسلام كذلك، فأخذوا من الروضة -روضة المسجد- أخذوا منها شيئا وجعلوا عليه بناء، فبنوه من ثلاث جهات، جدار آخر غير الجدار الأول، بنوه من ثلاث جهات، وجعلوا الجهة التي تكون شمالا -يعني من جهة الشمال- جعلوها مسنمة؛ جعلوها مثلثة قائمة هكذا، وصار عندنا الآن جداران:

الجدار الأول مغلق تماما، وهو جدار حجرة عائشة.

والجدار الثاني الذي عُمِل في زمن عمر بن عبد العزيز رحمه الله ورضي عنه في زمن الوليد بن عبد الملك، جعلوا جهة الشمال -وهي عكس جهة القبلة- جعلوها مسنمة؛ لأنه في تلك الجهة جاءت التوسعة وسعوها من جهة الشمال، فخشوا أن يكون ذلك الجدار مربعا يعني مسامتا للمستقبِل؛ فيكون إذا استقبله أحد استقبال للقبر، فجعلوه مثلثا يبعد كثيرا عن الجدار الأول وهو جدار حجرة عائشة؛ لأجل أن لا يمكن أحد أن يستقبل لبعد المسافة؛ ولأجل أن الجدار صار مثلثا.

ثم بعد ذلك بأزمان جاء جدار ثالث أيضا وبُني حول ذينك الجدارين، وهو الذي قال فيه ابن القيم رحمه الله تعالى في النونية في وصف دعاء النبي ^ في قوله «**اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد**» قال:

فأجاب رب العالمين دعاءه حتى غدت أرجاؤه بدعائه **وأحاطه الجد في عزة و**

فالنبي عليه الصلاة والسلام صار قبره في ثلاثة جدران، وكل جدار ليس فيه باب، ولا يمكن لأحد حتى في زمن الصحابة أن -يعني في زمن المتأخرين منهم في عهد الوليد وما قبله- لا يمكن أن يدخل ويقف على القبر بنفسه؛ لأنه صار ثَم جداران وكل جدار ليس له باب.

ثم بعد ذلك وضع الجدار الثالث وهذا الجدار أيضا كبير مرتفع إلى فوق، وُضعت عليه القبة فيما بعد، وهذا الجدار أيضا ليس له باب.

فلا يستطيع الآن أحد أن يدخل إلى القبر أو أن يصل القبر أو أن يتمسح بالقبر أو أن يرى قبر النبي عليه الصلاة والسلام.

ثم بعد ذلك وضع السور الحديدي هذا، وهذا السور الحديدي بينه وبين الجدار الثالث -الذي ذكرتُ لكم- بينه نحو متر ونصف في بعض المناطق ونحو متر في بعضها وبعضها نحو متر وثمانين إلى مترين في بعضها، يضيق ويزداد؛ لكن من مشى فإنه يمشي بين ذلك الجدار الحديدي وذلك الجدار الثالث.

فقبر النبي عليه الصلاة والسلام، عمل المسلمون بوصيته عليه الصلاة والسلام، وأبعد تماما فلا يمكن أن يصل أحد إلى القبر، ولا يمكن أيضا أن يُتخذ ذلك القبر مسجدا.

ولهذا لمّا جاء الخرافيون في الدولة العثمانية جعلوا التوسعة التي هي من جهة الشرق جعلوا فيها ممر لكي يمكن من يريد أن يطوف بالقبر أو أن يصلي في تلك الجهة، ذلك الممر الشرقي -الذي هو قدر مترين أو نحو ذلك أو يزيد قليلا-، ذلك الممر الشرقي في عهد الدولة السعودية الأولى وما بعدها مُنع من الصلاة فيه، فكأنه أُخرج من كونه مسجدا؛ لأنه إذا كان من مسجد النبي عليه الصلاة والسلام، فلا يجوز أن يمنعوا أحدا من الصلاة فيه، فلما منعوا أحدا من الصلاة فيه جعلوا له حكم المقبرة ولم يجعلوا له حكم المسجد، فلا يمكن لأحد أن يصلي فيه بل يغلقونه وقت الصلاة أمّا وقت السلام أو وقت الزيارة فإنهم يفتحونه للمرور.

فإذن تبين بذلك أن قبر النبي عليه الصلاة والسلام لم يُتخذ مسجدا، وإنما دخلت الغرف في التوسعة في عهد التابعين في المسجد؛ ولكن جهتُها الشرقية خارجة عن المسجد فصارت كالشيء الذي دخل في المسجد؛ ولكن حيطان متعددة تمنع أن يكون القبر في داخل مسجد النبي ﷺ، وإنما أربع جدارات تفصل بين المسجد وبين قبر النبي ﷺ يعني مكان الدفن.

وأعظم من ذلك مما يدل على أخذ الصحابة والتابعين ومن بعدهم بوصية النبي ﷺ هذه، وسد الطرق الموصلة إلى الشرك به عليه الصلاة والسلام، وباتخاذ قبره مسجدا: أنهم أخذوا من الروضة الشريفة أخذوا من الروضة

التي هي روضة من رياض الجنة كما قال عليه الصلاة والسلام «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة**» أخذوا منها قدر ثلاثة أمتار لكي يقوم الجدار الثاني ثم يقوم الجدار الثالث ثم يقوم السور الحديدي وأكثر من ثلاثة أمتار، فهذا من أعظم التطبيب وهو أنهم أخذوا من الروضة وأجازوا أن يأخذوا من المسجد لأجل أن يحمى قبر النبي عليه الصلاة والسلام من أن يتخذ مسجدا.

وهذا ولا شك من أعظم الفقه فيمن فعل ذلك، ومن رحمة الله جل وعلا في هذه الأمة، ومن إجابة دعوة النبي عليه الصلاة والسلام بقوله فيما سيأتي بعد هذا الباب «**اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد**».

إذن فقوله عليه الصلاة والسلام («**لَعْنَة اللّهُ على الْيَهُودَ وَالنّصَارىَ اتّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا) فإنه عليه الصلاة والسلام لم يتَّخذ قبره مسجدا.

واليوم الموجود قد يكون صورته عند غير المتأمل وغير الفقيه صورته صورة قبر في داخل مسجد، وفي الحقيقة ليست صورته وليست حقيقته قبر في داخل المسجد؛ لوجود الجدران المختلفة التي تفصل بين المسجد وبين القبر؛ ولأن الجهة الشرقية منه ليست من المسجد، وهذا لمّا جاءت التوسعة الأخيرة كان مبتدؤها من جهة الشمال بعد نهاية الحجرة بكثير حتى لا تكون الحجرة في وسط المسجد من جهة أنه يكون ثمة توسعة من جهة الشرق وثم الروضة من جهة الغرب فتكون وسط المسجد فيكون ذلك من اتخاذ قبره مسجدا عليه الصلاة والسلام.

المقصود من هذا البيان المهم -الذي ينبغي أن تعيه جيدا- أن قبر النبي عليه الصلاة والسلام ما أتخذ مسجدا ولكن وصيته عليه الصلاة والسلام من التحذير قد أتخذ بها في مسجده وفي قبره؛ ولكن خالفتها الأمة في قبور الصالحين من هذه الأمة فاتخذوا قبور بعض آل البيت مساجد وعظموها كما تُعظم الأوثان.

قال (ولمسلم عن جندب بن عبد الله، قال: سَمِعْتُ النّبِيّ

يُغلق

ولهذا تصح الصلاة في مسجد

فبطل

ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن

فقد نهى آخر ثم إنه

والصلاة بين مسجد خشي مسجداً

تجوز

صلاتكم

أيضا

فإن الصحابة لم يكونوا

قبره مسجداً، موضع قصد اتخذ يصلي

الأرض وطهوراً

باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله

روى مالك في الموطأ، أنّ رَسُولَ اللّهِ : «

(**باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله**) الغلو في قبور الصالحين وسيلة من وسائل الشرك؛ بل يصل الغلو إلى أن يكون شركا بالله جل وعلا وأن يُصيَّر ذلك القبر وثنا يعبد، فالغلو درجات مرّ علينا في الأبواب قبله بعض الغلو في القبور، وهنا بيّن أن الغلو يصل إلى أن يصيّر تلك القبور أوثانا تعبد من دون الله.

قلنا أن الغلو هو مجاوزة الحد، والقبور -قبور الصالحين وغير الصالحين- صفتها في الشرع واحدة، لم يميز الشرع ولم يأتِ دليل في الشريعة بأن قبر الصالح يميز عن قبر غيره؛ بل القبور تتساوى هذا وهذا لا يفرق بين قبر صالح وبين قبر طالح؛ بل الصفة واحدة وهي إما أن يكون القبر في ظاهره مسنما وإما أن يكون مربعا، وهذه الصورة من حيث الظاهر واحدة.

نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن الكتابة عليها وعن تجصيص القبر وعن رفع القبر وفي أنواع من السنن التي جاءت في أحكام القبور، وهذا لأجل سد الطرق التي توصل إلى الغلو في قبور الصالحين.

فإذن مجاوزة الحد في قبور الصالحين هي مجاوزةُ ما أُمِر به أو نُهي عنه في القبور؛ لأن قبور الصالحين لا تختلف عن قبور غير الصالحين، **فالغلو فيها**:

- يكون بالكتابة عليها، يكون برفعها، يكـون بالبنـاء عليهـا، يكـون بـأن تتخذ مساجد.
- يكون الغلو فيها -ذلك الذي سبق كله من جهة الوسائل؛ يكون الغلـو في قبور الصالحين بأن يجعل القبر وسيلة من الوسائل الـتي تقـرِّب إلـى الله جل وعلا، ويجعل القبر أو من في القبر شفيعا لهم عند الله جل وعلا، يجعل القـبر لـه حـق أن يُنـذر لـه، أو أن يُذبـح لـه، أو أن يستشـفع بـترابه إعتقادا أنه وسيلة عند الله جل وعلا، ونحو ذلك مـن أنـواع الشـرك الأكـبر بالله تبارك وتعالى.

لهذا الغلو في قبور الصالحين يكون بمجاوزة ما أُذن فيها:

- من المجاوزة ما هو من الوسائل.
- ومن المجاوزة ما هو من إتخاذها أوثانا من دون الله جل وعلا.

ولهذا قال رحمه الله (**باب ما جاء أنّ الغلو في قبور الصـالحين يصـيرها أوثانا**) وقوله (**يصيرها**) يعني يجعلها؛ قد يكون جعل الوسائل للغايات يعني أن الغلو صار وسيلة لإتخاذها أوثانا، وقد يكون أن الغلو جعلها وثننا يعبـد مـن دون الله جل وعلا.

وهذا هو الذي حصل ويرى في البلاء من أن القبور صارت أوثانـا تعبـد مـن دون الله لمّا أقيمت عليها المشاهد القباب ودعي الناس إليها وذُبح لها وقُبلت النذور لها وصار يطاف حولها ويعكـف عنـدها، ونحـو ذلـك مـن أنـواع الشـرك الأكبر بالله.

قال (روى مالك في الموطأ، أَنّ رَسُولَ اللّهِ قال: «**اللّهُمّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً يُعْبَدُ, اشْتَدّ غَضَبُ اللّهِ عَلَىَ قَوْمٍ اتّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»)، قـوله (**اللّهُمّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً يُعْبَدُ**) هذه استعاذة ودعاء لخوف أنْ يقع ذلـك، ولـو كان ذلك لا يقع أصلا ولا يمكن أن يقع لما دعا النبي عليه الصـلاة والسـلام بـذلك الدعاء العظيم؛ بل دعا أنْ لا يُجعل القبر وثنـا يعبـد كمـا جعلـت قبـور غيـره مـن الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة والسلام، فإن عددا من قبور الأنبياء والمرسـلين عليهم الصلاة والسلام اتُّخذت أوثانا تُعبد.[1]

قال (**اللّهُمّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً يُعْبَدُ**) معنى ذلـك أنّ القـبر يمكـن أن يكـون وثنا يُعبد،قال عليه الصلاة والسلام (**اللّهُمّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً يُعْبَـدُ**)، فالغايـة أن يكون القبر وثنا يعبد، ودعا النبي بأن لا يكون، والوسيلة إلى ذلك مـا جـاء بعد ذلك قال (**اشْتَدّ غَضَبُ اللّهِ عَلَـىَ قَـوْمٍ اتّخَـذُوا قُبُـورَ أَنْبِيَـائِهِمْ مَسَـاجِدَ**) وهذا هو الغلو؛ غلو الوسائل، فاتخاذ قبور الأنبياء مساجد غلو من غلو الوسائل يصيِّر تلك القبور أوثانا، فالنبي عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث جمع بين ذِكر الوسيلة والتنفير منها واشتداد غضب الله على من فعلها، وذكر نهايـة مـا تصل إليه بأصحابها تلك الوسيلة وهي أن تكون القبور أوثانا تعبد من دون اللـه جل وعلا.

فإذن هذا الحديث فيه بيان أن القبر يمكن أن يكون وثننا.

---

[1] انتهى الشريط الثامن.

والخرافيون يقولون: القبور لا يمكن أن تكون أوثانا، والأوثان هي أوثان الجاهلية وأصنام الجاهلية.

ونقول: إنّ الجاهليين إذا كانوا تعلّقوا بأصنام وبأحجار وبأشجار وبغير ذلك من الأشياء، واعتقدوا فيها ووصلوا فيها إلى الشرك الأكبر، مع أن المبرر العقلي والمبرر النفسي غير قوي فيها، فلأن تتخذ قبور الصالحين والأنبياء والمرسلين أوثانا أو أن يتوجه إلى أصحابها بالعبادة ذلك من باب أولى؛ لأن تعلُّق القلوب بالصالحين أولى من تعلقها بالأحجار، تعلُّق القلوب بالأنبياء والمرسلين أولى من تعلقها بالجن أو تعلقها بالأشجار أو الأحجار أو نحو ذلك.

فإذن سبب الشرك ووسيلة الشرك في القبور أولى وأظهر من النظر في الأصنام ونحو ذلك؛ لأنها جميعا من جهة اعتقاد القلب وتأثير تلك الأصنام والأوثان في الحالين جميعا في الشفاعة عند الله، فأولئك المشركون يقولون في آلهتهم ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، وقالوا أيضا ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾[يونس:18].

وأهل العصر أو العصور التي فشا فيها الشرك إذا سألتهم يقولون: هذا توسل وهذا استشفاع. والحال واحدة، والسبيل الذي جعل تلك القبور أوثانا هو اتخاذ تلك مساجد و البناء عليها و الحث على مجيئها وذكر الكرامات التي تحصل عندها أو إجابة الدعوات عندها أو التبرك بها إلى غير ذلك.

قال (**ولابن جرير بسنده، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد قال في قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾[النجم:19]. قال: كان يلتُّ لهم السويق، فمات، فعكفوا على قبره. وكذا قال أبو الجوزاء، عن ابن عباس: كان يلت السويق للحاج**) الشاهد قول مجاهد (**مات فعكفوا على قبره**) لأجل أنه رجل كان ينفعهم بِلَتّ السويق لهم على قراءة (**أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتَّ وَالْعُزَّى**) ووجه المناسبة ظاهر من أن صلاح ذلك الرجل جعلهم يغلون في قبره فعكفوا على قبره، والعكوف على القبور يصيرها أوثانا، العكوف معناه لزوم القبر بتعظيمه واعتقاد البركة في لزومه والثواب والنفع ودفع الضُّر، هذا معنى العكوف.

قال (وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «**لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ وَالمُتّخِذِينَ عَلَيْهَا المَسَاجِدَ وَالسّرُجَ**». رواه أهل السنن) وجه الدلالة من الحديث ظاهرة أن النبي ﷺ لعن المتخذين على القبور المساجد والسرج، المساجد مر معنى الكلام عليها، والسّرج لأنها وسيلة لتعظيم تلك القبور ونوع من أنواع الغلو فيها، فتُسرج القبور ويجعل عليها في الزمن الماضي القناديل، واليوم تجعل عليها الأنوار العظيمة التي تبين أن هذا المكان مقصود وأنه مطلوب ويُجعل عليها من عقود اللمبات وعقود الأنوار والكشافات التي تسطع ما يدلّ الناس على تعظيم هذا القبر، فهؤلاء ملعونون بلعنة رسول الله ﷺ، فلا يجوز أن تتخذ السرج على القبور؛ لأن اتخاذ السّرج على القبور من نوع الغلو فيها؛ ولأنه يوجه الناس إليها وذلك قد يكون بعده أن تتخذ آلهة وأوثانا مع الله جل وعلا. نعم

●

باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسدِّه كل طريق يوصل إلى الشرك

وقول الله تعالى: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ**(128) **فَإِن تَوَلَّوا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ**﴾ [التوبة: 128-129].

عن أبي هريرة [illegible]: [illegible] «[illegible]». [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]: «[illegible]». [illegible].

[illegible]

هذا الباب من جنس الأبواب قبله في حماية النبي عليه الصلاة والسلام جناب التوحيد وفي سده كل طريق يوصل إلى الشرك، وأتى بآية براءة وقول الله تعالى (**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**)، قوله (**عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ**) يعني عزيز عليه عَنَتُكم، عزيز عليه العنت؛ يعني أن تكونوا في عنت ومشقة هذا عزيز عليه لا يرغب فيه عليه الصلاة والسلام, (**حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ**) فهو عليه الصلاة والسلام عزيز عليه عنت أمته وهذا يؤدي أن يأمرهم بكل خير وأن ينهاهم عن كل شر، وأن يحمي حمي ما أمرهم به وما نهاهم عنه؛ لأن الناس إذا أقدموا على ما نُهوا عنه فإنهم أقدموا على مهلكتهم وأقدموا على ما فيه عنتهم في الدنيا وفي الأخرى، والنبي عليه الصلاة والسلام عزيز عليه عنتهم، عزيز عليه أن يقعوا في وبال عليهم وفي مشقة عليهم، ولهذا قال بعدها (**حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ**) لأن هذه وهذه متلازمة، ومن حرصه علينا عليه الصلاة والسلام ومن كونه يعز عليه عنتنا عليه الصلاة والسلام أنْ حَمى حِمى التوحيد وحمى جناب التوحيد وسد كل طريق قد نصل بها إلى الشرك عليه الصلاة والسلام، وهذا وجه الاستدلال من الآية على الباب.

وأما حديث أبي هريرة فوجه الشاهد منه (**وَلا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيداً**) والعيد يكون عيدا مكانيا كما جاء هنا ويكون عيدا زمانيا، (**لا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيداً**) يعني مكانا تعودون إليه في وقت معلوم من السنة، أو في أوقات معلومة تعتادون المجيء إلى القبر، فإنّ هذا قد يوصل إلى أن يعظِّم النبي عليه الصلاة والسلام وأن يُجعل تعظيمه كتعظيم الله جل وعلا، فإن اتخاذ القبور عيدا من وسائل الشرك، ولهذا قال (**وَصَلُّوا عَلَيّ فإِنّ صَلاَتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ**).

وكذلك حديث على بن الحسين في هذا المعنى أنه قال (ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال «**لا تتخذوا قَبْرِي عِيداً، ولا بُيُوتَكُمْ قُبُوراً**») في معنى ما قبله، ونهى الرجل الذي كان يعتاد المجيء فرجة كانت عند القبر؛ لأن اعتياده أن يدعوا عند القبر هذا نوع غلو ونوع وسيلة من وسائل تعظيم القبور واتخاذها عيدا، وهذا من وسائل الشرك، فحمى النبي عليه الصلاة والسلام حمى التوحيد، وَحَمى جنابه وسد كل طريق توصل إلى الشرك، حتى في قبره عليه الصلاة والسلام.

إذا كان كذلك فمن باب أولى قبور الصالحين وقبور الأنبياء والمرسلين غيره عليه الصلاة والسلام فإنهم أولى بذلك؛ لأنه أفضل خلق الله عليه الصلاة والسلام.

فالذي حصل أن هذه الأمة لم تقبل في كثير من فئامها حماية النبي عليه الصلاة والسلام ذلك، واتخذت القبور مساجد، واتخذت القبور عيدا؛ بل بنيت عليها المشاهد؛ بل أسرجتها؛ بل قبلت لها الذبائح والنذور وطيفَ حولها وجعلت كالكعبة وجعلت الأمكنة حولها مقدسة أعظم من تقديس بقاع الله المباركة؛ بل إن عبّاد القبور تجد عندهم من الذل والخضوع والإنابة والرغب والرهب حين يأتون إلى قبر النبي أو قبر الرجل الصالح أو قبر الولي ما ليس في قلوبهم إذا كانوا في خلوة مع الله جل جلاله وهذا عين المحادّة لله جل وعلا ولرسوله ﷺ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

❁❁•❁❁

باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

وقوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنْ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِن الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا**﴾ [النساء: 51].

وقوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ الله مَن لَّعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ**﴾[المائدة: 60].

وقوله تعالى: ﴿**قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا**﴾ [الكهف:21].

وعن أبي سعيد (ﷺ) [illegible] ﷺ [illegible]: «[illegible]». [illegible]: «[illegible]» [illegible].

[illegible] (ﷺ) [illegible] ﷺ [illegible]: «[illegible]

[illegible]

[illegible] «[illegible]

وإذا وقع [illegible] **السيف،** [illegible] **رفع** [illegible] **إلى القيامة،** [illegible] **حتى** [illegible]
[illegible] **بالمشركين** [illegible] **فئام** [illegible] **الأوثان،** [illegible]
[illegible] **يزعم** [illegible] **خاتم** [illegible] **لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي**
عَلَى الْحَقِّ منصورة. لا يَضُرُّهُمْ [illegible] **خَذَلَهُمْ حَتَّى** [illegible]».

[الشرح]

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد [illegible] العالمين، وأشهد [illegible] إله [illegible]
[illegible] شريك [illegible] الحق [illegible] صلى [illegible]
[illegible] آله [illegible] اهتدى [illegible].
[illegible]:

فهذا (باب [illegible] جاء [illegible] يعبد الأوثان) [illegible] أخذنا
[illegible] الموضع [illegible] مسائل كثيرة [illegible]
وجوه [illegible]
[illegible] والأصغر، [illegible]
[illegible]
[illegible] وطرقه [illegible]
[illegible].

[illegible] أنّ [illegible]
[illegible]: [illegible] صحيح، [illegible]
[illegible] « إِنَّ الشَّيْطَانَ
أَيِسَ [illegible] الْعَرَبِ وَلَكِنْ [illegible]» [illegible]
[illegible] ([illegible]) [illegible]
[illegible]. [illegible].

[illegible]: [illegible]
[illegible] ([illegible]) [illegible]
[illegible] أَيِسَ [illegible] ([illegible])
إغواء [illegible] **قَلِيلًا** [الإسراء: 62] [illegible] يُؤيسه [illegible]
[illegible] عز [illegible] ظهور [illegible]
[illegible]
[illegible] ([illegible]) [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible].

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

(1) انتهى الوجه الأول من الشريط التاسع.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾

باب ما جاء في السحر

وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ الآية [البقرة: 102].

وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء:51]. قال عمر: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان. وقال جابر: الطواغيت كهان كان ينزل عليهم الشيطان، في كل حي واحد.

وعن أبي هريرة

- [illegible]
- [illegible]

[illegible]

[illegible]

[

الآخِرة من [illegible]
[illegible] ظاهر [illegible].

قال (وقوله: ﴿**يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ**﴾[النساء:51]. قال عمر: الجبت: السحر) وهذا في ذم أهل الكتاب، فإن أهل الكتاب لما آمنوا بالسحر ذمهم الله جل وعلا ولعنهم وغضب عليهم، وهذا يكثر في اليهود، يكثر السحر واستعمال السحر في اليهود، ولهذا ذمهم الله جل وعلا ولعنهم وغضب عليهم.

(قال عمر بن الخطاب : الجبت السحر) وإذا كان الله جل وعلا ذمهم ولعنهم وغضب عليهم لأجل ذلك فهذا يفيد أنه من المحرمات ومن الكبائر، وإذا كان فيه إشراك بالله جل وعلا فظاهرٌ أنه شرك بالله جل وعلا وهكذا جميع أصنافه كذلك.

قال (والطاغوت: الشيطان) يعني الجبت اسم عام يشمل أشياء كثيرة كما ذكرنا ومن أبرزها وأظهرها عند اليهود السحر، فيؤمنون بالجبت يعني السحر؛ لأنه هو أظهر الأشياء عندهم، ويؤمنون بالطاغوت يعني بالشيطان وهو كل ما توجهوا إليه بالطاعة وبعده عن الحق وعن الصواب.

(**قال جابر** -يعني ابن عبد الله-: **الطواغيت كاهن كان ينزل عليهم الشيطان، في كل حي واحد**) وهذا يأتي بيانه في باب ما جاء في الكهان.

قال (وعن أبي هريرة ، أن رسول الله قال: «[illegible]» [illegible]

[illegible]

قال (وصح عن حفصة رضي الله عنها، أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها، فقُتِلت. وكذلك صح عن جندب. قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ) يعني أن الساحر يجب أن يقتل وهذا حده، سواء قلنا يقتل لحد الردة أو يقتل لحد القتل أو يقتل تعزيرا، فالصحابة رضوان الله عليهم أفتوا بقتله وأمروا بقتله، وذلك بدون تفريق، وهذا هو الواجب أن لا يفرق بين نوع ونوع.

والواجب على المسلمين أنْ يحذروا السحر بأنواعه وأن يتعاونوا في الإبلاغ براءة للذمة وإنكارا للمنكر عن كل من يعملون عنده شعوذة أو استخداما لشيء من الخرافات أو السحر ونحو ذلك؛ لأنه كما قال الأئمة ما يدخل السحرة إلى بلد إلا ويفشوا فيها الفساد والظلم والاعتداء والطغيان، ذلك لأنهم يستخدمون الشياطين فتطيع الشياطين السحرة، أعاذنا الله منهم ومن أقوالهم وأعمالهم وتأثيراتهم.

[الأسئلة]

[س/ هل يجوز الذهاب للعلاج عند من يزعم أنه يعالج بمساعدة جن مسلمين، وهل هذه المساعدة من الجن للقارئ من الاستعانة الجائزة أم المحرمة؟

ج/ الاستعانة بالجن -سواء أكانوا مسلمين أو غير مسلمين- وسيلة من وسائل الشرك، والاستعانة معناها طلب الإعانة، ولهذا من المتقرر عند أهل

العلم أنهم لا يطلبون الإعانة من مسلمي الجن، فلم يطلب الإعانة منهم الصحابة رضوان الله عليهم وهم أَوْلى أن تخدمهم الجن وأن تعينهم.

وأصل الإعانة من الجن من أسباب إغراء الإنس بالتوسل إلى الجن وبرفعة مقامه وبالاستمتاع به، وقد قال جل وعلا﴿**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الجِنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا**﴾[الأنعام:128]، فحصل الاستمتاع -كما قال المفسرون- من الجن بالإنس لأن الإنسي يتقرب إليه ويخضع له ويذل ويكون في حاجته، ويحصل الاستمتاع من الإنسي بالجني بأن الجنيَّ يخدمه، وقد يكون مع ذلك الاستمتاع ذبحٌ من الإنس للجن و تقرب بأنواع العبادات أو -والعياذ بالله- بالكفر بالله جل وعلا بإهانة المصحف أو بامتهانه أو نحو ذلك.

ولهذا نقول أن تلك الاستعانة بأنواعها لا تجوز، منها ما هو شرك وهي الاستعانة بشياطين الجن يعني الكفار، ومنها ما هو وسيلة إلى الشرك وهو الاستعانة بمسلمي الجن.

بعض أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية قال: إن الجن قد تخدم الإنسيَّ، وهذا المقام فيه نظر و تفصيل ذلك أن ذكر في آخر كتاب النبوات أن أولياء الله لا يستخدمون الجن إلا بما فعله معهم رسول الله ﷺ [illegible]

[illegible]

الجن بعض الحوادث حصل منهم مفاسد متنوعة كثيرة، [illegible] إنهم جزموا [illegible] أخبرتهم [illegible]
[illegible] قلي [illegible] – [illegible] ذلك [illegible] أُخبروا [illegible] – [illegible]
جرائها [illegible] جرّاء [illegible] بأنَّ [illegible]
[illegible] كذِب، [illegible] على [illegible]
[illegible] وشتت [illegible]
[illegible]: [illegible]
[illegible]. [illegible]
[illegible] وزوجها؛ [illegible] الغالب [illegible]
المؤمنين، [illegible] ﷺ [illegible] « إن
الشيطان أيس أن يعبده المصلون في جزيرة [illegible] ولكن [illegible] التحريش [illegible]».

[illegible] كطالبة [illegible]
[illegible]
[illegible].

[illegible] **تاريخ نجد لابن بشر** [illegible]: [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible].

[illegible] – [illegible]
غنام – [illegible].

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وإعظامه [illegible]
[illegible].

[illegible] وَحْدَه، [illegible]
[illegible]
[illegible].] (1)

●

باب بيان شيء من أنواع السحر

قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف، عن حيان بن العلاء، حدثنا قطن بن قبيصة، عن أبيه، أنه سمع النبي ﷺ قال: « [illegible]

(1) مأخوذ من الوجه الثاني للشريط السادس، وهنا ينتهي الشريط.

[illegible] ». قال عوف: الْعِيَافَةُ زَجْرُ الطَّيْرِ والطَّرْقُ الْخَطُّ [illegible] الأرض، والجبت: قال الحسن: رنة الشيطان. إسناده جيد. ولأبي [illegible] والنسائي [illegible] صحيحه المسند. [illegible]

[illegible] «مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً [illegible] النُّجُومِ [illegible] فقد [illegible] زَادَ [illegible]»

[illegible] حديث [illegible] «[illegible] ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا [illegible] أشرك، [illegible] شَيْئاً [illegible] إِلَيْهِ».

[illegible] «[illegible] الْعَضْهُ؟ [illegible]».

[illegible] «[illegible] لسحراً».

[illegible]

[illegible] (إِنَّ من الْبَيَانِ [illegible])، [illegible]

[illegible]

هذا [illegible] ولكم العلم النافع [illegible] والإقبال على الخير [illegible]
[illegible]. (1)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وعملا ويقينا وصلاحا يا أرحم الراحمين.

أما بعد:

[قد ذكرنا أن هذا الباب عقده الإمام رحمه الله تعالى لبيان أن هناك من الأعمال ما أطلق عليه أنه سحر، ولكن لا يشترك مع السحر في الذي في الباب قبله في جميع الأحكام، ثم إن بعض هذه الأنواع يجهل كثير من المسلمين أنها من السحر فتارة يدخلونها في غير باب السحر، وهي مع السحر مشتركة في حقيقته وفي بيان أصله أو في أصله ووضعه اللغوي.] (2)

وقفنا عند قوله (وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ، فقد [illegible] مِنَ السِّحْرِ زَادَ [illegible]». رواه أبو داود، وإسناده صحيح) هذا فيه بيان أن تعلم النجوم [illegible] للسحر [illegible] ظن [illegible] في جاء [illegible]

قوله [illegible] بعض [illegible] النجوم؛ [illegible] الشعبة [illegible] الطائفة [illegible] الشيء [illegible] جزء [illegible] فلك [illegible] التأثير [illegible] زاد [illegible] حتى [illegible] إلى آخر [illegible] –[illegible] –[illegible].

[illegible] جلّ [illegible] وغروبها مؤثرة [illegible].

[illegible] جلّ [illegible].

[illegible] (وللنسائي من حديث أبي هريرة: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا [illegible] سَحَرَ، وَمَنْ [illegible] أَشْرَكَ، [illegible] تَعَلَّقَ شَيْئاً [illegible] إِلَيْهِ») قوله [illegible]
[illegible] أنّ [illegible]
[illegible]
[illegible] تحْضُر [illegible]
[illegible]
[illegible] [الفلق:4] [illegible].

(1) انتهى الشريط التاسع.

(2) سقط من الأشرطة، وقد نقلته عن تفريغ جامع ابن تيمية.

(1) سقط من الأشرطة، وقد نقلته عن تفريغ جامع ابن تيمية.

(2) سقط من الأشرطة، وقد نقلته عن تفريغ جامع ابن تيمية.

[illegible] (العَضْهُ)، ([illegible] أنبئكم ما العَضْهُ) لأشباهها في وزنها، كما فسرها عليه الصلاة [illegible] (النَّمِيمَةُ القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ) [illegible] العَضْه [illegible] اللغة يطلق على أشياء [illegible] السحر والنميمة [illegible] الكبائر [illegible] المحرمات، ووجه [illegible] أنّ تأثير [illegible] خفي، وهذا [illegible] فإنه [illegible] الأحباب؛ [illegible] العداوة [illegible] السحر ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾[البقرة:102] [illegible] ظاهر [illegible].

(ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول [illegible] ﷺ قال: «إنّ [illegible] لسحراً»)، [illegible].

[illegible] يُعدّ [illegible] (إنّ [illegible] لسحراً).

[illegible] يثر [illegible].

[illegible].

●

باب ما جاء في الكهان ونحوهم

روى مسلم في صحيحة عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: [illegible] قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافاً فَسَأَلَهُ [illegible] شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ [illegible] يَقُولُ، [illegible] صَلاَةُ [illegible]».

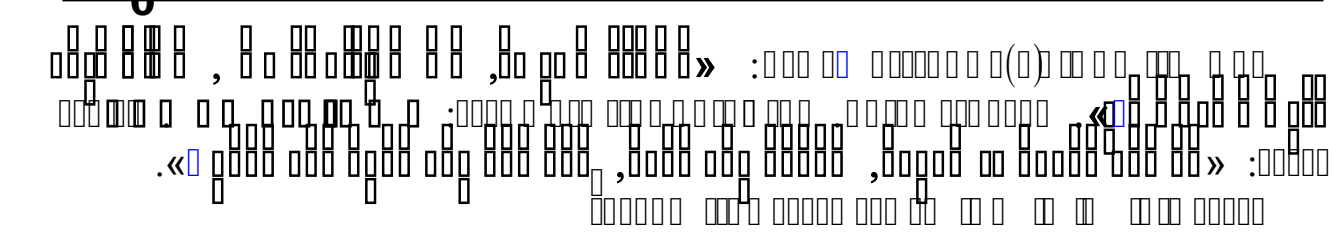

وعن عمران بن حصين مرفوعاً: ليس منا من تَطير أو تُطير له، أو تكهن أو تُكهن له، أو سحر أو سُحر له، ومَنْ أَتَى كَاهِناً, فَصَدّقَهُ بِمَا يَقُولُ, فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمّدٍ .رواه البزار بإسناد جيد ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: (ومَنْ أَتَى...) إلى آخره.

قال البغوي: العراف: الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك.

وقيل: هو الكاهن. والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل.

وقيل: الذي يخبر عما في الضمير.

وقال أبو العباس ابن تيمية: العراف: اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم، ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق.

وقال ابن عباس في قوم يكتبون (أبا جاد) وينظرون في النجوم: ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق.

[الشرح]

(**باب ما جاء في الكهان ونحوهم**) هذا الباب أتى بعد أبواب السحر؛ لأن حقيقة عمل الكاهن أنه يستخدم الجن لإخباره بالأمور المغيبة، إما التي غابت في الماضي أو الأمور المغيبة في المستقبل التي لا يعلمها إلا الله جل جلاله، فالكاهن يجتمع مع الساحر في أنّ كلاّ منهما يستخدم الجن لغرضه ويستمتع بالجن لغرضه.

ومناسبة الباب لكتاب التوحيد أن الكِهانة استخدام الجن كفر وشرك أكبر بالله جل وعلا؛ لأنه لا يجوز أن يستخدم الجن في مثل هذه الأشياء واستخدام الجن في مثل هذه الأشياء لا يكون إلا بأن يتقرّب إلى الجن بشيء من العبادات، فالكهان لابد حتى يُخدموا بذكر الأمور المغيبة لهم أن يتقربوا إلى الجن ببعض العبادات؛ إمّا بالذبح أو الاستغاثة أو بالكفر بالله جل وعلا بإهانة المصحف أو بسب الله أو نحو ذلك من الأعمال الشركية الكفرية.

فالكهانة صنعة مضادة لأصل التوحيد، والكاهن مشرك بالله جل وعلا؛ لأنه يستخدم الجن ويتقرّب إلى الجن بالعبادات حتى تخدمه الجن، حتى تخبره الجن بالمغيبات، هذا لا يمكن إلا أن يتقرب إلى الجن بأنواع العبادات.

وأصل الكهّان في الجاهلية كانوا كما مرّ معنا في حديث جابر في باب سبق أن الكهانة كانت منتشرة في بلاد العرب في الجزيرة و في غيرها، والكهان أناس يُدَّعى فيهم الوَلاية والإصلاح عندهم وأن عندهم علم ما سيكون في المستقبل، أو عندهم علم المغيبات التي ستحدث للناس أو تحدث في الأرض، ولهذا كانت العرب تعظّم الكهان وكانت تخاف من الكهان وكانت تعطي الكهان أجرا عظيما لأجل ما يُخبر عنه، والكاهن -كما ذكرنا- لا يصل إلى حقيقة عمله بأن يخبر عن الأمور المغيبة إلا باستخدام الجن، والتقرب

إلى الجن التقربات الشركية؛ فتستمتع الجن به من جهة ما صرف لها من العبادة، ويستمتع هو بالجن من جهة ما يخبره به الجن من الأمور المغيبة.

والجن تصل إلى الأمور المغيبة التي تَصْدق فيها عن طريق استراق السمع، فإن بعضهم يركب بعضا حتى يسمعوا الوحي الذي يوحيه الله جل وعلا في السماء، فربما أدرك الشهاب الجني قبل أن يعطي الكلمة لمن تحته، وربما أدرك الشهاب الجني بعد أن ألقى الكلمة فتأتي هذه الكلمة للجن فيعطونها الكاهن فيكذب معها الكاهن أو تكذب معها الجن مائة كذبة حتى يعظم شأن الكاهن وتعظم عبادة الإنس للجن.

وقبل بعثه النبي عليه الصلاة والسلام كان استراق السمع كثيرا جدا، وبعد بعثته عليه الصلاة والسلام حُرست السماء من أن تسترق الجن السمع؛ لأجل تنزل القرآن والوحي حتى لا يقع الاشتباه في أصل الوحي والنبوّة، وبعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام يقع الاستراق؛ ولكنه قليل بالنسبة لما كان عليه قبل البعثة.

فصارت عندنا أحوال استراق السمع ثلاثة:

- قبل البعثة كثير جدا.
- وبعد بعثة النبي عليه الصلاة والسلام لم يحصل استراق من الجن، وإن حصل فهو نادر في غير وحي الله جل وعلا بكتابه لنبيه.
- والحالة الثالثة بعد وفاته عليه الصلاة والسلام رجع استراق السمع أيضا؛ ولكنه ليس بالكثرة التي كانت قبل ذلك لأن السماء ملئت حرسا شديدا وشهبا.

والله جل وعلا بين ذلك في القرآن في آيات كثيرة من أن النجوم والشهب ترمي الجن كما قال جل وعلا ﴿**إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ**﴾ [الحجر:18] ونحو ذلك من الآيات التي فيها أن الشهب مُرْصَدَةٌ للجن.

تبينت لك حقيقة الكاهن، إذا ظهر ذلك فالكاهن قد يطلق عليه العراف، وهذا الاسم الكاهن أو العراف اسمان متداخلان، قد يكون أحدهما يدل على الآخر، وعند بعض الناس أو في بعض الفئات يُستخدم الكاهن للإخبار بما يحصل في المستقبل، ويُستخدم كلمة أو لفظ العراف لمن يُخبر عن الغائب عن الأعين مما حصل في الماضي ممثل مكان المسروق أو السارق من هو ونحو ذلك مما هو غائب عن الأنظار، وإنما يعلمه العراف بواسطة الجن.

والصحيح في ذلك ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية أن العراف: اسم للكاهن والمنجم والرمّال ونحوهم، ممن يتكلمون في معرفة الأمور بتلك الطرق، من تكلم بمعرفة الأمور المغيبة إما الماضية أو المستقبلة بتلك الطرق -طريق التنجيم، أو طريق الخط في الرمل، أو طريق الطرق على الحصى، أو الخط في الرمل بطريق الطرق، أو بالودع أو نحو ذلك من الأساليب أو بالخشبة المكتوب عليها أبا جاد، ونحو ذلك من قراءة الفنجان أو قراءة الكف- كل من يخبر عن الأمور المغيبة بشيء يجعله وسيلة لمعرفة الأمور المغيبة يسمى

كاهنا ويسمى عرّافا؛ لأنه لا يحصل له أمرُه إلا بنوع من أنواع الكهانة. وسيأتي ذلك إن شاء الله.

قال رحمه الله (**باب ما جاء في الكهان ونحوهم**) يعني من العرّافين والمنجمين والذين يخطّون في الرمل والذين يكتبون على الخشب ونحو ذلك.

قال (روى مسلم في صحيحة عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ [illegible]

[illegible]

قال (**وقال ابن عباس في قوم يكتبون (أبا جاد) وينظرون في النجوم: ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق**) ذلك لأن كتابة (أبا جاد) والنظر في النجوم يعني للتأثير نوع من أنواع الكهانة، والكهانة محرمة وكفر بالله جل وعلا.

بقي أن نقول: إن أصناف الكهانة كثيرة جدا وجامعها الذي يجمعها أنه يستخدم الكاهن وسيلة ظاهرية عنده ليُقنع السائل بأنه وصل إليه العلم عن طريق أمور ظاهرية علمية، تارة يقول عن طريق النجوم، وتارة يقول عن طريق الخط أو عن طريق الطرق، أو عن طريق الوَدَع، أو عن طريق الفنجان، أو عن طريق الكف، أو عن طريق النظر في الأرض في حصى يجعله، أو عن طريق الخشب ونحو ذلك، هذه كلها وسائل يغرُّ بها الكاهن من يأتيه.

في الحقيقة هي وسائل لا تحصِّل العلم ذاك؛ لكن العلم جاءه عن طريق الجن فهذه الوسيلة إنما هي وسيلة للضحك على الناس، وسيلة لكي يظن الظان أنها تؤدي إلى العلم، وأن هؤلاء أصحاب علم وفهم بهذه الأمور.

وفي الواقع هو لا يتحصَّل على العلم الغيبي عن طريق خط أو عن طريق فنجان أو عن طريق النظر في البروج أو نحو ذلك، وإنما يأتيه العلم عن طريق الجن، وهو يُظهر هذه الأشياء حتى يحصل على المقصود، حتى تصدقه الناس أنه لا يستخدم الجن ولكنه ولي من الأولياء.

كيف يستنتج هذه المغيبات كيف يستنتج المغيبات من هذه الأمور الظاهرية؟ في بعض البلاد كغرب إفريقيا وبعض شمالها ونحو ذلك، وهذا منتشر أيضا في الشرق وفي كثير من البلاد، يجعلون من يتعاطى هذه الأشياء وليّا من الأولياء، ويقولون الملائكة تخبره بكذا، فهو لا يفعل الفعل إلا بإرشاد من الملائكة، فالذين يفعلون هذه الأفعال من الأمور السحرية أو الكهانية

عندهم أنهم أولياء، ولهذا ترى بعض الشراح يذكر في مقدمة هذه الأبواب أن أولياء الله جل وعلا لا يتعاطون الشرك ولا يتعاطون مثل هذه الأمور، فأولياء الله مقيَّدون بالشرع وليسوا من أولياء الجن. نعم.

●

[**الأسئلة**]

[**س/** هناك رجل في منطقتنا يأتي إليه الناس عند فقْد أموالهم، فيعطيهم خيطا معقدا، ويقرأ عليه، ويطلب منهم أن يضعوه في المكان الذي فقده، فما حكم ذلك؟ وما حكم الصلاة خلفه؟

ج/ هذا من الكِهانة؛ لأن هذا الذي يعمل هذه الأشياء عراف، أو كاهن، وقد يكون ساحرا -أيضا-، فلا يجوز عمل مثل هذا العمل، ولا يحل لأحد أن يعين أحدا يدَّعي معرفة شيء من علم الغيب، والصلاة خلفه لا تجوز؛ لأن هذا إما أن يكون عرافا، أو كاهنا، أو ساحرا، وهؤلاء لا تجوز الصلاة خلفهم. نعم.] [1]

●

باب ما جاء في النشرة

عن جابر، أن رسول الله ﷺ سئل عن النشرة؟ فقال: «**هي من عمل الشيطان**». رواه أحمد بسند جيد، وأبو داود. [illegible]: [illegible] يكره هذا [illegible].

[illegible] البخاري [illegible] قتادة: قلت [illegible]: [illegible] طب [illegible] يؤخَّذ [illegible]

[illegible]: [illegible] إنما [illegible] الإصلاح، [illegible].

[illegible]: [illegible].

[illegible]: [illegible]: [illegible]:

أحدهما: [illegible] مثله، [illegible]

[illegible] إلى [illegible].

والثاني: [illegible] جائز.

[الشرح]

(**باب ما جاء في النشرة**)، النشرة متعلقة بالسحر وأصلها من النَّشْر [illegible] قيام المصحيا، [illegible] لعلاج [illegible] إلى [illegible] المعتادة.

[illegible] الشيخ [illegible] ([illegible]) [illegible] التفصيل [illegible]

[illegible] مذمومة؟ [illegible]

[illegible] الكتب [illegible] ظاهرة، [illegible]

[illegible]

[illegible] غير [illegible]

[illegible].

---

[1] مأخوذ من الوجه الأول من الشريط الأول تحت باب ما جاء في الذبح لغير الله.

[illegible]

(1) انتهى الوجه الأول من الشريط العاشر.

سؤل

جيد

---

(1) الشيخ حفظه الله يريد ابن المسيب.

[illegible] فقهاء [illegible] كان إذا [illegible] يجوز [illegible] بعض [illegible]
[illegible].
[illegible] غلط [illegible] جائزة [illegible]
[illegible].
[illegible] أوّلها - [illegible] الشرائع - حفظ [illegible]
[illegible] مرتبةً، [illegible]
[illegible].
[illegible] نشرا [illegible]
[illegible].

باب ما جاء في التطير

وقول الله تعالى: ﴿أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 131].

وقوله: ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ [يس: 19].

وعن أبي هريرة، [illegible] «[illegible] عَدْوَى، [illegible] صَفَرَ». [illegible] وزاد [illegible]: «[illegible] نَوْءَ [illegible] غُولَ».

[illegible] «[illegible] وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ». [illegible]: الفأل؟ [illegible]: «[illegible]».

[illegible] عُ [illegible] «أَحْسَنُهَا [illegible] مُسْلِماً، [illegible] فَلْيَقُلْ [illegible] السَّيِّئَاتِ [illegible]».

[illegible]

طائرهم عند الله

الآية [يس: 19]

إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ [يس: 18]

وَشَاعَ فِي ذَا الْبَابِ إِذَا الْمُرَا

إسْقَاطُ الخَبَر سُقُوطِهِ

وهذا مهم في العربية.

قال (ولهما عن أنسٍ، قال: قال رسول الله : « **لاَ عَدْوَىَ، وَلاَ طِيَرَةَ)** يعني لا عدوى مؤثرة بنفسها؛ بل بإذن الله جل وعلا ولا طيرة مؤثرة أصلا، وإنما ذلك راجع إلى قضاء الله وقدره، قال(**وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ**. قالوا: وما الفأل؟ قال: «**الْكَلِمَةُ الطّيّبَةُ**»)، (**الْفَأْلُ**) كان عليه الصلاة والسلام يحبه وفسره بأنه الكلمة الطيبة، لأن الكلمة الطيبة إذا سمعها فتفاءل بها أنه سيحصل له كذا وكذا من الخيرات، ففيها أنها حسن ظنٍّ بالله جل وعلا، الفأل حسن ظن بالله، والتشاؤم سوء ظن بالله جل وعلا، ولهذا صار الفأل ممدوحا ومحمودا وصار الشؤم مذموما، والفأل ممدوح من جهة أنه فيه تحسين الظن بالرب جل وعلا، وهذا مأمور العبد به، لهذا كان عليه الصلاة والسلام يتفاءل، وكل ذلك من تعظيم الله جل وعلا وحسن الظن به وتعلق القلب به وأنه لا يفعل للعبد إلا ما هو أصلح له.

قال (ولأبي داود -بسند صحيح- عن عُقبة بن عامر، قال: **ذُكِرَتِ الطّيَرَةُ عِنْدَ** رسول الله فقال: «**أحْسَنُهَا الْفَأْلُ**») الطيرة يعني التأثر بالكلمة؛ لأننا ذكرنا لكم أن الطيرة عامة تشمل الأقوال والأعمال التي تحصل أمام العبد، فإذا كان ثَم تطير فإن أحسنه الفأل يعني أن يقع في قلبه أنه سيحصل له كذا وكذا من جراء كلمة سمعها أو من جراء فعل حصل له أحسن ذلك الفأل، وغيره مذموم، لِم كان الفأل محمودا وممدوحا ومأذونا به؟ لما ذكرنا من أنمه إذا تطير متفائلا فإنه محسن الظن بالله جل وعلا، وأمّا الفأل في نفسه فهو مطلوب لأن التفاؤل يشرح الصدر ويُونس العبد ويُذهب الضيق الذي يُوحيه الشيطان ويسببه الشيطان في قلب العبد، والشيطان يأتي للعبد فيجعله يَتوهم أشياء وأشياء كلها في مضرَّته، فإذا فتح العبد على قلبه باب التفاؤل أبعد عن قلبه باب تأثير الشيطان على النفس.

قال(**وَلاَ تَرُدّ مُسْلِماً)، (لاَ تَرُدّ مُسْلِماً**) هذا خبر لكنه مضمن للنهي، وقد ذكرت لكم أن النهي قد يُعدل عنه للخبر، كما أنّ الأمر قد يعدل عنه إلى الخبر لتأكيد النهي ولتأكيد الأمر، قال**وَللهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ دَابَّة**[النحل:49] هذا خبر لكنه كالأمر المؤكد، هذا خبر مثبت، والخبر المنفي كقوله هنا (**لاَ تَرُدّ مُسْلِماً**) هذا خبر؛ لكن فيه النهي أن ترد الطيرة مسلما عن حاجته، فإذا ردّته عن حاجته فقد حصل له الشرك بالتطير.

قال (**فَإذا رَأَى أحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلْ اللّهُمّ لاَ يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إلاّ أنْتَ وَلاَ يَدْفَعُ السّيّئَاتِ إلاّ أنْتَ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوّةَ إلاّ بِكَ)** هذا دعاء عظيم في دفع ما يأتي للقلب من أنواع التشاؤم وأنواع الطيرة.

قال (وعن ابن مسعود مرفوعاً: « **الطّيَرَة شِرْكٌ، الطّيَرَةُ شِرْكٌ، الطّيَرَةُ شِرْكٌ، وَمَا مِنّا إلاّ وَلَكِنّ الله يُذْهِبُهُ بِالتّوَكّلِ**») قال (**الطّيَرَةُ شِرْكٌ**) يعني الشرك الأصغر بالله جل وعلا، قال (**وَمَا مِنّا إلاّ**) يعني إلا وقد أتى لِقلبه بعض التطير؛ لأن هذا من الشيطان والشيطان يأتي القلوب فيغريها بما يفسدها ومن ذلك التطير، (**وَمَا مِنّا إلاّ**) يعني ويعرض له ذلك (**وَلَكِنّ الله**

يُذْهِبُهُ بِالتّوَكّلِ) لأن حسنات التوكل وإتيان العبد بواجب التوكل يذهب عنه كيد الشيطان بالتطير.

فالواجب على العبد إذا عرض له شيء من التشاؤم أن لا يرجع عمّا أراد عمله؛ بل يعظم التوكل على الله جل وعلا؛ لأن هذه الأشياء التي تحصل لا تدل على الأمور المغيبة لأنها أمور طرأت ووافقت هكذا أمام العبد وليس لها أثر فيما يحصل في مستقبلا.

قال (ولأحمد من حديث ابن عمرو: «**من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك**») هذا الضابط ذكرناه لكم في أول الباب؛ أن ضابط كون الطيرة شركا أن ترُدَّ المتطير عن حاجته، فإذا لم ترده عن حاجته فإنه لم يستأنس لها فلا حرج عليه في ذلك، إلاّ أن عظمت في قلبه فربما دخلت في أنواع محرمات القلوب، والذي يجب أن يذهبه بالتوكل وتعظيم الرّغب فيما عند الله وحسن الظن بالله جل وعلا، (**قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن تقولوا اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك**)، (**لا طير إلا طيرُك**) يعني لن يحصل إلا قضاؤك الذي قضيته، أو لن يحصل ويُقضى إلاَّ ما قدرته على العبد، والعلم -علم المغيبات- إنما هو عند الله جل وعلا. نعم.

●

باب ما جاء في التنجيم

قال البخاري في صحيحه: قال قتادة: **خَلقَ الله هذه النجوم لثلاث: جعلها زينةً للسماء, ورجوماً للشياطين, وعلاماتٍ يُهتدَى بها, فمن تأولَ فيها غير ذلكَ أخطأ وأضاعَ نصيبهُ وتكلف ما لا علم لهُ به.** انتهى

وكره قتادة تعلم منازل القمر. ولم يرخص ابن عيينة فيه. ذكره حرب عنهما. ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق.

وعن أبي موسى، قال رسول الله ﷺ: «[illegible]» [illegible].

[illegible]

(**باب ما جاء في التنجيم**) يعني في حكم التنجيم وأنه منقسم إلى جائز ومحرم.

والمحرم منه نوع من أنواع السحر وهو كفر وشرك بالله جل وعلا، فالتنجيم هو ادعاء معرفة المغيبات عن طريق النجوم، هذا التنجيم المذموم المحرم الذي هو من أنواع الكهانة والسحر.

وفيما يتعلمه الناس أو فيما هو موجود عند الناس وعند الخلق التنجيم ثلاثة أنواع:

__الأول__: التنجيم الذي هو اعتقاد أن النجوم فاعلة مؤثرة بنفسها، وأن الحوادث الأرضية منفعلة ناتجة عن النجوم وعن إرادات النجوم، وهذا تأليه للنجوم، وهو الذي كان يصنعه الصابئة ويجعلون لكل نجم وكوكب صورة وتمثالا وتَحِلُّ فيها أرواح الشياطين فتأمر أولئك بعبادة تلك الأصنام والأوثان، وهذا بالإجماع **كفر أكبر وشرك** كشرك قوم إبراهيم.

النوع الثاني من التنجيم: هو ما يسمى علم التأثير، وهو الاستدلال بحركة النجوم والتقائها وافتراقها وطلوعها وغروبها الاستدلال بذلك على ما سيحصل في الأرض، فيجعلون حركة النجوم دالة على ما سيقع مستقبلا في الأرض، والذي يفعل هذه الأشياء ويحسنها يقال له المنجم، وهو من أنواع الكهَّان؛ لأن فيه أنه يخبر بالأمور المغيّبة عن طريق الاستدلال بحركة الأفلاك وتحرك النجوم، وهذا النوع **محرم وكبيرة من الكبائر**، وهو نوع من أنواع الكهانة، وهي كفر بالله جل و علا؛ لأن النجوم ما خلقت لذلك، وهؤلاء تأتيهم الشياطين فتوحي إليهم بما يريدون وبما سيحصل في المستقبل ويجعلون حركة النجوم دليلا على ذلك.

وقد أبطل قول المنجمين في أشياء كثيرة من الواقع، ونحو ذلك كما في فتح عمّورية في قصيدة أبي تمام المشهورة:

السيف أصدق إنباءً من الكتب .....

وغيرها.

النوع الثالث مما يدخل في اسم التنجيم: ما يسمى بعلم التسيير؛ علم التسيير وهو أن يعلم النجوم وحركات النجوم لأجل أن يعلم القبلة والأوقات وما يصلح من الأوقات للزرع وما لا يصلح، والاستدلال بذلك على وقت هبوب الرياح، وعلى الوقت الذي أجرى فيه سنته أنه يحصل فيه من المطر كذا ونحو ذلك، فهذا يسمى علم التسيير، فهذا رخّص فيه بعض العلماء، وسبب الترخيص فيه أنه يجعل النجوم وحركتها أو التقاءها أو افتراقها أو طلوعها أو غروبها يجعل ذلك وقتا وزمنا لا يجعله سببا، فيجعل هذه النجوم علامة على زمن يصلح فيه كذا وكذا، والله جل وعلا جعل النجوم علامات كما قال﴿**وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**﴾[النحل:16]، فهي علامة على أشياء يحصل طلوع النجم الفلاني يحصل أنه بطلوع النجم الفلاني يدخل وقت الشتاء، ليس بسبب طلوعه لكن حين طلع استدللنا بطلوعه على دخول الوقت، وإلا فهو ليس بسبب لحصول البرد وليس بسبب لحصول الحر وليس بسبب للمطر وليس بسبب لمناسبة غرس النخل أو زرع المزروعات ونحو ذلك؛ ولكنه وقتٌ، فإذا كان كذلك فلا بأس به قولا أو تعلّما لأنه يجعل النجوم وظهورها وغروبها يجعلها أزمنة وذلك مأذون به.

(قال البخاري في صحيحه: قال قتادة: **خَلقَ اللهُ هذه النجوم لثلاثٍ: جعلها زينةً للسماء)** كما قال جل وعلا﴿**وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا**﴾[فصلت:12]، قال (**ورجوماً للشياطين)** والآيات على ذلك كثيرة، قال(**وعلامات يهتدى بها**) حيث قال جل وعلا﴿**أَمَّن يَّهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ**﴾[النمل:63]، وقال جل وعلا(**وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**) ونحو ذلك من الآيات، فهي علامات يهتدى بها، يهتدى بها على أي شيء؟ أو يهتدى بها إلى أي شيء؟ يهتدى بها إلى الجهات جهة القبلة, جهة الشمال, جهة الغرب, جهة الشرق، يهتدى بها أيضا على الاتجاهات حيث تُعرف أن البلد الفلانية في

اتجاه النجم الفلاني، فإذا أراد السائر ليلا في البحر يتجه نحو اتجاه هذا النجم فيعلم أنه متجه إلى تلك البلدة ونحو ذلك مما أجرى الله سنته به.

قال(**فمن تأولَ فيها غير ذلكَ أخطأ وأضاعَ نصيبهُ وتكلف ما لا علم لهُ به**) وهذا صحيح؛ لأن النجوم خلق من خلق الله ولا نفهم سرها إلا بما أخبر الله جل وعلا به, فما أخبرنا به أخذناه، وما لم يخبر به فلا يجوز أن نكلف فيه ذلك، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام «**إذا ذُكر القدر فامسكوا، وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكرت النجوم فامسكوا**»، والمراد هنا بذكر النجوم يعني في غير ما جاء به الدليل، إذا ذكر القدر في غير ما جاءت به الأدلة فأمسكوا، وإذا ذكر أصحابي في غير ما جاء به من فضلهم وحسن صحابتهم وسابقتهم ونحو ذلك من الدليل فأمسكوا، وكذلك إذا ذكرت النجوم وما فيها بغير ما جاء به الدليل فأمسكوا؛ لأن ذلك ذريعة لأمور محرمة.

قال (وكره قتادة تعلم منازل القمر. ولم يرخص ابن عيينة فيه. ذكره حرب عنهما. ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق.) الله جل وعلا جعل القمر منازل كما قال ﴿**وَالقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالعُرْجُونِ القَدِيمِ**﴾ [يس:39]، له ثمان وعشرين منزلا ينزل في كل يوم منزلة منها, تعلم هذه المنازل هل هو جائز أم لا؟

منعه بعض السلف كراهة.

ورخص فيه طائفة من أهل العلم وهو الصحيح؛ لأنه جل وعلا امتن على عباده بذلك قال ﴿**[هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالقَمَرَ نُورًا وقَدَّرَهُ]** [1] **مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالحِسَابَ**﴾[يونس:5] وظاهر الآية أن حصول المنّة به في تعلمه وذلك دليل الجواز.

قال (وعن أبي موسى، قال رسول الله ﷺ: «[illegible]

[illegible] (**ومصدق بالسحر**) [illegible]

[illegible]

---

[1] الشيخ قال: والقمر قدرناه.

ذكرنا، يجب إنكاره على صعيد و يجب أيضا [illegible] مسلم [illegible] يُدخله بيته، [illegible] يقرأه [illegible]
يطلع عليه؛ [illegible] فيها، [illegible] معرفة [illegible]
[illegible] غير [illegible].

[illegible]

[illegible] سؤال [illegible] أنزل [illegible].

[illegible] يؤثِّم المرء [illegible] الجرائد [illegible] تعلمٍ [illegible].

[illegible]

باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

وقال الله تعالى ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:82].

وعن أبي مالك الأشعري [illegible]

[illegible]

[illegible]

فقوله رحمه الله (**باب ما جاء في الاستقاء بالأنواء**) يعني باب ما جاء في نِسْبَة السُّقيا إلى النوء، وعبَّر بلفظ الاستسقاء لأنه جاء في الحديث والاستسقاء بالنجوم.

ومناسبة هذا الباب لما قبله من الأبواب أن بالأنواء نوع من التنجيم لأنه نسبة السقيا إلى النجم؛ وذلك أيضا من السحر لأن التنجيم من السحر بمعناه العام.

ومناسبة ذلك لكتاب التوحيد أنّ الذي ينسب السقيا والفضل والنعمة الذي أتاه حينما جاءه المطر يَنسب ذلك إلى النوء وإلى النجم هذا ملتفتٌ قلبُه عن الله جل وعلا إلى غيره، ومتعلِّق قلبه بغيره، وناسبٌ النعمة إلى غير الله جل وعلا[1] ومعتقد أن النجوم أسباب لهذه المسبَّبات من نزول المطر ونحوه، وهذا منافٍ لكمال التوحيد فإن كمال التوحيد الواجب يوجب على العبد أن ينسب النعم جميعا إلى الله وحده وأن لا ينسب شيئا منها إلى غير الله ولو كان ذلك الغير سببا، فينسب النعمة إلى مُسديها ولو كان من أجرى الله على يديه تلك النعم سببا من الأسباب فإنه لا ينسبها إلى غير الله جل وعلى، كيف وأن النجوم ليست بسبب أصلا، ففي ذلك نوعان من التعدي:

أولا أنها ليست بأسباب.

والثاني أن يجعلها الله جل وعلا أسبابا وتُنسب النعم والفضل السقيا إليها.

وهذا مناف لكمال التوحيد وكفر أصغر بالله جل وعلا.

قال (وقال الله تعالى ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[الواقعة:82]) قال علماء التفسير: معنى هذه الآية وتجعلون شكر رزقكم، شكر ما رزقكم الله من النعم ومن المطر أنكم تكذبون بأن النعمة من عند الله بنسبتها لغير الله جل وعلا؛ تارة لنسبتها إلى غير الله جل وعلا. والواجب شكرا لنعم الله جل وعلا، وشكرا لله جل وعلا على ما رزق و أنعم وتفضّل أن تُنسب النعم جميعا إلى الله، وأن ينسب الفضل إلى الرب وحده دون ما سواه.

قال (وعن أبي مالك الأشعري [illegible]

[illegible]

---

(1) انتهى الشريط العاشر.

إذا نزل السماءُ رعيناه وإن ك
بأرض قوم غ

يعني إذا نزل المطر.

قال (فَلَمّا انْصَرَفَ) يعني من صلاة الصبح (أَقْبَلَ عَلَى النّاسِ فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبّكُمْ**؟» قَالُوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.) هذه من الكلمات التي تقال في حياته عليه الصلاة والسلام، وبعد وفاته عليه الصلاة والسلام فإذا سئل المرء عما لا يعلم فليقل لا أدري أو فليقل الله أعلم، ولا يقل الله ورسوله أعلم؛ لأن ذكر علم النبي عليه الصلاة والسلام مقيد بحياته الشريفة عليه الصلاة والسلام، (قَالَ: قَالَ: **أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ)** هنا قسم العباد إلى قسمين:

مؤمن بالله جل وعلا: وهو الذي نسب هذه النعمة وأضافها إلى الله جل وعلا، وشكر الله عليها، وعرف أنها من عند الله، فشكر ذلك الرزق وحَمِد الله وأثنى عليه به.

والصنف الثاني **كافر**: ولفظ كافر اسم فاعل الكفر أو اسم من قام به الكفر، وهذا قد يصدق على الكفر الأصغر أو الكفر الأكبر.

فهم انقسموا إلى مؤمنين وإلى كافرين.

الكافرون منهم من كفر كفرا أصغر، ومنهم من كفر كفرا أكبر:

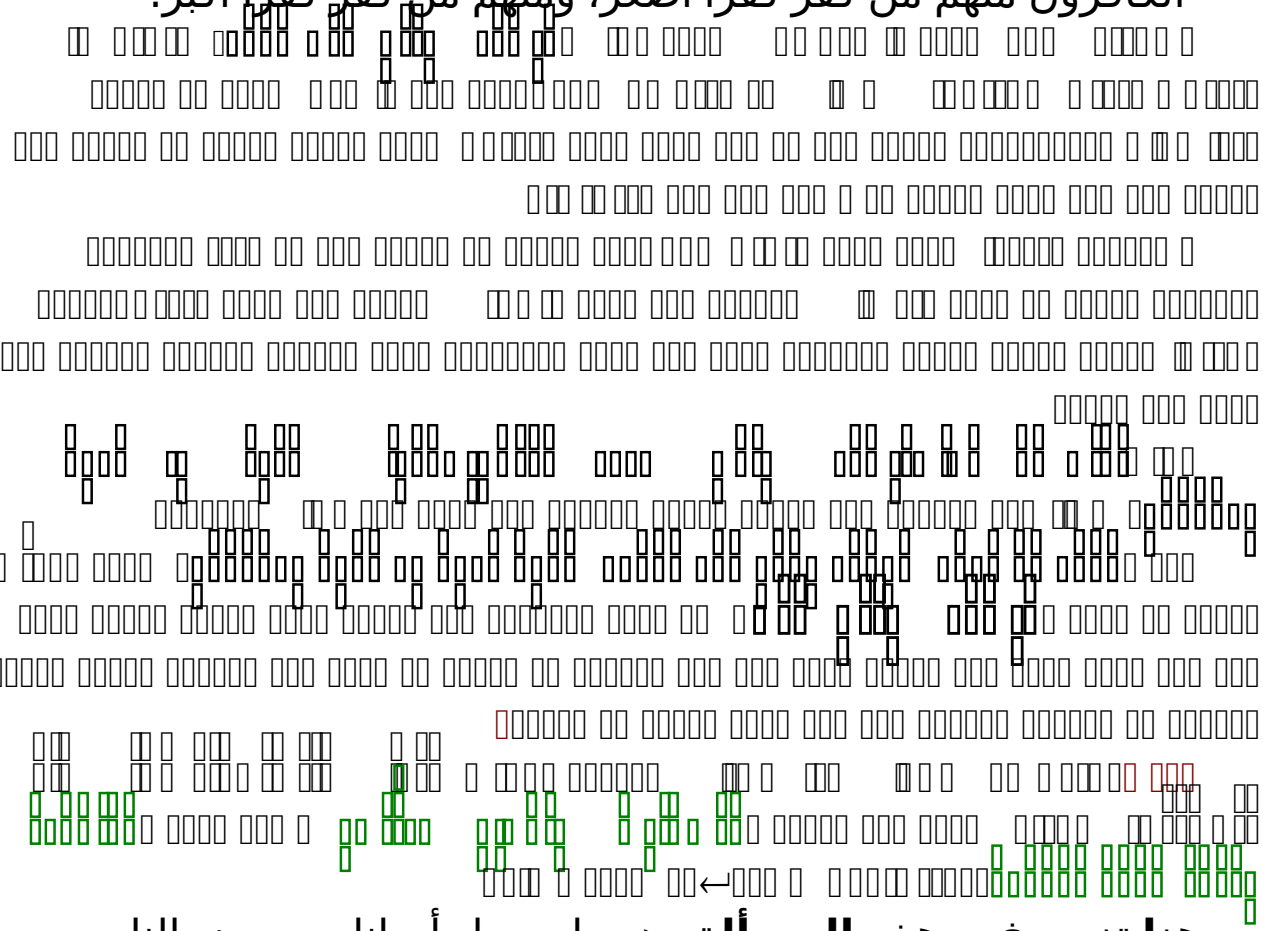

هنا تنبيه في هذه المسألة وهو ما يحصل أحيانا من بعض الناس من أنهم يقولون: في الوسم -مثلا- يأتي مطر، والوسم جاء معناه أن الرياح فيه مطر ونجم [السّهِيل] طلع فسيحصل كذا ونحو ذلك، فهذا القول بما علمتَ له حالات:

الحال الأولى أن يقول ذلك لأجل أن النجم أو البرج الذي أتى هو زمن جعل الله سنته فيه أنه يأتي فيه المطر، فإذا كان هذا القول بأن الوسم جاء معناه هذا وقت المطر، وإن شاء الله يجيء المطر ونحو ذلك، فهذا جعل للوسم زمنا وهذا جائز.

وأما إذا قال في ذلك الوسم جاء يأتي المطر أو طلع النجم الفلاني يأتينا كذا وكذا، بجعل هذا الفصل كالبرج أو ذلك النجم سببا، فهذا كفر، ونسبةٌ للنعمة لغير الله، واعتقاد تأثير أشياء لا تأثير لها.

فينبغي أن نفرق بين ما يستعمله العوام فيه أن المطر والبرد والصيف ونحو ذلك في تعلقه بالنجوم تعلق الزمن ووقت وظرف، وما بين نسبته للشرك والضلال الأفعال للنجوم إما استقلالا وإما على وجه التسبب.

•

باب قول الله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة:165]

وقوله ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾ [التوبة: 24].

عن أنس، أنّ رسول الله ﷺ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتّى أَكُونَ أَحَبّ إِلَيْهِ ... وَالنّاسِ أَجْمَعِينَ». أخرجاه.

«ثَلاَثٌ ... فِيهِ ... حَلاَوَةَ ... وَرَسُولُهُ ... الْمَرْءَ ... إِذْ أَنْقَذَهُ ...»

وفي رواية «... يجد أحد ...». إلى آخره

هذا الباب والأبواب التي بعده شروع من الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في ذكر العبادات القلبية وما يجب من أن تكون تلك العبادات لله جل وعلا، فهذا في ذكر واجبات التوحيد ومكملاته وبعض العبادات القلبية وكيف يكون إفراد الله جل وعلا بها.

وابتدأها بباب المحبة وأن العبد يجب أن يكون الله جل وعلا أحب إليه من كل شيء حتى من نفسه، وهذه المحبة المراد منها محبة العبادة، وهي المحبة التي فيها تعلُّقٌ بالمحبوب بما يكون معه امتثال للأمر رغبة واختيارا، ورغب إلى المحبوب، واجتناب النهي رغبة واختيارا، فمحبة العبادة هي المحبة التي تكون في القلب، يكون معها الرغب والرهب، يكون معها الطاعة, يكون معها السعي في مراضي المحبوب والبعد عما لا يحب المحبوب، والموحد ما أتى للتوحيد إلي بشيء وقر في قلبه من محبة الله جل وعلا لأنه دلته ربوبية الله جل وعلا وأنه الخالق وحده وأنه ذو الملكوت وحده وأنه ذو الفضل والنعمة على عباده وحده من أنه محبوب، وأنه يجب أن يُحب، وإذا أحب العبد ربه فإنه يجب عليه أن يوحده بأفعال العبد, أن يوحد الله بأفعاله -يعني أفعال العبد- حتى يكون محبا له على الحقيقة.

لذلك نقول: المحبة التي هي من العبادة هي المحبة التي يكون فيها إتباع للأمر والنهي ورغب ورهب.

ولهذا قال طائفة من أهل العلم المحبة المتعلقة بالله ثلاثة أنواع:

محبة الله [illegible] وصفنا، [illegible]

[illegible] **في** [illegible]

[illegible] الله يحب [illegible] يبغض [illegible]

[illegible] **مع** [illegible] لآلهتهم؛ [illegible]

[illegible] يعني [illegible]

[illegible] ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:97-98]،

قال العلماء: سووهم برب العالمين في المحبة بدليل هذه الآية، [illegible]

[illegible] الخلق والرزق وأفراد [illegible]

وقوله: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ [illegible] إلى [illegible] ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾ [illegible] [التوبة:24] [illegible]

[illegible] وأن [illegible] تكون [illegible] أعظم [illegible]

[illegible] شيء [illegible] أ [illegible]

[illegible] وهذا [illegible]

[illegible] غير [illegible] الكبائر [illegible] المحرمات [illegible]

[illegible]

[illegible] الصلاة [illegible]

[illegible] إذن في [illegible]

[illegible]

[illegible] عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ [illegible] وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» قوله ([illegible]) يعني الإيمان

الكامل [illegible] ([illegible]) [illegible] أن تكون

محابي مقدمة على محاب غيري فحتى نفسه [illegible] وأعظم [illegible]

[illegible] أجمعين [illegible] حديث [illegible] الصلاة و

[illegible] «[illegible] عمر [illegible] نفسك» [illegible]

الآن [illegible] «فالآن [illegible]»؛ [illegible]

[illegible]

[illegible] هذا [illegible] هؤلاء [illegible] مرضاة [illegible]

[illegible]

[illegible] شيخ [illegible] قاعدة في المحبة [illegible]:

[illegible]

[illegible] طالبا [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible].

قال ([illegible] ولهما عنه، قال: قال رسول ﷺ «ثَلاثٌ [illegible] حَلاوَةَ

[illegible] المَرْءَ [illegible]

[illegible] إِذْ أَنْقَذَهُ [illegible]»)

والاستدلال به ظاهر على أن محبة [illegible] يجب [illegible] تكون [illegible]

سواهما [illegible] الإيمان [illegible] بذلك.

ينفعهم عند الله فإنه سينقطع يوم القيامة ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ ... وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ [البقرة:166].

•

باب قول الله تعالى ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمْ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:175]

وقوله ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ المُهْتَدِينَ﴾ [التوبة:18].

وقوله ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ﴾[العنكبوت:10] **الآية.**

وعن أبي سعيد مرفوعاً: «**إن ... ضعف اليقين ... ترضي ... بسخط الله، ... تحمدهم على رزق ... تذمهم ... يؤتك ... يجره حرص ... كراهية ...**».

وعن عائشة رضي الله عنها، أن رسول ... قال: «**من التمس رضى الله بسخط الناس؛ رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ... عليه ...**» ... ابن حبان في صحيحه.

[الشرح]

(باب قول الله تعالى ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمْ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:175]) هذا الباب في بيان عبادة الخوف.

ومناسبته لكتاب التوحيد ظاهرة وهي أن خوف العبد من الله جل وعلا عبادة من العبادات التي أوجبها الله جل وعلا، فالخوف والمحبة والرجاء عبادات قلبية واجبة وتكميلها تكميل للتوحيد، والنقص فيها نقص في كمال التوحيد.

والخوف من غير الله جل وعلا ينقسم:

- إلى ما هو شرك.
- وإلى ما هو محرم.
- وإلى ما هو مباح.

فهذه ثلاثة أقسام:

<u>القسم الأول الخوف الشركي</u>: وهو خوف السر؛ يعني أن يخاف في داخله من هذا المخوف منه، وخوفه لأجل ما عند هذا المخوف منه مما يرجوه أو يخافه من أن يمسه سرا بشيء، أو أنه يملك له في آخرته ضرا أو نفعا:

- فالخوف الشركي متعلق في الدنيا بخوف السر بأن يخاف أن يصيبه ذلك الإله بشَرّ، وذلك شرك، وربما يأتي تفصيله.
- والخوف المتعلق بالآخرة؛ خاف غير الله، وتعلق خوفه بغير الله؛ لأجل ذلك؛ لأجل أنه والخوف أن لا ينفعه ذلك الإله في الآخرة، فلأجل رغبة في أن ينفعه ذلك الإله في الآخرة وأن يشفع له وأن يقربه منه في الآخرة وأن يبعد عنه العذاب في الآخرة خاف منه، فأنزل خوفه به.

فالخوف من العبادات العظيمة التي يجب أن يُفرد الله بها، وسيأتي مزيد تفصيل لذلك.

والخوف المحرم وهو القسم الثاني: وهو أن يخاف من مخلوق بامتثال واجب أو البعد عن محرم مما أوجبه الله أو حرمه، يخاف من مخلوق في أداء فرض من فرائض الله، يخاف من مخلوق في أداء واجب من الواجبات؛ لا يصلي خوفا من مخلوق، لا يحضر الجماعة خوفا من ذم المخلوق له أو استنقاصه له، فهذا محرم، قال بعض العلماء: وهذا من أنواع الشرك. يترك الأمر والنهي الواجب بشرطه خوفا من ذم الناس أو من ترك مدحهم له أومن وصمهم بأشياء، فهذا خوف رجع على الخائف بترك أمر الله, وهذا محرم؛ لأن الوسيلة إلى المحرم محرمة.

النوع الثالث الخوف الطبيعي المأذون به: وهذا أمر طبيعي كالخوف من عدو أو خوف من سَبُع, أو خوف من نار، أو خوف من مؤذي ومهلك ونحو ذلك.

قال (باب قول الله تعالى ﴿**إِنَّمَا ذَلِكُمْ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[آل عمران:175]) وجه الاستدلال من هذه الآية أنه قال (**فَلَا تَخَافُوهُمْ**) وهذا نهي والنهي للتحريم، ونهى عن إنزال عبادة الخوف بغيره وهذا يدل على أنه نهي عن أحد أفراد الشرك, قال (**وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**) وأمر بالخوف فدل أن الخوف عبادة من العبادات, وتوحيد الله بهذه العبادة توحيد، وإشراك غير الله معه في هذه العبادة شرك ولهذا قال (**فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**).

والخوف من الخلق -كما ذكرنا- في ترك فريضة الجهاد إنما يكون من جرّاء الشيطان، فالشيطان وهو الذي يخوف المؤمنين من أوليائه، ويخوف أهل التوحيد وأهل الإيمان من أعداء الله جل وعلا لكي يتركوا الفريضة، فلهذا صار ذلك الخوف محرما يعني الخوف من الأعداء الذي يترتب عليه ترك فريضة من فرائض الله -من الجهاد وغيره-.

والواجب أن لا يخاف العبد إلا ربه جل وعلا، وأن ينزل خوفه به، وأن لا يخاف أولياء الشيطان.

وقوله جل وعلا هنا(**إِنَّمَا ذَلِكُمْ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ**) معناها على الصحيح من التفسير أو على الراجح: يخوفكم أولياءه, يعني يخوف أهل الإيمان أولياء الشيطان, ففاعل (**يُخَوِّفُ**) محذوف دل عليه السياق، الفاعل هو الشيطان، يخوفُ الشيطانُ الناسَ أولياءَه؛ أولياء الشيطان؛ يعني يجعل الشيطان أهل التوحيد في خوف من أعدائهم، لهذا قال السلف في تفسيرها (**يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ**) يعني يخوفكم أولياءه، وهذا الظاهر من الآيات قبلها كقوله ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾[آل عمران:173].

قال الشيخ رحمه الله (وقوله﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ**﴾[التوبة:18])

وجه الدلالة من الآية قوله (**وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ**) وهذا نفي واستثناء ومرّ معنا أن مجيء أداة الاستثناء بعد النفي يدل على الحصر والقصر، فإذن الآية دالة بظهور على أن الخشية يجب أن تكون في الله، وأن الله أثنى على أولئك بأنهم جعلوا خشيتهم في الله وحده دون ما سواه، والخشية أخصّ من الخوف.

قال(**وقوله** ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ**﴾[العنكبوت:10] الآية**)** جعل فتنة الناس كعذاب الله بأن خاف منها وترك ما أوجب الله عليه أو أقدم على ما حرم الله عليه خشية من كلام الناس.

قال (وعن أبي سعيد مرفوعاً: «إنّ من ضعْف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمَدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يردُّه كراهية كاره») وجه الاستدلال بهذا الحديث قوله (**إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله**), (**من ضعف اليقين**) يعني من أسباب ضعف الإيمان والذي يضعف الإيمان المحرمات لأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية, فدلّ على أن إرضاء الناس بسخط الله معصية وذم ومحرم؛ لأن هذا الذي أرضى الناس بسخط الله خافهم أو رجاهم, هذا مناسبة إيراد الحديث في الباب.

قال (وعن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله قال**: «من التمس رضى الله بسخط الناس؛ رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس»**رواه ابن حبان في صحيحه) هذا جزاء الذي أفرد الله بعبادة الخوف، وجزاء الذي لم يُكْمِل التوحيدَ في عبادة الخوف، فالذي التمس رضى الله بسخط الناس هذا عظم الله وخافه, ولم يجعل فتنة الناس كعذاب الله, بل جعل عذاب الله أعظم فخاف الله وخشيه وطمع فيما عنده, ولم يلتفت إلى الناس ولم يرفع بهم رأسا, قال (**ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه و أسخط عليه الناس**) لأنه ارتكب ذنبا أن خاف الناس وجعل خوفه من الناس سببا لعمل المحرم أو ترك فريضة من فرائض الله، ولهذا قال (**من التمس رضى الناس بسخط الله**) فكان جزاءه أن سخط الله عليه, وأسخط عليه الناس.

نقف عند هذا وأسأل الله جل وعلا لي ولكم التوفيق والسداد وأن يثيبكم على طول مقام الجلوس، وهي أيام قليلة؛ لكن تكتسبون فيها إن شاء الله ما تقصرون به مدة القراءة في أشهر طويلة في ما لو فُرِّقت هذه الدروس وجُعلت في دروس كل أسبوع أو كل أسبوع درس أو درسين أو ثلاثة ربما لن تختم كتاب التوحيد إلا بعد زمن طويل، فهذه مدة أيام قليلة مدة أربعة أو خمسة، فثابروا واصبروا وجزاكم الله خيرا، ونفعكم بما علمتم وزادكم علما وعملا. والله ولي التوفيق. [1]

---

[1] انتهى الوجه الأول من الشريط الحادي عشر.

باب قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[المائدة:23]

وقوله ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[الأنفال:2].

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الأنفال: 64].

وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[الطلاق:3].

وعن ابن عباس، قال: (حسبنا الله ونعم الوكيل) قالها إبراهيم

[ ]

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

اللهم إنا نسألك علما نافعا وعملا صالحا.

اللهم نوّر قلوبنا بطاعتك, وألهمنا ذكرك، واجعلنا من الشاكرين لنعمك المتبعين لشرعك، يا أرحم الراحمين.

أما بعد:

فهذا (باب قول الله تعالى ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[المائدة: 23])، وهذا الباب عقده الإمام المصلح المجدد الشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله في هذا الكتاب العظيم كتاب التوحيد، عقده لبيان أنّ التوكل على الله فريضة من الفرائض وواجب من الواجبات، وأنّ إفراد الله جل وعلا به توحيدٌ، وأن التوكل على غير الله شرك مخرج من الملة.

والتوكل على الله شرط في صحة الإسلام، وشرط في صحة الإيمان، فالتوكل عبادة عظيمة، فعقد هذا الباب لبيان هذه العبادة.

وحقيقة التوكل على الله جل جلاله أن العبد يعلم أن هذا الملكوت إنما هو بيد الله جل وعلا يُصرِّفُه كيف يشاء، فيفوّض الأمر إليه ويلتجئ إليه بقلبه في تحقيق مطلوبه، وفي الهرب من ما يسوغه، يلتجئ في ذلك ويعتصم بالله جل جلاله وحده، فينزل حاجته بالله ويفوض أمره إلى الله، ثم يعمل السبب الذي أمر الله به.

فحقيقة التوكل في الشرع تجمع: تفويض الأمر إلى الله جل وعلا وفعل الأسباب؛ بل إنّ نفس الإيمان سبب من الأسباب؛ بل إن نفس الإيمان سبب من الأسباب التي يفعلها المتوكلون على الله؛ بل إن نفس التوكل على الله جل وعلا سبب من الأسباب.

فالتوكل حقيقته في الشرع تجمع عبادة قلبية عظيمة وهي تفويض الأمر إليه والالتجاء إليه، والعلم بأنه لا أمر إلا أمره ولا بشيء إلا بما قدره وأذن به

كونا، ثم فِعل السبب الذي أوجب الله جل وعلا فعله أو أمر بفعله، فترك فعل الأسباب ينافي حقيقة التوكل الشرعية، كما أن الاعتماد على السبب وترك تفويض الأمر إلى الله جل وعلا ينافي حقيقة التوكل الشرعية.

فالمتوكل في الشرع هو من عمل السبب وفوّض الأمر إلى الله جل وعلا في الانتفاع بالسبب وفي حدوث المسبَّب من ذلك السبب وفي بتوفيق الله وإعانته، فإنه لا حول ولا قوة إلا به جل وعلا.

والتوكل كما قال الإمام أحمد: عمل القلب. فالتوكل عبادة قلبية محضة، ولهذا صار إفراد الله جل وعلا بها واجبا، وصار صرفها لغير الله جل وعلا شرك.

و التوكل على غير الله جل وعلا له حالان:

الحال الأولى: أن يكون شركا أكبر، وهو أن يتوكل على أحد من الخلق فيما لا يقدر عليه إلا الله جل جلاله، يتوكل على المخلوق في مغفرة الذنب, يتوكل على المخلوق في تحصيل الخيرات الأخروية، أو يتوكل على المخلوق في تحصيل ولد له، أو تحصيل وظيفة له، يتوكل عليه بقلبه وهو لا يقدر على ذلك الشيء، وهذا يكثر عند عباد القبور وعُبّاد الأولياء فإنهم يتوجهون إلى الموتى بقلوبهم، يتوكلون عليهم؛ بمعنى يفوضون أمر صلاحهم فيما يريدون في الدنيا والآخرة على أولئك الموتى وعلى تلك الآلهة والأوثان التي لا تقدر من ذلك على شيء.

فهذا عبادة صرفت لغير الله جل وعلا وهو شرك أكبر بالله جل، مناف لأصل التوحيد.

النوع الثاني: أن يتوكل على المخلوق فيما أقدره الله جل وعلا عليه، يتوكل على مخلوق فيما أقدره الله عليه، وهذا نوع شرك؛ بل هو شرك خفي وشرك أصغر، ولهذا قال طائفة من أهل العلم: إذا قال توكلت على الله وعليك فإن هذا شرك أصغر، ولهذا قالوا لا يجوز أن يقول توكلت على الله ثم عليك؛ لأن المخلوق ليست له نصيب من التوكل إنما هو تفويض الأمر والالتجاء بالقلب إلى من بيده الأمر وهو الله جل وعلا، والمخلوق لا يستحق شيئا من ذلك.

فإذن التوكل على المخلوق فيما يقدر عليه هذا شرك خفي ونوع شرك أصغر.

والتوكل على المخلوق فيما لا يقدر عليه المخلوق، وهذا يكثر عند عباد القبور والمتوجهون إلى الأولياء والموتى، هذا شرك مخرج من الملة.

وحقيقة التوكل الذي ذكرناه لا يصلح إلا لله جل وعلا؛ لأنه تفويض الأمر إلى من بيده الأمر، والمخلوق ليس بيده الأمر, التجاء القلب وطمع القلب ورغب القلب في تحصيل المطلوب، إنما يكون ذلك ممن يملكه وهو الله جل وعلا، أما المخلوق فلا يقدر على شيء استقلالا، وإنما هو سبب، فإذا كان سببا لا يجوز التوكل عليه؛ لأن التوكل عمل القلب، وإنما يجعله سببا بأن يجعله شفيعا يجعل واسطة ونحو ذلك، فهذا لا يعني أنه متوكل عليه، فيجعل

المخلوق سببا فيما أقدره الله عليه ولكن يفوض أمر النفع بهذا السبب إلى الله جل وعلا، فيتوكل على الله ويأتي بالسبب الذي هو الانتفاع من هذا المخلوق بما جعل الله جل وعلا له من الانتفاع أو من القدرة ونحو ذلك.

قال الإمام رحمه الله (باب قول الله تعالى ﴿**وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[المائدة:23]) هذه الآية فيها الأمر بالتوكل، ولما أمر به علمنا أنه من العبادة، ولمّا قدم الجار والمجرور في قوله (**وَعَلَى اللَّهِ**) قدمه على ما يتعلق به وهو الفعل (**تَوَكَّلُوا**) دل على وجوب إفراد الله جل وعلا بالتوكل، وأن التوكل عبادة يجب أن تحصر وتقصر في الله جل وعلا, هذا وجه الدلالة من الآية.

ودليل آخر في هذه الآية وهو قوله (**إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ**) جعل الإيمان لا يصحّ إلا بالتوكل، قال (**وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا**) يعني أفردوا الله بالتوكل وحده إن كنتم مؤمنين، فجعل الشرط (**إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ**) فأفردوا الله بالتوكل، فجزاء الشرط هو إفراد الله بالتوكل. فصارت دلالة الآية من جهتين.

وكذلك قوله جل وعلا في آية سورة يونس ﴿**إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُم بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُم مُّسْلِمِينَ**﴾[يونس:84]، قال (**فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا**) أفرد التوكل به جل وعلا وأمر به، فقدم الجار والمجرور بما يفيد الحصر والقصر والاختصاص بالله جل وعلا، ثم جعل إفراد التوكل به جل وعلا شرط في صحة الإسلام فقال (**إِنْ كُنْتُم مُّسْلِمِينَ**).

فهذه الآيتان دلتا على أن التوكل عبادة وأن أفراد الله به جل وعلا واجب وأنه شرط في صحة الإسلام وشرط في صحة الإيمان، وهذا كله يدل على أن انتفاءه مُذْهب لأصل التوحيد ومناف لأصله إذا توكل على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله جل جلاله.

قال (وقوله ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾[الأنفال:2]) وجه الدلالة من الآية أنه وصف المؤمنين بهذه الصفات الخمس، وآخرها قوله (**وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**)، وظاهر من دلالة الآية حيث قدم الجارّ والمجرور على أنهم أفردوا التوكل بالله جل وعلا، فوصف المؤمنين بهذه الصفات فدل على أن هذه هي أعظم مقامات أهل الإيمان، وأن هذه العبادات الخمس هي أعظم المقامات، وهذا عظيم التنبه له إذْ كل أمور الدين والعبادات والفروع العملية التي يعملها العبد إنما هي فرع عن تحقيق هذه الخمس التي جاءت في هذه الآية (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**) وهذه الصفة تجمع الكلمات الشرعية وتجمع الدين جميعا؛ لأن ذكر الله فيه القرآن وفيه السنة.

قال (وقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأنفال:64])، قوله (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ**) يعني كافيك الله وكافي من اتبعك من المؤمنين؛ لأن الحَسْبَ هو الكافي، والكلمة المشابهة لها (حَسَب)، تقول: هذا بِحَسَبِ كذا؛ يعني بناءً على كذا، وأما الكافي فهو الحسْب بسكون السين, (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**) يعني كافيك

الله وكافي من اتبعك من المؤمنين. وجه مناسبة هذه الآية لهذا الباب أن الله حَسْب من توكل عليه، قال جل وعلا ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق:3]، فالله حسْبُ من توكَّل عليه، فدلّ أن الله جل وعلا أمر عباده بالتوكل عليه حتى يكون كافيهم من أعدائهم وحتى يكون جل وعلا كافي المؤمنين من المشركين.

قال جل وعلا **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ)** يعني كافيك الله، ولهذا أعقبها بالآية الأخرى وهي قوله جل وعلا **(وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)**.

والتوكل على الله جل وعلا -كما ذكرنا لك- يرجع إلى فهم توحيد الربوبية وإلى عظم الإيمان بتوحيد الربوبية، فإن بعض المشركين قد يكون عنده التوكل على الله الشيء العظيم، والتوكل على الله من العبادات التي تُطلب من المؤمن، ومن العبادات الواجبة والعبادات العظيمة.

لهذا نقول: إن إحداث التوكل في القلب يرجع إلى التأمل في آثار الربوبية، فكما كان العبد أكثر تأملا في ملكوت الله وفي السماوات والأرض وفي الأنفس وفي الآفاق، كان علمه بأن الله هو ذو الملكوت، وأنه هو المتصرف، وأن نصره لعبده شيء يسير جدا بالنسبة إلى ما يجريه الله جل وعلا في ملكوته، فيُعظم المؤمن بهذا التدبر الله جل وعلا، ويُعْظِم التوكل عليه، ويعظِّم أمره ونهيه، وينظر أن الله جل جلاله لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء سبحانه وتعالى.

قال (﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[الطلاق:3]) رتّب الحسْب -وهو الكفاية- بالتوكل عليه، وهذا فضيلة التوكل وفضيلة المتوكلين عليه.

قال (**وعن ابن عباس، قال: (حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد حين قالوا له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾**[آل عمران:173])، هذا يبين عظم الكلمة وهو قول المؤمن (**حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**)، فإذا تحقق العبد التوكل على الله وحققه في القلب معناه أنه حقق هذا النوع من التوحيد -توحيد التوكل في النفس-، فإن العبد إذا أعظم رجاءه في الله وتوكله على الله فإنه وإن كادته السماوات والأرض ومن فيهن فإن الله سيجعل له من أمره يُسرى وسيجعل له من بينها مخرجا، (**حَسْبُنَا اللَّهُ**) يعني كافينا الله (**وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**) يعني ونعم الوكيل ربنا, هذه كلمة عظيمة قالها إبراهيم عليه السلام في الكرب وقالها النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه في الكرب لما (**قَالَ لَهُمْ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا)** وذلك لعظم توكلهم على الرب جل وعلا. نعم.

•

باب قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[الأعراف:99]، وقوله: ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾[الحجر:56].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله سئل ؟

«الشرك بالله، ... »

«الكبائر ...»

والقنوط رحمة ... الرزاق

.

.

.

فالشيخ رحمه [illegible] عقد هذا الباب لبيان وجوب أن يجتمع [illegible] والرجاء [illegible] القلب، كما [illegible] بالأمن [illegible] متتالية [illegible].

[illegible] ([illegible] رضي [illegible]، أن [illegible] ﷺ سئل [illegible] الكبائر؟ فقال: « الشرك بالله، واليأس من روح [illegible]») [illegible]

[illegible] الرجاء؛ [illegible] الإتيان [illegible] الكبائر، [illegible].

[illegible] أعظم [illegible] الحديث ([illegible]: «[illegible]») [illegible] القنوط [illegible] إلى [illegible] الانتقال [illegible].

([illegible]: «[illegible] الكبائر: الشرك [illegible]، والقنوط من رحمة [illegible] والأمن [illegible]») [illegible] ظن [illegible] آخر، [illegible] الغالب [illegible] (القنوط من رحمة الله) [illegible].

[illegible]: [illegible].

[illegible]•[illegible]

باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

وقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٍ﴾[التغابن:11]، قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلّم.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ [illegible]: «[illegible]».

[illegible]: «[illegible]».

[illegible]«[illegible]».

[illegible]

(illegible)

- illegible
- illegible
- illegible

الصبر على المصائب واجب من الواجبات؛ لأن فيه ترك التسخط على قضاء الله وقدره.

والرضى هذا له جهتان:

[illegible]

(1) انتهى الشريط الحادي عشر.

قال) وعن أنس [illegible] رسول الله ﷺ قال: «إذا أراد الله بعبده الخير عجّل له العقوبة في الدّنيا, وإذا [illegible] الشّرّ أمسك [illegible] حتّى [illegible]»)

هذا فيه بيان حكمة [illegible] جوع لا التي إذا استحضرها المصاب [illegible] يعظم عنده [illegible] ويتحلى [illegible] التسخط [illegible] وقضائه؛ لأن [illegible]

[illegible] أُريد [illegible] عجّل في هذه الدنيا؛ [illegible] أثر العقوبة [illegible]

يكون بعشْ [illegible] أشياء: ومنها [illegible] تعجل [illegible]

[illegible] يغفر [illegible]

[illegible] ويتجاوز، [illegible]

[illegible] جاء [illegible] الحديث الآخر [illegible]

«من يرد الله به خيرا يُصِبْ [illegible]» [illegible]

يصَب [illegible] «[illegible]

[illegible] خبث [illegible]»

[illegible] نعم، [illegible]

[illegible] المؤمن.

[illegible]) [illegible] ﷺ «[illegible] عِظَمَ الْجَزَاءِ [illegible] قَوْماً [illegible], [illegible] رَضِيَ, [illegible] سَخِطَ [illegible]») [illegible] ([illegible]) [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ([illegible]) [illegible].

[illegible] الشيء [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]. [illegible]

[illegible]

باب ما جاء في الرياء

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:110].

وعن أبي هريرة مرفوعاً: «قَالَ اللّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىَ: أَنَا أَغْنَىَ الشّرَكَاءِ عَنِ الشّرْكِ, مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي, تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ». رواه مسلم

وعن أبي سعيد مرفوعاً: فَقَالَ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدّجّالِ؟» قالوا: بَلَىَ. فَقَالَ: «الشّرْكُ الْخَفِيّ: يَقُومَ الرّجُلُ يُصَلّي فَيُزَيّنُ صَلاَتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ إليه» رواه أحمد

[الشرح]

هذا (**باب ما جاء في الرياء**) يعني من الوعيد وأنه شرك بالله جل وعلا.

والرياء حقيقته من الرؤية وهي البصرية، وذلك أن يعمل عمل العبادة لكي يُرى أنه يعمل، يعمل العمل الذي هو من العبادة إما صلاة أو تلاوة أو ذكر أو صدقة أو حج أو جهاد أو أمر ونهي أو صلة رحم أو نحو ذلك لا لطلب ما عند الله؛ ولكن لأجل أن يُرى لأجل أن يراه الناس على ذلك فيثنوا عليه به، هذا هو الرياء.

وقد يكون الرياء في أصل الإسلام كرياء المنافقين.

فالرياء على درجتين:

الدرجة الأولى: رياء المنافقين بأن يُظهر الإسلام ويُبطن الكفر لأجل رؤية الخلق، وهذا منافي للتوحيد من أصله وكفر أكبر بالله جل جلاله لهذا وصف الله المنافقين بقوله﴿**يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾[النساء: 142]، (**يُرَاءُونَ النَّاسَ**) يعني الرياء الأكبر الذي هو إظهار أصل الإسلام وشعب الإسلام وإبطان الكفر وشعب الكفر.

والنوع الثاني من الرياء: أن يكون الرجل مسلما أو المرأة مسلمة ولكن يرائي بعمله أو ببعض عمله، فهذا شرك خفي، وذلك الشرك منافي لكمال التوحيد، والله جل وعلا قال ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾[1] على اختيار من قال إن قوله (**لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ**) يدخل فيه الشرك الخفي والأصغر.

قال الشيخ رحمه الله (باب ما جاء في الرياء وقول الله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾[الكهف:110]) قوله (**وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**) هذا نهي عن الإشراك، قال (**وَلَا يُشْرِكْ**) هذا نهي، والنهي هنا عام لجميع أنواع الشرك التي منها شرك الرياء، ولهذا يستدلّ السلف بهذه الآية على مسائل الرياء كما أوردها الإمام رحمه الله تعالى هنا؛ لأنه قال (**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**) يعني بما يشمل شرك المراءاة، فإن الرياء شرك وقوله (**وَلَا يُشْرِكْ**) وهذا عموم يعم أنواع الشرك جميعا؛ لأن (**يُشْرِكْ**) نكرة جاءت في سياق النهي فعمت أنواع الشرك, وقوله (**أَحَدًا**) يعم جميع الخلق بمراءاةٍ أو بتسمع أو بغير ذلك.

فدلالة الآية ظاهرة على الباب المراءاة نوع من أنواع الشرك الأصغر نوع من الشرك الخفي, تارة نقول الرياء شرك أصغر باعتبار أنه ليس بأكبر مخرج من الملة، وتارة نقول الرياء شرك خفي لأنه ليس بظاهر وإنما هو باطن خفي في قلب العبد، ولهذا تجد أن كثيرين من أهل العلم يعبرون عن الشرك الأصغر بيسير الرياء، وتارة يعبرون عن الشرك الخفي بالرياء؛ ذلك لأن الشرك يختلف من حيث الإطلاق -كما ذكرنا لكم في أول هذا الشرح- من

---

[1] النساء:48، 116.

عالم إلى آخر تارة يقسمون الشرك إلى أكبر وأصغر ومنهم من يقسمه إلى أكبر وأصغر وخفي، وكل له اصطلاحه وكل الأقوال صواب.

قال (وعن أبي هريرة مرفوعاً: «**قَالَ اللّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىَ: أَنَا أَغْنَىَ الشّرَكَاءِ عَنِ الشّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي, تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**») هذا الحديث يدل على أن الرياء مردود على صاحبه وأن الله جل وعلا لا يقبل العمل الذي خالطه الرياء، والعلماء فصّلوا في ذلك فقالوا: الرياء إذا عرض للعبادة فله أحوال:

فإما أن يعرض للعبادة من أولها، فإذا عرض للعبادة من أولها فإن العبادة كلها باطلة، مثل أن يصلي؛ أنشأ الصلاة لنظر فلان, لم يرد أن يصلي الراتبة لكن لما رأى فلانا ينظر إليه فصلى الراتبة لكي يراه, فهذا عمله حابط؛ يعني هذه الركعتين حابطة وهو مأزور على مراءاته ومرتكب الشرك الخفي, الشرك الأصغر.

والحال الثانية أن يكون أصل العبادة لله؛ ولكن خلط ذلك العابد عمله برياء مثلا أطال الركوع وأكثر التسبيح لأجل من يراه، أطال القراءة والقيام لأجل أن يراه فهذا القدر الواجب من العبادة له، وما عدا ذلك فهو حابط؛ لأنه راء في الزيادة على الواجب، فيحبط ذلك الزائد وهو آثم عليه، لا يؤجر عليه ويحبط ولا ينتفع منه، ويؤزر على إشراكه وعلى مراءاته، هذا في الأعمال أو في العبادات البدنية، أما العبادات المالية فيختلف الحال عن ذلك.

قال هنا (**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي, تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**) يعني بجميع أنواع المشرَكين وبجميع أنواع الأعمال، (**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً**), (**عَمَلاً**) هذه نكرة جاءت في سياق الشرط فعمت جميع الأعمال -الأعمال البدنية والأعمال المالية والأعمال التي اشتملت على مال وبدن-؛ البدنية كالصلاة والصيام، والمالية كالزكاة والصدقة، والمشتملة على بدن ومال كالحج والجهاد ونحو ذلك، هذا يعم الجميع (**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً**) يعني أنشأه, (**أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي**)؛ جعله لله ولغير الله جميعا فإن الله جل وعلا أغنى الشركاء عن الشرك، لا يقبل إلا ما كان له وحده سبحانه وتعالى.

قال (وعن أبي سعيد مرفوعاً: **فَقَالَ: «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدّجّالِ؟» قَالوا: بَلَىَ. فَقَالَ: «الشّرْكُ الْخَفِيّ: يَقُومَ الرّجُلُ يُصَلّي فَيُزَيّنُ صَلاَتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ إليه»**) هذا فيه بيان أن هذا النوع من الشرك هو أخوف من المسيح الدجال عند النبي على هذه الأمة؛ ذلك أن أمر المسيح أمر ظاهر بيّن والنبي عليه الصلاة والسلام بين ما في شأنه وبين صفته وحذر الأمة منه وأمرهم أن يدعوا آخر كل صلاة بالاستعاذة من شرّ المسيح الدجال ومن فتنة المسيح الدجال؛ لكن الرياء هذا يعرض للقلب كثيرا، والشيطان يأتي إلى القلوب، وهذا الشرك يقود العبدَ شيئا فشيئا عن مراقبة الله جل وعلا ويتجه إلى مراقبة المخلوقين، لذلك صار أخوف عند النبي من المسيح الدجال، ثم فسره بقوله (**السّرْكُ الْخَفِيّ: يَقُومَ الرّجُلُ يُصَلّي فَيُزَيّنُ صَلاَتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ**). نعم

باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وقال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ(15)أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[هود: 15-16].

وفي الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « تَعِسَ عبدُ الدّينار [illegible] الدّرهمِ [illegible] الخَميصةِ [illegible] الخميلة: إن أُعطيَ رضيَ وإن لم يُعطَ سَخِطَ [illegible] وانتكسَ وإذا شيكَ فلا انتُقِشَ [illegible] لعبدٍ آخذٍ [illegible] اللهِ، أشعثٍ [illegible] مغبرةٍ [illegible] الحراسةِ [illegible] يؤذنْ [illegible] ».

[illegible]

هذا [illegible] عظيم [illegible] أبواب [illegible] ترجمه [illegible] رحمه [illegible] بقوله [illegible]

[illegible]

قال (وقال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ(15)أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[هود: 15-16]) هذه الآية -آية سورة هود- مخصوصة بقوله تعالى ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾[الإسراء:18] فهي مخصوصة بمن شاء الله جل وعلا قال هنا (**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا**) يعني ممن أراد الله جل وعلا له ذلك، وممن شاءه الله، فهذا العموم الذي هنا مخصوص بآية الإسراء وآية سورة الشورى.

الذين يريدون الحياة الدنيا أصلا وقصدا وتحركا هم الكفار، ولهذا نزلت هذه الآية في الكفار؛ لكن لفظها يشمل كل من أراد الحياة الدنيا بعمله الصالح.

ولهذا جمع الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في رسالة له أحوال الناس فيها قال السلف تفسيرا لهذه الآية، وجعل كلام السلف يتناول أربعة أنواع من الناس كلهم يدخل في هذا الوعيد:

النوع الأول: ممن ركبوا هذا الشرك الأصغر وأرادوا بعملهم الحياة الدنيا؛ أنه يعمل العمل الصالح وهو فيه مخلص لله جل وعلا؛ ولكن يريد به ثواب الدنيا ولا يريد ثواب الآخرة. مثلا يتعبد الله جل وعلا بالصلاة وفيها مخلص لله أداها على طواعية واختيار وامتثال لأمر الله؛ لكن يريد منها أن يصح بدنه، أو وصل رحمه وهو يريد منه أن يحصل له في الدنيا الذكر الطيب والصلة ونحو ذلك، أو عمل أعمالا من التجارة والصدقات وهو يريد بذلك تجارة لكي يكون عنده مال فيتصدق وهو يريد بذلك ثواب الدنيا، فهذا النوع عمل العبادة امتثالا للأمر ومخلصا فيها لله؛ ولكنه طامع في ثواب الدنيا، وليس له همة في الآخرة، ولم يعمل هربا من النار وطمعا في الجنة، فهذا داخل في هذا النوع، وداخل في قوله (**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ**).

والأعمال التي يعملها العبد ويستحضر فيها ثواب الدنيا على قسمين:

القسم الأول: أن يكون العمل الذي عمله واستحضر فيه ثواب الدنيا وأراده ولم يرد ثواب الآخرة لم يرغِّب الشرع فيه بذكر ثواب الدنيا، مثل الصلاة والصيام ونحو ذلك من الأعمال والطاعات، فهذا لا يجوز له أن يريد به الدنيا ولو أراد به الدنيا فإنه مشرك ذلك الشرك.

والقسم الثاني: أعمال رتب الشارع عليها ثوابا في الدنيا ورغّب فيها بذكر ثوابا لها في الدنيا، مثل صلة الرحم وبر الوالدين ونحو ذلك وقد قال عليه الصلاة والسلام «**من سرَّه أن يُبسط له في رزقه ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه**»، فهذا النوع إذا استحضر في عمله حين يعمل هذا العمل استحضر ذلك الثواب الدنيوي، وأخلص لله في العمل، ولم يستحضر الثواب الأخروي، فهو داخل في الوعيد فهو من أنواع هذا الشرك؛ لكن إذا استحضر الثواب الدنيوي والثواب الأخروي معا، له رغبة فيما عند الله في الآخرة يطمع الجنة ويهرب من النار واستحضر ثواب هذا العمل في الدنيا، فإنه لا بأس بذلك؛ لأن الشرع ما رغب فيه بذكر الثواب في الدنيا إلا للحض عليه «**فمن قتل قتيلا فله سلبه**» فقتل القتيل في الجهاد لكي يحصل على السلب هذا؛ ولكن قصده من الجهاد الرغبة فيها عند الله جل وعلا مخلصا فيه لوجه الله، لكن أتى هذا من زيادة الترغيب له ولم يقتصر على هذه الدنيا، بل قلبه معلق أيضا بالآخرة، فهذا النوع لا بأس به ولا يدخل في النوع الأول مما ذكره السلف في هذه الآية.

النوع الثاني: مما ذكره السلف مما يدخل تحت هذه الآية (**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ**) أنه يعمل العمل الصالح لأجل المال، فهو يعمل العمل لأجل ما يحصّله من المال، مثل أن يدرس يتعلم العلم الشرعي لأجل الوظيفة فقط، وليس في همه رفع الجهالة عن نفسه ومعرفة العبد بأمر ربه ونهيه والرغب في الجنة وما يقرب منها والهرب من النار وما يقرب منها، فهذا داخل في ذلك، أو حفظ القرآن ليكون إماما في المسجد ويكون له الرَّزق الذي يأتي من بيت المال، فغرضه

من هذا العمل إنما هو المال، فهذا لم يعمل العمل صالحا، وإنما العمل الذي في ظاهره أنه صالح؛ ولكن في باطنه قد أراد به الدنيا.

والنوع الثالث: أهل الرياء الذين يعملون الأعمال لأجل الرياء.

والنوع الرابع: الذين يعملون الأعمال الصالحة ومعهم ناقض من نواقض الإسلام، يعمل أعمال صالحة يصلي ويزكي ويتصدق ويقرأ القرآن ويتلو؛ ولكن هو مشرك الشرك الأكبر، فهذا وإن قال إنه مؤمن فليس بصادق في ذلك؛ لأنه لو كان صادق لوحّد الله جل وعلا.

فهذه بعض الأنواع التي ذكرت بتفسير هذه الآية وكلها داخلة تحت قوله (**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا**) فهؤلاء جميعا أرادوا الحياة الدنيا وزينتها ولم يكن هَمْ في رضى الله جل وعلا وطلب الآخرة من أصله بذلك العمل الذي عملوه.

هنا إشكال أورده بعض أهل العلم: وهو أنّ الله جل وعلا قال في الآية التي تليها (**أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**) وأنّ هذه في الكفار الأصليين أو في من قام به مكفر، أما المسلم الذي قامت به أراد الدنيا فإنه لا يدخل في هذه الآية؟

والجواب: أنه يدخل لأن السلف أدخلوا أصناف من المسلمين في هذه الآية، والوعيد بقوله (**أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ**) فيمن كانت إرادته الحياة الدنيا فلم يتقرب إلى الله جل وعلا بشيء، (**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ**) فهؤلاء أرادوا الدنيا بكل عمل وليس معهم من الإيمان والإسلام مصحح لأصل أعمالهم، فهؤلاء مخلدون في النار، أما الذي معه أصل الإيمان وأصل الإسلام الذي يصح به عمله فهذا قد يحبط العمل؛ بل يحبط عمله الذي أشرك فيه وأراد به الدنيا، وما عداه لا يحبط لأن معه أصل الإيمان الذي يصحح العمل الذي لم يخالطه شرك.

فإذن فهذه الآية فيها الوعيد، وهذا الوعيد يشمل كما ذكرنا أربعة أصناف، وكما قال أهل العلم: إن العبرة هنا باللفظ لا بخصوص السبب، فهي وإن كانت في الكفار لكن لفظها يشمل من أراد الحياة الدنيا من غير الكفار.

قال (وفي الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « [illegible] ...)

[illegible]

باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أرباباً

وقال ابن عباس: **يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله**

بَعْدَ إِذْ [آل عمران:80] (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ):

«أليس يحرمون..»

[1]

---

(1) فاعلم أن الربوبية، والألوهية: يجتمعان، ويفترقان، كما في قـوله ﴿أعوذ بـرب النـاس، ملك الناس، إله الناس﴾ وكما يقال رب العالمين، وإلهّ المرسلين؛ وعند الإفـراد: يجتمعـان، كما في قول القائل: من ربك؟

مثاله: الفقير والمسـكين، نوعـان فـي قـوله: ﴿إنما الصدقات للفقـراء والمسـاكين﴾ [التوبة:60]، ونوع واحد في قوله: «**افترض عليهم صدقة، تؤخذ مـن أغنيـائهم، فـترد إلى فقرائهم**» إذا ثبت هذا، فقول الملكين للرجل في القبر: من ربك ؟ معناه من إلّهـك؛ لأن الربوبية التي أقر بها المشركون، مـا يمتحـن أحـد بهـا، وكـذلك قـوله: ﴿الذين أخرجـوا مـن ديارهم بغير حق إلا يقولوا ربنا الله﴾[الحج:40]، وقوله:﴿قل أغير اللـه أبغـي ربـاً﴾ [الأنعام:164]وقوله: ﴿إنّ الذين قالوا ربنا الله ثـم اسـتقاموا﴾[فصـلت:30- الأحقـاف:13].

فالربوبية في هذا، هي: الألوهية، ليست قسيمة لها، كما تكون قسيمة لها عند الاقتران؛ فينبغي: التفطن لهذه المسألة.[الدرر السنية الجزء الأول ص 106-107]

موضع من الفتاوى بنصه فذكر الإسناد والمتن،[1] وغالب [illegible] خرجوا [illegible] التوحيد قالوا [illegible]
الأثر [illegible] اللفظ، [illegible] جراءة [illegible]
[illegible] أنّ [illegible].

[illegible] اشتهر [illegible] (**يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول** [illegible] **الله** [illegible] **أبو** [illegible]) [illegible]
[illegible] ﷺ [illegible]
[illegible] كائنا [illegible] [2] [الحديث ظاهرا في الدلالة على ذلك، وكان القول الآخر لا دليل عليه، أما إذا كانت المسألة اجتهادية في الحديث من جهة الفهم، فهذا مجاله واسع، وابن عباس رضي الله عنهما يُحمل كلامه هذا على أن هؤلاء الذين قالوا له تلك المقالة، قالوا له: قال أبو بكر وعمر].[3] عارضوا قوله في المتعة بقول أبي بكر وعمر الذي هو مناقض لصريح قول النبي ﷺ [illegible]
[illegible]
[illegible] طائفة [illegible] وغيره؛ [illegible]
[illegible]
[illegible].

[illegible]
[illegible] ﷺ [illegible]
[illegible].

[illegible](وقال أحمد بن [illegible]: **عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته ويذهبون إلى رأي سفيان**) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أحد العلماء [illegible] وكان له مذهب [illegible] أتباع، [illegible] الإمام [illegible] (**عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته**) [illegible] تنازعوا [illegible] إلى [illegible] (**يذهبون إلى**

---

[1] قال أحمد أخبرنا عبدالرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن سالم قال سئل ابن عمر عن متعة الحج فأمر بها فقيل له إنك تخالف أباك فقال عمر لم يقل الذي تقولون إنما قال عمر إفراد الحج من العمرة فإنها أتم للعمرة أو أن العمرة لا تتم فى أشهر الحج إلا أن يهدي وأراد أن يزار البيت في غير أشهر الحج فجعلتموها أنتم حراما وعاقبتهم الناس عليها وقد أحلها الله وعمل بها رسول الله ﷺ فإذا أكثروا عليه قال أفكتاب الله أحق أن تتبعوا أم عمر وكان ابن عباس يأمر بها فيقولون إن أبا بكر وعمر لم يفعلاها فيقول يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول لكم قال النبى ﷺ وتقولون قال أبو بكر وعمر [ابن تيمية، مجموعة الفتاوى، دار الجيل، ط 1، 1418هـ-1997م، (م 13/ج 26/ص 31)]

[2] انتهى الوجه الأول من الشريط الثاني عشر.

[3] سقط من الأشرطة، ونقلته من تفريغ جامع ابن تيمية.

وهاتان الدرجتان هما [illegible] كلام شيخ الإسلام ابن تيمية على هذه الآية، [illegible] وأمثاله [illegible] حكم [illegible] والعصيان؛ [illegible] حرّم [illegible] فعلى [illegible].

[illegible]

[illegible] الطاعة [illegible] جاء أيضا [illegible] والطرق [illegible] الغلاة [illegible] تعظيم رؤسه [illegible] زعموا [illegible] والدلائل [illegible] ومقدَّمهم [illegible].

[illegible].

[illegible]

باب قول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً(60) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا(61) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء:60-62].

وقوله: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ**﴾ [البقرة:11].

وقوله: ﴿**وَ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[الأعراف:56].

وقوله: ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾[المائدة:50].

وعن عبد الله بن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حتى يَكونَ هواهُ تَبَعًا لما جِئْتُ بِهِ**». قال النووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب (الحجة)، بإسناد صحيح.[1]

---

[1] قال الشيخ صالح آل الشيخ عند شرحه لهذا الحديث في الأربعين النووية: هذا الحديث حديث مشهور؛ وذلك لكونه في كتاب التوحيد، قال عليه الصلاة والسلام (**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ**

وقال الشعبي: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي نتحاكم إلى محمد –لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة- وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود –لعلمه أنهم يأخذون الرشوة- فاتفقا أن يأتيا كاهنا في جهينة فيتحاكما إليه, فنزلت ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾الآية.

وقيل نزلت في رجلين اختصما, فقال أحدهما نترافع إلى النبي ﷺ, وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف ثم ترافعا إلى عمر, فذكر له أحدهما القصة. [illegible] للذي لم يرض برسول الله ﷺ: أكذلك؟ قال: نعم, [illegible].

[illegible]

هذا الباب من الأبواب العظيمة [illegible] في هذا الكتاب؛ [illegible] إفراد [illegible] جل [illegible] بالوَحدانية [illegible] يتضمن ويقتضي ويستلزم -[illegible]- أن يُفرد [illegible] الحكم [illegible] يتخاصم [illegible] وتعالى [illegible] ﴿فَالْحُكْمُ للهِ العَلِيِّ الكَبِيرِ﴾[غافر:12]، [illegible] ﴿إِنِ [illegible]﴾(2) [illegible] الطاعة [illegible] شهادة [illegible] محكِّمين [illegible] ﷺ [illegible].

[illegible] أنزل [illegible] فرض [illegible] غير [illegible] شرفي [illegible] جل [illegible].

[illegible]

[illegible] بالطاعة [illegible].

[illegible] (أَلَمْ تَرَ [illegible]

حتى يَكونَ هواهُ تَبَعًا لما جِئْتُ بِهِ) وهذا حديث حسن، كما حسنه هنا النووي، بل قال(حديث حسن صحيح)، وسبب تحسينه أنه في معنى الآية وهي قوله جل وعلا﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[النساء:65] وتحسين الحديث، بمجيء آية فيها معناه مذهبُ كثير من المتقدمين من أهل العلم كابن جرير الطبري، وجماعة من حذاق الأئمة والمحدثين.

(2) الأنعام:57، يوسف:40، 67.

إِلَى [illegible]

[illegible] أنْ [illegible]

[illegible] وزجر [illegible]

[illegible] يَزْعُمُونَ [illegible]

[illegible]

① [illegible]

② [illegible]

③ [illegible]

- [illegible]
- [illegible]

[illegible]

باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات

وقوله الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾[الرعد:30].

وفي صحيح البخاري: قال علي:حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يكذَّب الله ورسوله؟!.

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس: أنه رأى رجلا انتفض –لما سمع حديثا عن النبي ﷺ-

[illegible] متماثلا، [illegible]

[illegible] المخلوق [illegible] قُدِّر [illegible]

[illegible] شيئا [illegible]

[illegible] آثار [illegible] زيادة [illegible] ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180].

[illegible] (بل من جحد شيئا من الأسماء والصفات) [illegible]:

الجهة الأولى: [illegible].

والثانية: [illegible]

[illegible] (وقوله الله تعالى [illegible] [الرعد: 30] الآية) (1) [illegible]

[illegible]

---

(1) انتهى الشريط الثاني عشر.

[illegible]

[illegible]

قال (**وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس: أنه رأى رجلا انتفض –لما سمع حديثا عن النبي في الصفات, استنكارا لذلك- فقال: ما فَرَقُ هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمه, ويهلكون عند متشابهه**) هذا لما لم يعرف هذه الصفة انتفض لأنه فهم من هذه الصفة المماثلة أو التشبيه فخاف من تلك الصفة، والواجب على المسلم أنه إذا سمع صفة من صفات الله -في كتاب الله أو في سنة النبي - أن يجريها مُجرى جميع الصفات، وهو أن إثبات الصفات لله جل وعلا إثبات بلا تكييف, إثبات بلا تمثيل, فإثباتنا للصفات على وجه تنزيه الله جل وعلا عن المكيل والنظير في صفاته وأسمائه، فله من كل اسم وصفة أعلى وأعظم ما يشتمل عليه من المعنى، ولهذا قال ابن عباس هنا (**ما فرق هؤلاء؟**) يعني ما سبب خوف هؤلاء, لماذا فَرَقُوا؛ خافوا من هذه الصفة ومن إثباتها؟ (**يجدون رقة عند محكمه**) يعني إذا خوطبوا بالمحكم الذي يعرفون، المحُكم هو ما يعلم والذي يعلم هو سامعه، هذا هو المحكم، (**يجدون رقة عند محكمه**) يعني إذا خوطبوا بما يعلمونه وجدوا في قلوبهم رقة لذلك، (**ويهلَكون عند متشابهه**) فإذا سمعوا في الكتاب أو السنة شيئا لا تعقله عقولهم هلكوا عنده وخافوا وفَرَقُوا وأوَّلوا ونفوا أو جحدوا، وهذا من أسباب الظلال.

وهنا استعمل ابن عباس رحمه الله و استعمل كلمة (المحكم) وكلمة (المتشابه) يريد بها هنا:

المحكم الذي يُعلم؛ يعلمه سامعه.

والمتشابه الذي يشبه علمه على سامعه.

والقرآن والعلم جميعا والشريعة كلها محكمة، وكلها متشابهة، ومنها محكم ومنها متشابه، فهذه ثلاثة أقسام:

فالأول المحكم: كما قال جل وعلا**الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ(1)أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ**[هود:1-2]، فالقرآن كله محكم، بمعنى أن معناه واضح وأن الله جل وعلا أحكم فلا اختلاف فيه إلا بتباين، وإنما بعضه يصدق بعضا كما قال جل وعلا **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**[النساء:82].

والقرآن والشريعة أيضا متشابه كله: بمعنى أن بعضه يشبه بعضا فهذا الحكم وهذه المسألة تشبه تلك لأنها تسري معها في قاعدة واحدة، فنصوص الشريعة يصدق بعضها بعضا ويؤول بعضها إلى بعض، وقد قال جل وعلا **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ**[الزمر:23]، قال (**كِتَابًا مُتَشَابِهًا**) فالقرآن متشابه؛ يعني

بعضه يشبه بعضا، هذا خبر في الجنة وهذا خير الجنة، وبعض الأخبار يفصِّل بعضا, هذه قصة وهذه قصة, هذه تصدق وهذه وتزيدها تفصيلا، وهكذا في كل ما في القرآن.

والقرآن أيضا والشريعة والعلم منه محكم ومنه متشابه باعتبار ثالث: فالمحكم والمتشابه هنا هو الذي جاء في آية آل عمران ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**﴾[آل عمران:7]، منه محكم وهو الذي أتضح لك علمه، ومنه متشابه وهو الذي اشتبه عليك علمه، وبهذا نعلم بأن ليس عندنا في عقيدة أهل السنة والجماعة أتباع السلف الصالح ليس عندهم شيئا من المتشابه المطلق الذي لا يعلمه أحد، بمعنى أن ثمة مسألة من مسائل التوحيد أومن مسائل العمل يشتبه علمها على كل الأمة، هذا لا يوجد بل ربما اشتبه على بعض الناس وبعضهم يعلم المعنى، كما قال جل وعلا ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾[آل عمران:7] على أحدي وجهي الوقف.

فهذا المتشابه الموجود الذي هو قسيم للمحكم هذا يشتبه على بعض الناس، فإذا اشتبه عليك علم شيء من التوحيد أو من الشريعة فإن الواجب أن لا تفرق عنده وأن لا تخاف، وأن لا تتهم الشرع أو يقع في قلبك شيء من الزيغ لأن الذين يتبعون المتشابه بمعنى لا يؤمنون به فإن هؤلاء هم الذين في قلوبهم زيغ، وهذا هو الذي عناه ابن عباس ؓ حين قال(**يجدون رقة عند محكمه ويهلكون [illegible] متشابهه**) يريد بهذا الوجه من أن [illegible] يهلكون عند المتشابه [illegible] الزيغ [illegible] فيهم ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ [illegible] قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ [illegible] تَشَابَهَ [illegible] ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ [illegible]**﴾[آل عمران: 7]، [illegible] يستعملون [illegible] الطريقتين

- إما [illegible] الفتنة
- [illegible].

[illegible] يردّ [illegible] على [illegible] تصدق بعضها [illegible]

[illegible] الأئمة

كالخطابي [illegible]: **أن [illegible] في بعض الصفات [illegible] بعض [illegible] الذات يحتف [illegible]**

[illegible] ولما سمعت قريش [illegible] الله ﷻ يذكر الرحمن أنكروا [illegible] فأنزل [illegible]

[illegible]: ﴿[illegible]﴾[الرعد: 30] [illegible]

[illegible]

شاء [illegible].

[illegible]•[illegible]

باب قول الله تعالى ﴿**يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمْ الْكَافِرُونَ**﴾[النحل:83]

قال مجاهد ما معناه: هو قول الرجل: هذا مالي، ورثته عن آبائي.

وقال عون بن عبد الله: يقولون: لولا فلان، لم يكن كذا.

وقال ابن قتيبة: يقولون هذا بشفاعة آلهتنا.

وقال أبو العباس –بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه: «أن الله تعالى قال: **أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ**...» الحديث، وقد تقدم-: وهذا كثير في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به.

قال بعض السلف: هو كقولهم كانت الريح طيبة والملّاح حاذقاً، ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنة كثير.

[الشرح]

هذا الباب من الأبواب العظيمة في هذا الكتاب خاصة في هذا الزمن لشدة الحاجة إليه، وترجمه المصنف رفع الله مقامه في الجنة بقوله (باب قول الله تعالى ﴿**يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا**﴾[النحل:83]) فوصف الكفر في سورة النحل -التي تسمى سورة النِّعم- وصفهم بأنهم (**يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا**)، وإنكار النِّعمة بأن تنسب لغير الله، إنكارها بأشياء، ومن ذلك أن تُنسب إلى غير الله وأن يجعل المنفصل في النعمة غير الذي أسداها هو الله جل جلاله.

فالواجب على العبد أن يعلم: أن كل النعم من الله جل وعلا، وأن كمال التوحيد لا يكون إلا بإضافة كل نعمة إلى الله جل وعلا، وأن إضافة النعم إلى غير الله نقص في كمال التوحيد ونوع شرك بالله جل وعلا.

ولهذا تكون مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد أن ثمة ألفاظا يستعملها كثير من الناس في مقابلة النعم، أو في مقابلة اندفاع النقم، فيكون ذلك القول منهم نوع شرك بالله جل وعلا؛ بل شرك أصغر بالله جل وعلا.

فنبه الشيخ رحمه الله بهذا الباب على ما ينافي كمال التوحيد من الألفاظ، وأن نسبة النعم إلى الله جل وعلا واجبة.

قال (**يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا**)، أخذ بعض أهل العلم من هذه الآية أنّ لفظ المعرفة إنما يأتي في الذم، وأن النافع هو العلم، وأن المعرفة تستعمل في القرآن وفي السنة غالبا في ما يذم من أخذ المعلومات، كقول الله جل وعلا ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ**﴾[الأنعام: 20]، قوله في هذه الآية (**يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا**).

وهذا من جهة الأكثرية، وإلا فقد ورد أن المعرفة بمعنى العلم كما جاء في صحيح مسلم في حديث ابن عباس أن النبي [illegible] بعث [illegible] «

إنّكَ تَأْتِي قَوْماً أَهْلَ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ [illegible] تَدْعُوهُمْ [illegible] أن يعرفوا الله

فإن [illegible]» [illegible]

[illegible].

[illegible] شرك أصغر؛ [illegible]

[illegible]

[illegible] ([illegible]) [illegible]

ولهذا الواجب على العبد أن يوحد فيقول: لو [illegible] ثم [illegible] مرتبة [illegible] الوحيدة؛ [illegible] المسبب [illegible] المتفضل [illegible].

(لولا فلان لم يكن كذا) [illegible] (فلان) [illegible] كثرة الاستعمال، [illegible] (لولا) [illegible] طيارة [illegible] صناعتها-، [illegible] بشيء [illegible] خلق [illegible] إلى [illegible] غير [illegible] اللفظ، [illegible].

[illegible] (قال [illegible] قتيبة: [illegible] هذا بشفاعة آلهتنا) [illegible] فقالوا: الآلهة [illegible] شيئا [illegible] ويسنون [illegible].

[illegible] (وقال أبو العباس – بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه [illegible] تقدم-: [illegible] كثير [illegible] والسنة، [illegible] يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك [illegible]. [illegible]: [illegible] طيبة والملاّح حاذقاً [illegible] جارٍ [illegible].)

[illegible] يُذكر [illegible] ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى:11] [illegible].

باب قول الله تعالى ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:22]

وقال ابن عباس في الآية: الأنداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا، لآتانا اللصوص، ولولا البط في الدار، لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلاناً، هذا كله به شرك. رواه ابن أبي حاتم.

وعن عمر بن الخطاب [illegible] «[illegible]» [illegible]

بابٌ

الجاهز

الخطاب

قال

وعن

»

(

)

باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر، أن رسول الله

(ابن ماجه): مَاجَهْ أمه، وآخرها هاء وصلا ووقفا، فلا يقال: رواه ابن ماجةَ بسند حسن، أو روى ابن ماجة، هذا غلط.

والصواب أن تقول: وروى ابن ماجه بسند حسن؛ لأن الهاء هنا ليست لأجل السكون في التاء[1]، [وإنما هي أصلية في اسم أمه رحمه الله تعالى ورحمها.

هذا باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله، لما كان تعظيم الله جل وعلا في قلب العبد المؤمن واجبا، كان الرضى بكلام أكّد فيه الكلام بالحلف بالله كان ذلك مطلوبا ومأمورا به، ومن لم يقنع بالحلف بالله فقد فاته تعظيم الله جل وعلا وتعظيم شرعه.

والواجب أن يقنع بكلام حلف عليه بالله تعظيما لجلال الله جل وعلا كما قال: (آمنت بالله وكذبت عيني) فيمن حلف له بالله، فالواجب على العبد أن إذا حلف له بالله أن يرضى؛ لأن في ذلك تعظيما للرب جل وعلا.

(**باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله**):

 لفظ (**لم يقنع**) استفاد منه كثير من الشراح بأن المراد][2] بهذا الباب ما يكون عند توجّه اليمين على أحد المتخاصمين، فإنه إذا كان في الخصومة وتوجهت في اليمين بالدعوة، فإن الواجب على الآخر أن يقنع بما حَلَف به الآخر بالله جل وعلا، فخصوا ما جاء من الدليل وخص هذا الباب بمسألة في الدعاوي؛ يعني اليمين عند القاضي.

 وقال بعض أهل العلم: إن الحديث عام، والحديث حسنه طائفة من أهل العلم كما ذكر الشيخ رحمه الله، فقوله (**وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللّهِ فَلْيَرْضَ**) هذا عام في كل حلف سواء أن كان عند القاضي أو لم يكن عند القاضي، وهذا القول أوجه وأصوب ظاهرا؛ لأن سبب الرضى بالكلام الذي حلف عليه بالله التعظيم لله جل وعلا، فإن تعظيم الله في قلب العبد يجعله يصدّق من حلف له بالله ولو كان كاذبا؛ لكن له أن لا يبنيَ عليه؛ لكن يصدقه ولا يُظهر تكذيبا له لتعظيم الله جل وعلا، **مَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللّهِ فَلْيَرْضَ**، فليجعل توحيده وتعظيمه لله جل وعلا له، وكذب ذاك في الحلف بالله عليه.

 وقال طائفة من أهل العلم -وهذا هو الثالث-: إن هذا راجع إلى من عُرف صدقه في اليمين، أما من كان فاجرا فاسقا لا يبالي إذا حلف أن يحلف كاذبا فإنه لا يجب تصديقه؛ لأن تصديقه والحالة هذه مع قيام اليقين أو القرائن العامة بكذبه ليس بداخل في الحديث، لقوله في أول الحديث (**مَنْ حَلَفَ بِاللّهِ فَلْيَصْدُقْ. وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللّهِ فَلْيَرْضَ**) فتعلق قوله (**وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللّهِ فَلْيَرْضَ**) بما قبلها وهو قوله (**مَنْ حَلَفَ بِاللّهِ فَلْيَصْدُقْ**)، فتعلق (**مَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللّهِ فَلْيَرْضَ**) يعني فيمن كان صادقا، **(وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللّهِ)**, من لم يرض باليمين بالله، (**فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ**)، فيدل على أن فعله من الكبائر؛ لأن قوله (**لَيْسَ مِنَ اللّهِ**) هذا ملحق لفعله بالكبائر.

وهذا الباب فيه نوع تردد عند الشراح، والظاهر في المراد منه أن الإمام المصنف رحمه الله ذكره تعظيما لله جل وعلا، وقد ذكر في الباب قبله (من

---

[1] انتهى الوجه الأول من الشريط الثالث عشر.

[2] سقط من الأشرطة، وقد نقلته عن تفريغ جامع ابن تيمية.

حلف بغير الله) وأن حكمه أنه مشرك، فهذا فيه أن الحلف بالله يجب تعظيمه، وأن لا يحلف المرء بالله إلا صادقا، وأن لا يحلف بآبائه، وأن لا يحلف بغير الله، ومن حُلف له بالله فواجب عليه الرضى تعظيما لاسم الله وتعظيما لحق الله جل وعلا حتى لا يقع في قلبه استهانة باسم الله الأعظم وعدم اكتراث به أو بالكلام المؤكد به.

فصار عندنا -إذن-:

- أن كثيرا من أهل العلم جعلوا قول المصنف (باب ما جاء في من لم يقنع بالحلف بالله) أنه عند القاضي إذا توجه باليمين على أحد المتخاصمين.
- وأن طائفة من أهل العلم قالوا في قوله ومن حلف له بالله فليرض أن هذا عام في كل من حلف له بالله لأنه يجب عليه الرضى.
- وآخرون قالوا يُفَرَّق بين من ظاهره الصدق ومن ظاهره الكذب.

والله أعلم.

•

باب قول: ما شاء الله وشئت

عن قتيلة: أَنّ يَهُودِيّا أَتَى النّبِيّ

[illegible]

باب من سبّ الدهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾[الجاثية:24].

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي [illegible]

[illegible]

[illegible] ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ﴾ [illegible] نحس [illegible]
[القمر:19] ﴿يَوْمِ نَحْسٍ﴾ [illegible]
المقصود [illegible].

[illegible] يسوؤه، [illegible]
[illegible].

(وقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: 24]) [illegible] الآية ظاهرة [illegible] أن [illegible] ضلال [illegible]
[illegible].

(وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، [illegible]: «قال الله تعالى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ، [illegible]») [illegible]
(يَسُبُّ [illegible]) [illegible]
[illegible] شيئا [illegible] فسب الدهر [illegible]
[illegible] الزمان [illegible]
[illegible].

[illegible]
[illegible].

[illegible]

باب التَّسمِّي بقاضي القضاة ونحوه

وفي الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «[illegible]».

قَالَ سُفْيَانُ: مِثْلُ شَاهَانْ شَاهْ. وفي رواية: «أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَخْبَثُهُ». قوله: (أَخْنَعَ)، يعني: أَوْضَعَ.

[الشرح]

(**باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه**).

التوحيد يقتضي من الموحد المؤمن بالله جل وعلا أن يُعَظِّمَه، وأن لا يجعل مخلوقا في منزلة الله جل وعلا فيما يختصّ به، وتارة يجعل المخلوق من منزلة الله لشُبهة وصفٍ قام به أو شيء يكون عليه، ككون القاضي هو رئيس القضاة أو أعلم القضاة فيُجعل في اللفظ والتسمية قاضيا للقضاة.

فلهذا نبه الشيخ رحمه الله على أن التسمي بالأسماء التي معناها إنما هو لله جل وجلاله أن هذا لا يجوز، والتوحيد يقتضي أن لا يوصف بها إلا الله وأن لا يسمى بها إلا الله جل وعلا، فتسمية غير الله بتلك الأسماء -التي ستأتي- لا

تجوز ومحرم؛ بل هي أخنع الأسماء وأوضع تلك الأسماء وأبغض الأسماء إلى الله جل جلاله.

قال (**باب التَّسمِّي بقاضي القضاة ونحوه**) قوله (**التَّسمِّي**) يشمل ما إذا سمى نفسه أو سماه غيره به فرضي، أما إذا سماه غيره به فلم يرض فإنه لا يدخل في الذم لعدم الرضى، فإذا سُمي بذلك فيلحق الوعيد المسمي ومن رضي بذلك الاسم.

(**بقاضي القضاة ونحوه**) ونحو قاضي القضاة مثل: ملك الأملاك, شاهان شاه ونحو ذلك، القضاة كثيرون، قاضي القضاة هو الذي يقضي بين القضاة، تقول قاضي المسلمين؛ يعني الذي يقضي بين المسلمين، قاضي الرياض يعني الذي يقضي في الخصومات التي بين أهل الرياض، فقاضي القضاة لفظ حقيقة معناه الذي يقضي بين القضاة، وهذا إنما هو لله جل جلاله هو الذي يقضي بين العباد بين القضاة وبين العبيد، فهو قاضي القضاة على الحقيقة سبحانه وتعالى، **فيُخْبَر** عنه بذلك؛ لأن قاضي القضاة ليس من أسماء البشر، فالذي يقضي بين القضاة هو الله جل جلاله.

والذين أطلقوا هذه التسمية على كبير القضاة أو على كبير العلماء لا يعنون بها أن ذاك يقضي بين القضاة، وإنما يعنون بها أنه وصل إلى مرتبة في القضاء أو في العلم أعلى من درجة القاضي، فصار قاضي القضاة، كما شاع في الزمن المتأخر في الدولة العثمانية أنهم يسمون المفتي شيخ الإسلام، ووكيل المفتي وكيل شيخ الإسلام تسمية خاصة، وهذا انتشر في بلاد المسلمين -أعني التسمية بقاضي القضاة ونحوه- من نحو القرن الرابع الهجري إلى أوقات متأخرة قريبة من هذا الزمان.

فإذن الواجب على العبد أن لا يجعل هذه التسمية جارية على لسانه، ولا أن يرضى بها.

كذلك مالك الملاك أو شَاهَانْ شَاهْ؛ يعني ملك الأملاك، هذا فيه تسمية البشر بما يختص بالله، فإن الأملاك الذي يملكها هو الله جل وعلا، والأملاك واسعة، وإنما البشر يطلق عليه أنه مالك للشيء المعين، وليس مالكا لكل شيء، فالذي يملك كل شيء هو الله وحده، والبشر يملكون بالإضافة بعض الأشياء، وكذلك المُلك بالضم -وهو نفاذ الأمر والسيطرة- فإنه يكون في بعض الأرض وليس في كل الأرض، فالذي يملك يقال عنه ملك أو مالك إذا كان يملك مِلكا أو ملك إذا كان يملك مُلكا بمعنى نفاذ الأمر، ويضاف إلى بقعته، فيقال ملك المملكة العربية السُّعودية، ملك الأردن ونحو ذلك.

وأما الإطلاق العام، ملك الأملاك، أو شَاهَانْ شَاهْ، فإن الأملاك منها ما هو على الأرض، ومنها غير ذلك، وهذا إنما هو لله جل وعلا، فالتوحيد يوجب أن لا يتسمى بذلك أحد وأن لا يُرضى بتسمية أحد بذلك، حتى لو وجدته في بعض الكتب فلا تنقله كما وجدته، قد يغلط بعض الباحثين، وبعض طلبة العلم فينقل قولا عن بعض أهل العلم المتقدمين ممن يتجوزون في مثل هذه الألفاظ، وفيه قال قاضي القضاة كذا، وكان قاضي القضاة كذا ولا يغيره، والواجب أن

يغيره تعظيما لله جل وعلا، وأمانة النقل الذي يدعون هي في مرتبة دون توحيد الله جل وعلا بكثير كثير، فالواجب تغيير ذلك وهنا من توحيد الله وتغيير اشتراك غير الله اشتراك الخلف مع الله جل وعلا في حقه فيما يزعمه بعض الخلق.

قال هنا (وفي الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النّبِيِّ ﷺ: « [illegible]

[illegible]

باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبي شُرَيْحٍ، أنه كان يُكْنَى أبا الْحَكَم، فقال له النبي ﷺ: « [illegible]

[illegible]

(باب احترام أسماء الله تعالى)

[illegible]

وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ [illegible] فَإِنَّهَا [illegible] تَقْوَى الْقُلُوبِ [الحج:32]، [illegible] خَيْرٌ [illegible] عِنْدَ [illegible] [30 :[illegible]]

[illegible]

[illegible]

باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

وقول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾[التوبة:65].

عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة، دخل حديث بعضهم في بعض: أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائناً هؤلاء، أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عن اللقاء (يعني رسول الله [illegible]

[illegible]

هذا (**باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول**).

التوحيد الخالص في القلب؛ بل أصل التوحيد لا يجامع الاستهزاء بالله جل وعلا وبرسوله وبالقرآن؛ لأن الاستهزاء معارضة والتوحيد موافقة.

ولهذا قال بعض أهل العلم: الكفار نوعان:

- **معرضون** كمن قال الله فيهم ﴿**بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ**﴾[الأنبياء:24].
- **ومعارضون** وهم المجادلون أو الذين يعارضون بأنواع المعارضات لأجل إطفاء نور الله، ومن ذلك الاستهزاء ونحوه.

فالتوحيد استسلام وانقياد وقبول وتعظيم، والهُزأ والاستهزاء بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول هذا معارضة؛ لأنه مناف للتعظيم، ولهذا صار كفرا أكبر بالله جل وعلا، لا يصدر الاستهزاء بالله أو برسوله ﷺ أو بالقرآن من قلب موحد أصلا؛ بل لابد أن يكون إما منافقا أو كافرا مشركا.

قال (**باب من هزل**) الهزل خلاف الجد، وصفته أن يتكلم بكلام فيه الهزَل والاستهزاء والعيب إما بالله أو بالقرآن أو بالرسول ﷺ [illegible]

[illegible]

(1) انتهى الشريط الثالث عشر.

[illegible] الكفر يكون أكبر فيمن استهزأ إذا [illegible] بأحد الثلاثة [illegible] ونصت عليها الآية، [illegible] راجعا إلى [illegible] الثلاثة.

[illegible] استهزاء بشيء خارج [illegible] تفصيل. [illegible] فيُنظر [illegible]

ويقول يستهزئ [illegible] الملة؟ الجواب: لا؛ [illegible] فإذا علم أنه سنة [illegible] وأقر بذلك [illegible] النبي [illegible] ثم استهزأ؛ بمعنى استخف [illegible] بجهة [illegible] رجع [illegible] الاستهزاء [illegible].

[illegible] قد [illegible] القرآن [illegible].

فإن قيل: إذا سمع الاستهزاء أو قرأته:

- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]

[illegible] **وآياته** [illegible] **قَدْ** [illegible]

[illegible]

فالصواب في ذلك أنّ [illegible] المراد بهؤلاء [illegible] المنافقون، [illegible] التوحيد فإنه [illegible]
[illegible] الاستهزاء [illegible] لعلمنا [illegible] غير معظمٍ [illegible] أصلا؛ [illegible]
[illegible] يطرد [illegible] وقصة [illegible] ظاهرة [illegible]
فالواجب على [illegible] خاصة [illegible]
الكثيرين [illegible] بعض [illegible]
[illegible] شيء [illegible]
[illegible] القرآن [illegible]
[illegible] ★ **وإن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها** [illegible] **في سبعين خريفا** [illegible]
[illegible]
[illegible] نقول؟ ★ [illegible] **تكلك أمك معاذ،** [illegible] **على** [illegible] أو قل
[illegible] **حصائد** [illegible] مِمَّا
[illegible] الناس فاحذر [illegible]
[illegible]

باب قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [فصلت:50]

قال مجاهد: هذا بعملي، وأنا محقوق به. وقال ابن عباس: يريد: من عندي. وقال آخرون: علي علم من الله أني له أهل.

وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾[القصص:78]، قال قتادة: علي علم مني بوجوه المكاسب، وقال آخرون: على علم من الله أني له أهل، معني قول مجاهد: أوتيته على شرف.

وعن أبي هريرة ، أنه سمع النبي يقول : «**إِنّ ثَلاَثَةً من بَنِي إِسْرَائِيلَ. أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى فَأَرَادَ اللّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ. فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكاً. فَأَتَى الأَبْرَصَ فَقَالَ: أَيّ شَيْءٍ أَحَبّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنّي الّذِي قَدْ قَذِرَنِي النّاسُ. قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ. وَأُعْطِيَ لَوْناً حَسَناً وَجِلْداً حَسَناً. قَالَ: فَأَيّ الْمَالِ أَحَبّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ (أَوْ الْبَقَرُ. شَكّ إِسْحَـاقُ)[1] فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ. فَقَالَ: بَارَكَ اللّهُ لَكَ فِيهَا. قَالَ: فَأَتَى الأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيّ شَيْءٍ أَحَبّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنّي هَـذَا الّذِي قَذِرَنِي النّاسُ. قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ. وَأُعْطِيَ شَعَراً حَسَناً.**

(1) إلاّ أَنّ الأَبْرَصَ أَوِ الأَقْرَعَ قَالَ أَحَدُهُمَا: الإِبِلُ. وَقَالَ الآخَرُ: الْبَقَرُ. كما في صحيح مسلم.

فقَالَ: فَأَيّ الْمَالِ أَحَبّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ. فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلاً. فَقَالَ: بَارَكَ اللّهُ لَكَ فِيهَا. قَالَ: فَأَتَى الأَعْمَى فَقَالَ: أَيّ شَيْءٍ أَحَبّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدّ اللّهُ إِلَيّ بَصَرِي فَأُبْصِرَ بِهِ النّاسَ. فَمَسَحَهُ فَرَدّ اللّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ. قَالَ: فَأَيّ الْمَالِ أَحَبّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ. فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِداً. فَأُنْتِجَ هَـذَانِ وَوَلّدَ هَـذَا. فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ. وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ. وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ.

قَالَ: ثُمّ إِنّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ. قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي. فَلاَ بَلاَغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلاّ بِاللّهِ ثُمّ بِكَ. أَسْأَلُكَ, بِالّذِي أَعْطَاكَ اللّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ, بَعِيراً أَتَبَلّغُ بِهِ فِي سَفَرِي. فَقَالَ: الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ. فَقَالَ لَهُ: كَأَنّي أَعْرِفُكَ. أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النّاسُ؟ فَقِيراً فَأَعْطَاكَ اللّهُ عزّ وجلّ المَالَ؟ فَقَالَ: إِنّمَا وَرِثْتُ هَـذَا الْمَالَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ. فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِباً, فَصَيّرَكَ اللّهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا. وَرَدّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدّ عَلَى هَذَا. فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَصَيّرَكَ اللّهُ إِلَى مَا كُنْتَ.

قَالَ: وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ. انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي. فَلاَ بَلاَغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلاّ بِاللّهِ ثُمّ بِكَ. أَسْأَلُكَ, بِالّذِي رَدّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ, شَاةً أَتَبَلّغُ بِهَا فِي سَفَرِي. فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدّ اللّهُ إِلَيّ بَصَرِي. فَخُذْ مَا شِئْتَ. وَدَعْ مَا شِئْتَ. فَوَاللّهِ لاَ أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ شَيْئاً أَخَذْتَهُ لِلّهِ. فَقَالَ: أَمْسِكْ مَالَكَ. فَإِنّمَا ابْتُلِيتُمْ. فَقَدْ رضِيَ الله عَنْكَ وَسُخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ.» أخرجاه.

[الشرح]

هذا الباب كالأبواب التي قبله في بيان وجوب تعظيم الله جل وعلا في الألفاظ، وأن النعم تُنسب إليه وأن يشكر عليها فتعزى إليه، ويقول العبد هذا أنعم الله علي به، والكذب في هذه المسائل أو أن يتكلم المرء بكلام ليس موافقا للحقيقة، أو هو مخالف لما يعلمه من أن الله جل وعلا أنعم عليه بذلك، هذا قد يؤديه إلى المهالك وقد يسلب الله جل وعلا عليه النعمة بسبب لفظه، فالواجب على العبد أن يتحرز في ألفاظه خاصة بما يتصل بالله جل وعلا أو بأسمائه وصفاته أو بأفعاله وإنعامه أو بعدله وحكمته، هذا ويجب على العبد أن يكون متحرزا في ذلك، والتحرز في ذلك من كمال التوحيد؛ لأنه لا يصدر التحرر إلا من قلب معظّم لله، مجلّ لله، مخبت لله؛ يعلم أن الله جل جلاله مطّلع عليه, وأنه سبحانه هو ولي الفضل وهو ولي الإنعام وهو الذي يستحق أن يجَلّ فوق كل جليل، ويستحق أن يُحب فوق كل محبوب، وأن يُعظّم فوق كل معظم.

فالله جل جلاله يجب توقيره وتعظيمه في الألفاظ، ومن ذلك ما يقوله الشيخ هذا الباب حيث قال (باب قول الله تعالى: ﴿**وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي**﴾[فصلت:50]، قال مجاهد في تفسيرها: هذا بعملي وأنا محقوق به)؛ يعني نسب النعمة إلى نفسه أو نسب استحقاق النعمة إليه وأنه يستحق ذلك وأن الله جل وعلا لم يتفضل عليه بهذا الشيء, أو أنه تفضل عليه لأنه مستحق لهذا الإنعام، مستحق للمال، مستحق للجاه, مستحق لرفعة القدر عند الناس، فصار إليه ذلك الشيء؛ من المال والرفعة

والسمعة الطيبة لأنه مستحق لذلك الشيء بفعله وجهده ونحو ذلك، مما قد يطرأ على قلوب ضعفاء الإيمان وضعفاء التوحيد.

والواجب أن يعلم العبد أنه فقير غير مستحق لشيء على الله جل وعلا، وأنه الله هو الرب المستحق على العبد أن يشكره وأن يذكره وأن ينسب النعم إليه، وأما العبد فليس مستحقا في الدنيا لحق واجب على الله جل وعلا، إلا ما أوجبه الله جل وعلا نفسه.

فهذا الذي قال: هذا بعملي وأنا محقوق به. يعني بعد أن أتته رحمة من بعد الضراء قال (هذا بعملي وأنا محقوق به) وهذا يدخل فيه كثير مما يحصل في ألفاظ الناس، كقول الطبيب مثلا هذا الذي حصل من شفاء المريض هذا بسبب عملي، أو نجاحي وتولي هذا الأمر هذا بسبب جهدي وبسبب تعبي، مما يجعل أن فعل الله جل وعلا فيه ذلك بسبب استحقاقه، أو أن ينسى الله جل وعلا وينسب الأشياء إلى نفسه, ولهذا قال (**وقال ابن عباس: يريد: من عندي**) يعني هذا لي، يقول من عندي أنا الذي أتيت بهذا المال أو بهذه النعمة، وهذا من عندي ولم يُتفضل علي به.

إذن فدخل في هذا الوصف الذي جاء في الآية نوعان من الناس:

[illegible]

[illegible]

باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف:190]

قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله، كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب.

وعن ابن عباس في الآية، قال: لما تغشاها آدم، حملت، فأتاهما إبليس، فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة، لتطيعاني أو لآجعلن له قرني أيِّل، فيخرج من بطنك، فيشقه، ولأفعلن، يخوفهما، سمياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتا. ثم حملت، فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتا، ثم حملت فأتاهما، فذكر لهما، فأدركهما حب الولد، فسمياه عبد الحارث، فذلك قوله: ﴿**جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا**﴾[الأعراف:190]. رواه ابن أبي حاتم

وله بسند صحيح عن قتادة، قال: شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته.

وله سند صحيح عن مجاهد، في قوله: ﴿**لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَالِحاً**﴾[الأعراف: 189]، قال: أشفقا أن لا يكون إنساناً. وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما.

[الشرح]

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فهذا الباب ترجمه المصنف الإمام رحمه الله تعالى بقوله (باب قول الله تعالى: ﴿**فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَالى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[الأعراف:190]) فمناسبة هذا الباب للأبواب قبله أنه وتلك الأبواب بمعنى واحد وذلك المعنى أن شكر النعمة لله جل وعلا فيما أنعم به يقتضي أن تُنسب إليه جل وعلا، وأن يحمد عليها ويثنى عليه بها، وأن تستعمل في مراضيه جل وعلا، وأن يتحدث بنعمة الله، فالذي ينسب النعم إلى نفسه، هذا لم يحقق التوحيد، فإنه جمع بين ترك تعظيم الله جل وعلا وما بين ادعاء شيء ليس له، كذلك الذي يعتقد في غيره الذي هو المنعم عليه كقول القائل: لو لا فلان لم يكن كذا، أو نحو تلك العبارات التي تدخل في قوله تعالى ﴿**فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[البقرة:22] وفي قوله ﴿**يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا**﴾[النحل:83]، هذه وأمثالها راجع إلى عدم شكر النعمة، ومن شكر النعم أن الله جل وعلا إذا أنعم على عبد يولد وجعله سليما معافى ورزقه بتلك النعمة التي هي نعمة الولد أنْ يشكر الله عليها.

ومن عدم شكر النعمة تلك ونسبتها إلى غير الله أن يُعبِّد الولد لغير الله جل وعلا، فإن هذا مضاد للاعتراف بأن المنعم ذلك الولد هو الله جل وجلاله، وقد يصل ذلك إلى حد الشرك الأكبر إذا عَبَّد الولدَ لولي أو لعبد صالح، وهو يعني حقيقة العبودية التي هي أن هذا عبد لذاك؛ لأن ذاك إله، كمن يعبد لبعض المشايخ فيقول عبد السيد ويعنون به السيد البدوي، ويقولون عبد زينب وعبد علي وعبد عمرو، ونحو ذلك من الأسماء التي فيها اعتقادات.

فمن عبد لغير الله جل وعلا فإن هذا ينافي شكر النعمة، ولهذا أتبع الشيخ رحمه الله هذا الباب الأبواب قبله لما يشترك معها في هذا المعنى، وأن

الواجب على العبد أن يحقق التوحيد وأن لا ينسب النعم لغير الله جل وعلا، وإن وقعت منه ذلك فيجب عليه أن يبادر بالتوبة وأن لا يقيم على ذلك.

قال (باب قول الله تعالى: ﴿**فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَالى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[الأعراف:190]) قوله (**فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَالِحاً**) الضمير هنا يرجع إلى آدم وحواء، والذي عليه عامة السلف أن القصة في آدم وحواء حتى قال الشارح الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: فإن نسبة ذلك إلى غير آدم وحواء هو من التفاسير المبتدعة. والذي يعرفه السلف أن الضمير يرجع إلى آدم وحواء، وسياق الآية لا يقتضي غير ذلك إلا بأوجه من التكلف، ولهذا قال الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله اعتمد هذا الذي عليه عامة السلف ففسر هذه الآية بأن المراد بها آدم وحواء، (**فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا**) يعني آتى اللهُ آدمَ وحواء صالحا، وقوله (**صَالِحاً**) يعني من جهة الخلقة؛ لأنه كان يأتيهما ولد فيموت أو يكون معيبا فيموت، فالله جل وعلا رزقهما هذا الولد الصالح السليم في خلقته السليم في بنيته، وكذلك هو صالح لهما من جهة نفعهما، قال جل وعلا (**جَعَلا لَهُ**)، (**جَعَلا**) يعني آدم وحواء (**لَهُ**) يعني لله جل وعلا، (**شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا**)، وكلمة (**شُرَكَاءَ**) جمع الشريك، والشريك في اللغة هو المقصود بهذه الآية يعني هذه الآية فيها لفظ الشركاء، والمقصود بها معنى الشركة في اللغة، ومعنى الشركة في اللغة اشتراك اثنين في شيء، فجعلا لله شركاء فيما آتاهما؛ حيث سميا ذلك الولد عبد الحارث، والحارث هو إبليس ذلك أن إبليس كما سمعتم في القصة هو الذي قال إن لم تسمياه عبد الحارث لأفعلن ولأفعلن ولأجعلن له قرني أيِّل وهو ذكر الوعل، وفي هذا تهديد بأن يشق بطن الأم فتموت ويموت أيضا الولد، فلما رأت حواء ذلك وأنها قد مات لها عدة بطون فأطاعت الشيطان في ذلك، فصارت الشركة شركة في الطاعة، وآدم وحواء عليهما السلام قد أطاع الشيطان من قبل حيث أمرهما بأن يأكلا من الشجرة التي نهاهما الله جل وعلا عنها، فوقوع طاعة الشيطان من آدم وحواء عليما السلام, وقوع ذلك منهما لم يكن هذه هي أول مرة كما جاء في الحديث أن النبي عليه الصلاة والسلام قال «**خدعهما مرتين**» وهذا هو المعروف عند السلف.

فيكون -إذن- قوله (**شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا**) من جهة التَّشريك في الطاعة، ومعلوم أن كل عاص هو مطيع للشيطان، وكل معصية لا تصدر من العبد إلا وثَم نوع تشريك حصل في الطاعة، لأنه إما أن يطيع هواه وإما أن يطيع الشيطان، ولهذا قال شيخ الإسلام وغيره من المحققين: إنه ما من معصية يعصي بها العبد ربه إلا وسببها طاعة الشيطان أو طاعة الهوى؛ وذلك نوع تشريك. وهذا الذي حصل من آدم وحواء عليهما السلام فهذا لا يقتضي نقصا في مقامهما، ولا يقتضي شركا بالله جل وعلا، وإنما هو نوع تشريك في الطاعة، والمعاصي جائزة -يعني المعاصي الصغار- جائزة على الأنبياء كما هو معلوم عند أهل العلم، فإن آدم نبي مكلم، وصغار الذنوب جائز على الأنبياء ولا تقدح في كمالهم؛ لأنهم لا يستقيمون عليها بل يسرعون وينيبون إلى الله

جل وعلا، ويكون حالهم بعد ما وقع منهم ذلك أعظم من حالهم قبل أن يقع منهم ذلك؛ لأنهم يكون لهم مقامات إيمانية واعتراف بالعبودية أعظم وخضوع بين يدي الله أعظم، ومعرفة بتحقيق ما يجب لله جل وعلا وما يستحب أعظم.

إذن هذه القصة كما ذكرنا صحيحة، وآثار السلف الكثيرة تدل عليها، والسياق أيضا سياق الآيات في آخر سورة الأعراف يدل عليها.

والإشكال الذي أورده بعض أهل التفسير من المتأخرين في أن آدم وحواء جعلا لله شركاء هذا نص الآية ولا يمنع؛ ولأن التشريك هنا تشريك كما قلنا فيما يدل عليه المعنى اللغوي ليس شركا أصغر، وليس -وحاشاهم- شركا أعظم من ذلك وإنما هو تشريك في الطاعة، كما قال جل وعلا ﴿**أَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً**﴾[الفرقان:43]، وكما قال أيضا في آية أخرى ﴿**أَفرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ**﴾[الجاثية: 23]، فكل من جعل هواه متَّبعا فقد جعله مطاعا، وهذا نوع تأليه؛ لكن ولا يقال عبد غير الله أو أله أشرك أو شرك بالله جل وعلا؛ لكن هو نوع تشريك، فكل طاعة للشيطان أو للهوى فيها هذا النوع من التشريك، إذْ الواجب على العبد أن يعظم الله جل وعلا وأن لا يطيع إلا أمره جل وعلا وأمر رسوله ﷺ.

[illegible]

قال الإمام (**قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله، كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب**) قول ابن حزم (**اتفقوا**) يعني أجمعوا، يعني أجمع أهل العلم -فيما علمه هو- أن التعبيد لغير الله محرم؛ لأن فيه إضافة النعمة لغير الله وفيه أيضا إساءة أدب مع الربوبية والإلهية فإن تعبيد الناس لغير الله جل وعلا هذا غلط من جهة المعنى وأيضا فيه واهتضام أو نوع اهتضام لمقام الربوبية، ولذلك حَرُم في هذه الشريعة هذه التسمية؛ بل وفي شرائع الأنبياء جميعا، فاتفق أهل العلم على ذلك وأن كل اسم معبد لغير الله كعبد عمر وعبد الكعبة وعبد علي وغير ذلك من الأسماء فإن هذا محرم ولا يجوز وما أشبه ذلك.

قال (**حاشا عبد المطلب**)، قوله (**حاشا عبد المطلب**) يعني لم يجمعوا عليه فإن من أهل العلم من قال تكره التسمية بعبد المطلب ولا **تحرم**؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال في غزوة حنين

أنا النبي لا كذب

وقالوا جاء في أسماء الصحابة من اسمه عبد المطلب ولهذا قالوا لا يحرم، وهذا القول ليس بصحيح في أن عبد المطلب تكره التسمية به ولا تحرم، وما استدلوا به ليس بوجيه وذلك أن قول النبي عليه الصلاة والسلام

أنا النبي لا كذب

هذا من جهة الإخبار، والإخبار ليس فيه تعبير مباشر بإضافة ذلك المخلوق إلى غير خالقه، وإنما هو إخبار وباب الإخبار أوسع من باب الابتداء كما هو معلوم.

وأما تسمية بعض الصحابة بعبد المطلب، فالمحققون من الرواة يقولون إن من سمي بعبد المطلب صحة اسمه المطلب بدون التعبيد؛ ولكن نقلت لعبد المطلب لأنه شاع التسمية بعبد المطلب دون المطلب فوقع خطأ في ذلك، وبحث هذه المسائل ومحله كتب الحديث وكتب الرجال فنمر عن ذلك.

وقال بعده (وعن ابن عباس في [معنى] الآية، قال: لما تغشاها آدم، حملت، فأتاهما إبليس، فقال: إني صاحبكما) إلى آخر القصة، قال (فذلك قوله: ﴿**جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا**﴾[الأعراف:190]. رواه ابن أبي حاتم، وله بسند صحيح عن قتادة، قال: شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته.)

وهذا دليل على التفريق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة.

الشرك في العبادة كفر أكبر مخرج من الملة.

أما الشرك في الطاعة فله درجات يبدأ من المعصية والمحرم وينتهي بالشرك الأكبر، فالشرك في الطاعة درجاته كثيرة، ليس درجة واحدة، فيحصل شركا في الطاعة فتكون معصية، ويحصل شرك في الطاعة فيكون كبيرة، ويحصل شرك في الطاعة ويكون كفر أكبر ونحو ذلك.

أما الشرك في العبادة فهو كفر أكبر بالله جل جلاله.

ولهذا فرق أهل العلم بين شرك الطاعة وشرك العبادة، مع أن العبادة مستلزمة للطاعة، والطاعة مستلزمة أيضا للعبادة؛ لكن ليس في كل درجاتها.

قال (**وله سند صحيح عن مجاهد، في قوله**: ﴿**لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَالِحاً**﴾ [الأعراف:189]) يعني في الآية قبلها ﴿**لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾[الأعراف:189]، (**قال: أشفقا أن لا يكون إنساناً**) يعني خافا أن يكون له كما قال الشيطان له قرنا أيّل أو خلقته مختلفة أو يخرج حيوانا أو قردا أو نحو ذلك، فقال (**لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَالِحاً**) يعني ولدا صالحا سليما من الآفات، سليما من الخلقة المشينة، فوعد أن يكون من الشاكرين فلما آتاهما صالحا عبّد ذلك

للحارث خوفا من أن يكون الشيطان يتسلط عليه بالموت أو الإهلاك أخذتهما شفقة الوالد على الولد، فكان ذلك خلاف شكر تلك النعمة؛ لأن من شكر نعمة الولد أن يعبَّد الولد لله الذي أنعم به وأعطاه وتفضَّل به. نعم

•

باب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ الآية[الأعراف:180]

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس: ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾[الأعراف:180]: يشركون.

وعنه: سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز. وعن الأعمش: يدخلون فيها ما ليس منها.

[الشرح]

(باب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأعراف:180]) هذا الباب في وجوب تعظيم أسماء الله الحسنى، وأن من تعظيمها أن لا يُلحد فيها وأن يدعى الله جل وعلا بها.

والأسماء الحسنى هي الحسنة البالغة في الحسن نهايته، فالخلق يتسمون بأسماء لكن قد لا تكون حسنة أو قد تكون حسنة ولكن ليست بالغة في الحسن نهايته؛ لأن الحُسن في الأسماء يكون راجعا إلى أنّ الصفة التي اشتمل عليها ذلك الاسم تكون حقا فيمن تسمى بها، ويكون قد بلغ نهاية ذلك الوصف، والإنسان لو تسمى باسم فيه معنى فإنه لا يُنظر فيه إلى أن المعنى قد اشتملت عليه خصاله، فيسمى صالحا وقد لا يكون صالحا، ويسمى خالدا وقد لا يكون خالدا، ويسمى محمدا وقد لا يكون كثير خصال الحمد، وهكذا فإن الإنسان قد يسمى بأسماء لكن قد تكون في حقه حسنى.

والله جل وعلا له الأسماء الحسنى البالغة في الحسن نهايته، وهي الأسماء المشتملة على الصفات صفات الكمال والجلال والجمال والقدرة والعزة والجبروت وغير ذلك، وله من كل اسم مشتمل على صفة أعلى وأعظم الصفة والمعنى الذي اشتملت عليه الصفة، والناس وأهل العلم إذا فسروا الأسماء الحسنى فإنما تقريب ليدلوا الناس على أصل المعنى، أما المعنى بكماله فإنه لا يعلمه أحد إلا الله جل جلاله، ولهذا[1] [قال عليه الصلاة والسلام في دعائه:«**لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**».

فالناس حين يفسرون أسماء الله جل وعلا فإنهم يفسرون ذلك بما يُقَرِّب إلى الأفهام المعنى، أما حقيقة المعنى على كماله فإنهم لا يعونه؛ لأن ذلك من الغيب، وكذلك الكيفية فإنهم لا يعونها؛ لأن ذلك من الغيب.

---

[1] انتهى الوجه الأول للشريط الرابع عشر.

فالله جل وعلا له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، ومن الأسماء ما لا يكون حسنا][1] إلا بقيد مثل الصانع والمتكلم والمريد والفعال أو الفاعل ونحو ذلك، فهذه الأسماء ولا تكون كمالا إلا بقيد:

في أن يكون متكلما بما شاء إذا شاء، بما تقتضيه الحكمة وتمام العدل، فهذا يكون محمودا، ولهذا ليس من أسماء الله المتكلم.

كذلك الصانع قد يصنع خيرا، وقد يصنع غير ذلك، والله جل وعلا ليس من أسمائه الحسنى الصانع لاشتماله على هذا وهذا، فإذا أطلق من جهة الخبر فيعني به ما يقيد بالمعنى الذي فيه كمال.

كذلك فاعل أو فعّال، فإن الفعال قد يفعل أشياء لا توافق الحكمة، وقد يفعل أشياء لا يريدها؛ بل مجبر عليها، والكمال أن يفعل ما يريد ولا يكون مجبرا لكمال عزته وقهره، ولهذا قال الله جل وعلا عن نفسه ﴿**فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ**﴾[2]، لأن تقييد كونه فعالا لما يريد هذا هو الكمال.

فيه أشياء كثيرة من ذلك معروفة في مباحث الأسماء والصفات.

وأسماء الله الحسنى تنقسم باعتبارات من جهة المعنى.

قال طائفة من أهل العلم:

إن منها **أسماء الجمال**: وأسماء الجمال لله جل جلاله هي الأسماء المشتملة على حسن في الذات أو حسن في المعنى وبِرٍّ بالعباد والمخلوقين، فيكون من أسماء الجمال صفات الذات، واسم الله الجميل، ويكون من أسماء الجمال البر والرحيم والودود ونحو ذلك والمحسن وما أشبه ذلك.

ومن **أسماء الله ما هو من الجلال**: يقال هذه أسماء الجلال، وأسماء الجلال لله هي التي فيها ما يدل على جلال الله، وهو عظمته وعزته جل وعلا وجلاله حتى يجل مثل القهار والجبار والقدير والعزيز ونحو ذلك والمقيت وأشباه هذه الأسماء فهذه أسماء الجلال.

وهناك أسماء في تقسيمات مختلفة تُطلب من كلام ابن القيم رحمه الله أو من كلام الشراح.

فإن المقصود -إذن- أنّ العبد المؤمن الموحد أن يتعرَّف إلى الله جل وعلا بأسمائه وصفاته، ولا يتم حقيقة التوحيد في قلب العبد حتى يعلم أسماء الله جل وعلا ويعلم صفات الله جل وعلا، فإن العلم بها تتم به حقيقة التوحيد.

والعلم بها على مراتب:

منها أن يعلمها إثباتا؛ يعني يثبت ما أثبت الله لنفسه، وما أثبته له رسوله ﷺ، فيؤمن أن هذا الاسم من أسماء الله، وأن هذه الصفة من صفات الله جل وعلا.

والثاني أن يسأل الله جل وعلا بأسماء الله وصفاته بما يوافق مطلوبه؛ لأن الأسماء والصفات نتعبد لله جل وعلا بها بأن فادعوه بها -كما جاء في هذه الآية وسيأتي بين ذلك إن شاء الله-.

---

[1] سقط من الأشرطة، وقد نقلته عن تفريغ جامع ابن تيمية.

[2] هود:107، البروج:16.

الثالث من الإيمان بالأسماء والصفات أن ينظر إلى آثار أسماء الله وصفاته في الملكوت، فإذا نظر إلى الأسماء والصفات في الملكوت وتأمل ذلك علم أن كل شيء ما خلا الله باطل، وأن الحق الثابت اللازم هو الله جل وعلا، وأن سوى الله هو الباطل وزائل وآيل إلى الهلاك، ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾[القصص:88].

قال (**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**) اللام هنا في قوله (**وَلِلَّهِ**) هي لام الاستحقاق؛ يعني الأسماء الحسنى البالغة في الحسن نهايته مستحَقة لله جل وعلا والله مستحق ذلك، قال (**فَادْعُوهُ بِهَا**) يعني إذا علمتم أن الله هو المستحق لذلك وآمنتم بذلك فادعوه بها وهذا أمر، وقوله (**فَادْعُوهُ بِهَا**) الدعاء هنا فُسر بالثناء والعبادة وفسر بالسؤال والطلب، وكلاهما صحيح، فإننا ندعو الله بها يعني نحمده ونثني عليه بها، فنعبده متوسلين إليه بهذه الأسماء والصفات، بالأسماء الحسنى واشتملت عليه من الصفات العلا، والثاني أن نسأل بها؛ يعني إذا كان لنا مطلوب نتوجه إلى الله فنسأله بتلك الأسماء بما يوافق المطلوب، فإذا سألنا الله المغفرة نأتي بصفات الجمال، إذا سألنا الله النصرة نأتي بصفات الجلال، وهكذا فيما يتناسب، وهناك تفصيلات أيضا لهذا الأمر.

المقصود أن قوله جل وعلا (**فَادْعُوهُ بِهَا**) يعني اسألوه بها أو أعيدوه وأثنوا عليه بها جل وعلا، فيشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة.

والباء في قوله (**بِهَا**) يعني متوسلين بها، هي باء الوسيلة.

(**وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ**)، (**ذَرُوا**) يعني أتركوا، وهذا يعني أن المسلم واجب عليه أن يبتعد عن حال الذين يلحدون في أسماء الله جل وعلا، والإلحاد في أسماء الله هو الميل والعدول بها عن حقائقها إلى ما لا يليق بالله جل وعلا.

وهذا الإلحاد مراتب:

من مراتب الإلحاد في أسماء الله وصفاته أن يسمى البشر المعبودين يسميهم بأسماء الله، كما سموه اللات من الإله، والعزى من العزيز، ونحو ذلك.

ومن الإلحاد في أسماء الله أن يجعل لله جل وعلا ولد، وأن يضاف المخلوق إليه إضافة الولد إلى والده، كحال النصارى ذا نوع من الإلحاد في أسماء الله جل وعلا في صفاته.

ومن الإلحاد إنكار الأسماء والصفات، أو إنكار بعض ذلك، كما فعلت الجهمية الغلاة فإنهم لا يؤمنون باسم من أسماء الله ولا بصفة من صفات الله إلا الوجود والموجود؛ لأن هذه الصفة هي التي يستقيم معها برهانهم بحلول الأعراض عن الأجسام ودليل ذلك على الوحدانية كما هو معروف في موضعه.

ومن الإلحاد أيضا والميل بها عن الحق الثابت الذي يجب لله جل وعلا فيها أن تؤول وتصرف عن ظاهرها إلى معاني لا يجوز أن تصرف إليها، فيكون ذلك من التأويل.

والواجب الإيمان بالأسماء والصفات، وإثبات الأسماء والصفات، واعتقاد ما دلت عليه، وترك التعرض لها بتأويل ونحوه، وهذا قاعدة السلف؛ فنؤمن بها ولا نصرفها عن حقائقها بتأويل أو بمجاز أو نحو ذلك، كما فعل المعتزلة وفعلته الأشاعرة والماتريدية وطوائف.

كل هذا نوع من أنواع الإلحاد.

وإذا تقرر ذلك فيكون الإلحاد -إذن- منه ما هو كفر ومنه ما هو بدعة بحسب الحال الذي ذكرنا.

فالحال الأخيرة وهي التأويل وادعاء المجاز في الأسماء والصفات هذه بدع وإلحاد لا يصل بأصحابه إلى الكفر، أما نفي وإنكار ومجد الأسماء والصفات كحال الجهمية فهذا كفر، وهكذا فعل النصارى ومشركي العرب.

قال (ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس: ﴿**يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ**﴾[الأعراف: 180]: يشركون.) يعني يجعلون اللات من الإله، فينادون اللات وعندهم أنهم نادوا الإله فصار شركا.

قال (وعنه: سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز. وعن الأعمش: يدخلون فيها ما ليس منها.) وهذه مرتبة من مراتب الإلحاد في الأسماء؛ لأن الله جل وعلا له الأسماء الحسنى، فمن أدخل اسما لم يثبت في الكتاب والسنة أنه من أسماء الله فقد ألحد؛ لأنه مال وعدل عن الحق الذي يجب في الأسماء والصفات إلى غيره، والحق هو أن تُثبِت لله ما أثبته لنفسه إذْ لا أحد أعلم بالله من الله جل جلاله وتعاظم شأنه، وكذلك لا أحد أعلم من الخلق بالله جل وعلا من رسوله محمد ﷺ [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

●

[الأسئلة]

[س/ نرى عبارة مكتوبة على بعض السيارات: يا رضى الله ورضاالوالدين.

ج/ قوله (يا رضى الله ورضى الوالدين) فيها غلط من جهتين:

الجهة الأولى: أنه نادى رضى الله، ومناداة صفات الله جل وعلا بـ(يا) النداء لا تجوز؛ لأن الصفة في هذا المقام غير الذات في مقام النداء؛ ولهذا إنما ينادى الله جل وعلا المتصف بالصفات، وقد نصّ شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على البكري، وغيرُهُ من أهل العلم على أن مناداة الصفة محرم

بالإجماع، فإذا كانت الصفة هي الكلمة -كلمة الله جل وعلا- كان كفرا بالإجماع؛ لأن من نادي الكلمة يعني بها عيسي عليه السلام فيكون تأليها لغير الله -جل وعلا، ورضى الله جل وعلا صفة من صفاته، فلا يجوز نداء الصفة.

والمؤاخذة الثانية: في تلك الكلمة أنه جعل رضى الوالدين مقرونا برضى الله جل وعلا بالواو، والأنسب هنا أن يكون العطف بـ(ثُمّ)، يقول: مثلا أسأل الله رضاه ثم رضى الوالدين، وإن كان استعمال الواو في مثل هذا السياق لا بأس به؛ لأن الله جل وعلا قال ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ المَصِيرُ﴾[لقمان:14]، وقال جل وعلا ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[الإسراء:23] ولأن الواو هنا تقتضي تشريكا في أصل الرضى، وهذا الرضى يمكن أن يكون من الوالدين أيضا، فيكون التشريك بأصل المعنى لا المرتبة، نعم.[1]]

●

باب لا يقال: السلام على الله

في الصحيح عن ابن مسعود [illegible]

[illegible]

(1) من الوجه الثاني من الشريط السادس.

[illegible]

باب قول: اللهم اغفر لي إن شئتَ

في الصحيح عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «لاَ يَقُلَ أَحَدُكُمُ: اللّهُمّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ. اللّهُمّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ. لِيَعْزِمْ المسألةَ, فَإِنَّ اللهَ لاَ مُكْرِهَ لَهُ». ولمسلم: «وَلْيُعَظِمِ الرّغْبَةَ. فَإِنّ اللّهَ لاَ يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ».

[الشرح]

قال (**باب قول: اللهم اغفر لي إن شئتَ**) حقيقة التوحيد أن يوحِّد العبد ربَّه جل وعلا بتمام الذل والخضوع والمحبة وأن يتضرع إلى الله جل وعلا ويتذلل إليه في إظهار فقره التام إليه وأنّ الله جل وعلا هو الغني عما سواه.

وقول القائل (**اللهم اغفر لي إن شئت**)، يفهم منه أنه مستغن عن أن يغفر له كما يأتي العزيز أو المتكبر من الناس فيقول للآخر لا يريد أن يتذلل له فيقول افعل هذا إن شئت يعني إن فعلت ذلك فحسن وإن لم تفعل فلست بملحٍّ عليك ولست بذي إكرام فهو مناف, هذا القول مناف لحاجة الذي قالها إلى آخر، ولهذا كان فيها عدم تحقيق للتوحيد، ومنافاة لما يجب على العبد في جناب ربوبية الله جل وعلا أن يظهر فاقته وحاجته لربه، وأنه لا غنى به عن مغفرة الله وعن غنى الله وعن عفوه وكرمه وإفضاله ونِعمه طرفة عين.

فقول القائل (**اللهم اغفر لي إن شئت**) كأنه يقول: لست محتاجا، إن شئت فاغفر، وإن لم تشأ فلست بمحتاج. وهذا فعل أهل التكبر وأهل الإعراض عن الله جل وعلا ولهذا حرم هذا اللفظ وهو أن يقول أحد: اللهم اغفر لي إن شئت.

ولهذا ساق الحديث قال (في الصحيح عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ يَقُلَ أَحَدُكُمُ: اللّهُمّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ. اللّهُمّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ. لِيَعْزِمْ المسألةَ, فَإِنَّ اللهَ لاَ مُكْرِهَ لَهُ**»، ولمسلم: «**وَلْيُعَظِمِ الرّغْبَةَ. فَإِنّ اللّهَ لاَ يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ**») قوله (**لِيَعْزِمْ المسألةَ**) يعني ليسأل سؤال عازم، سؤال محتاج، سؤال متذلل، لا سؤال مستغنٍ مستكبر، فليعزم المسألة وليسأل سؤال جاد محتاج متذلل فقير يحتاج إلى أن يعطى ذلك، والذي سأل؛ سأل أعظم المسائل وهي المغفرة والرحمة من الله جل وعلا، فيجب عليه أن يعظم هذه المسألة ويعظم الرغبة وأن يعزم المسألة فإن الله لا مكره له، فالله جل وعلا لا أحد يكرهه لتمام غناه وتمام عزنه وقهره وجبروته وتمام كونه مقيتا سبحانه وتعالى، وهذا من آثار الأسماء والصفات.

لهذا لا يجوز في الدعاء أن يواجه العبد ربه بهذا القول: اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت.

وهذا واضح ظاهر في الدعاء الذي فيه المخاطبة كهذا الخطاب، اللهم اغفر لي إن شئت، هو يخاطب اله جل وعلا فيقول ذلك.

ولهذا قال بعض أهل العلم: إن هذا يتقيد بالدعاء الذي فيه خطاب، أما الدعاء الذي ليس فيه خطاب فيكون التعليق بالمشيئة ليس تعليقا لأجل عدم الحاجة أو منبئا لعدم الحاجة -كهذا الدعاء- بل هو للتبرك، كمن يقول: رحمه الله إن شاء الله، أو غفر الله له إن شاء الله، أو الله يعطيه من المال كذا وكذا إن شاء الله ونحو ذلك، فهذا قالوا: لا يدخل في هذا النوع؛ لأنه ليس على وجه الخطاب وليس على وجه الاستغناء.

ولكن الأدب يقتضي أن لا يستعمل هذه العبارة في الدعاء مطلقا؛ لأنها وإن كانت ليست بمواجهة فإنها داخلة في تعليق الدعاء والمشيئة، والله جل وعلا لا مكره له، فعموم المعنى المستفاد من قوله (**فَإِنَّ اللهَ لاَ مُكْرِهَ لَهُ**) عموم هذا التعليل يشمل هذه وهذه، فلا شك أن قول(**اللّهُمّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ**) أعظم، ولكن القول الآخر داخل أيضا في علة النهي ومعنى النهي، ولهذا لا يسوغ استعماله.

وقول النبي عليه الصلاة والسلام لمن عاده كما رواه البخاري ومسلم وغيرهما قال لمن عاده وقد أصابته الحمى قال «**طهورٌ إن شاء الله**» قال: بل هي حمى تفور... إلى آخر كلامه، هذا قوله عليه الصلاة والسلام (**طهور إن شاء الله**) هذا ليس فيه دعاء وإنما هو من جهة الخبر، قال يكون طهورًا إن شاء الله، فهو ليس بدعاء وإنما هو خبر، فافترق عن أصل المسألة.

قال طائفة أيضا من أهل العلم من شراح البخاري وقد يكون قوله (**طهور إن شاء الله**) للبركة فيكون ذلك من جهة التبرك، كقوله جل وعلا مخبرا عن قول يوسف ﴿**ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ**﴾[يوسف:99]، وهم قد دخلوا مصر، وكقوله جل وعلا ﴿**لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تخافون**﴾[الفتح:27]. نعم

•

باب لا يقول: عبدي وأمتي

في الصحيح عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «[illegible]».

[illegible]

[illegible] أسماء [illegible]

(باب لا يقول عبدي وأمتي) [illegible]

قال: [illegible]

[illegible] ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا (93) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (94) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: 93-95] [illegible]

[illegible] شؤونهم، [illegible].

[illegible] أولئك [illegible]

[illegible] غير [illegible]

[illegible] آخرين

[illegible] ([illegible]) [illegible]

[illegible].

(قال) في الصحيح عن أبي هريرة [illegible] أن رسول الله [illegible] قال: «لا يقل أحدكم أطعم ربك، وضئ ربك، وليقل: سيدي ومولاي، ولا [illegible]» [illegible]:

[illegible]: [illegible].

[illegible] آخرون: [illegible]

[illegible] ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: 42] [illegible]

[illegible].

[illegible] ([illegible]) [illegible]

[illegible] معنى [illegible]

[illegible] «[illegible] إنما [illegible]»[1] [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible].

[illegible]

---

[1] جاء في صحيح مسلم بلفظ: كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها/ باب حكم إطلاق لفظة العبد والأمة والمولى: «وَلاَ يَقُلِ الْعَبْدُ لِسَيِّدِهِ: مَوْلاَيَ فَإِنَّ مَوْلاَكُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ».

للمكلَّفين ... غير

باب لا يُردّ من سأل الله

عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «

والقول الثالث ما ذكرنا عن شيخ الإسلام أنه قد يكون واجبا [illegible]
مستحبا، [illegible].

[illegible] شيخ الإسلام الظاهر؛ [illegible] الوجوب [illegible] السؤال [illegible]
[illegible] شيء، [illegible]
[illegible] الفقير [illegible]
[illegible]: [illegible]
[illegible] طلبه، ويجوز [illegible].
[illegible] ثلاثة:

- [illegible].
- [illegible].
- [illegible].

[illegible].

[illegible] السائل [illegible] في [illegible] ذلك [illegible]
[illegible] طبعا [illegible] على [illegible].

[illegible].

[illegible].

[illegible]:

- [illegible].
- [illegible].
- [illegible].

[illegible] (**باب [illegible] يرد من سأل بالله**) [illegible].

[illegible] (عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: [illegible] رسول [illegible] ﷺ: « **وَمَنْ سَأَلَ بالله فأعْطُوهُ** » لماذا؟ [illegible]. (**مَنِ اسْتَعَاذَ** [illegible] **فأَعِيذُوهُ**) [illegible]
[illegible]. [illegible]: [illegible]. [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]: [illegible]. [illegible] « **لقد** [illegible] **الحق بأهله** ». [illegible].

[illegible] ([illegible] **فأَجِيبُوهُ**) [illegible][1] [illegible]
[illegible] .[2]

---

[1] وقد خالف الظاهرية فقالوا أنها تجب في كل الدعوات[العثيمين، القول المفيد، ص 562].

[2] انتهى الشريط الرابع عشر.

قال (وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفاً فَكَافِئُوهُ) ومن صنع إليك معروفا فكافئه؛ [illegible] بجنى [illegible] جهة [illegible] الهدايا [illegible] المختلفة، [illegible].

[illegible] ذلك [illegible] أنّ [illegible] وخضوع [illegible].

[illegible] سوى [illegible].

[illegible] فضِّل [illegible] رؤية [illegible] (تَجِدُوا [illegible])، ([illegible] قَدْ [illegible]) [illegible] حَتَّى [illegible] أثر [illegible].

[illegible]

بابٌ لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة

عن جابر، قال: رسول الله ﷺ: «[illegible]». [illegible].

[illegible]

الشيخ رحمه الله صنع هذا كصنيع البخاري في صحيحه، والبخاري في صحيحه على ثلاثة أصناف:

- تارة يضيف فيقول بابُ كذا.
- وتارة يقول بابٌ وتكمل.
- أو تقول بابْ وتسكت ثم تكمل الكلام.

وهذه ثلاثة أصناف في البخاري جارية في هذا الكتاب.

هذا (**باب لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة**) ومناسبته لكتاب التوحيد ظاهرة من أن تعظيم صفات الله جل وعلا -سواء في ذلك صفات الذات أو صفات الفعل- هذا من تحقيق التوحيد ومن كمال الأدب والتعظيم لله جل وعلا، فإن تعظيم الله جل جلاله، وتعظيم أسمائه وتعظيم صفاته يكون بأنحاء وأشياء متنوعة ومن ذلك أنك لا تسأل بالله أو بوجه الله أو بصفات الله جل جلاله إلا المطالب العظيمة التي أعلاها الجنة، فقال (**باب لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة**), (**لا يُسأل**) هذا نفي، والنفي هنا مضمن النهي المؤكد كأنه قال: لا يَسأل بوجه الله إلا الجنة، أو لا تَسأل بوجه الله إلا الجنة، فعدل عن النهي إلى النفي لكي يتضمن أن هذا منهي عنه وأنه لا يسوغ وقوعه أصلا (**لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة**)، فلو فرض أنه يختار هل سيقع أو لا يقع فإنه ينفى وقوعه أصلا لما يجب من تعظيم الله جل جلاله وتعظيم توحيده وتعظيم أسماء الله جل وعلا وصفاته.

(**لا يُسأل بوجه الله**)، وجه الله جل جلاله صفة ذات من صفاته سبحانه وهو غير الذات، الوجه صفة من الصفات وهو ما يواجَه به, الوجه في اللغة ما يواجه به، وهو مجمع أكثر الصفات في اللغة، الوجه ما يواجه به ويكون مجمعا لأكثر الصفات. فالله جل وعلا متصف بالوجه متصف به على ما يليق بجلاله معظمته نثبت ذلك إثباتا نعلم أصل المعنى ولكن كمال المعنى أو الكيفية فإننا نَكِل ذلك إلى عالمه وإلى المتصف به جل جلاله؛ ولكن نثبت على أصل عدم التمثيل والتعطيل كما قال جل وعلا ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[الشورى:11].

(**إلا الجنة**) الجنة هي دار الكرامة التي أعدها الله جل وعلا للمكلفين من عباده الذين أجابوا رسله ووجدوه وعملوا صالحا، وهي أعظم مطلوب؛ لأن الحصول عليها حصول على أعظم ما يسر به العبد، ولهذا كان من غير السائغ واللائق بل كان من غير الجائز أن يُسأل الله جل وعلا بنفسه أو بوجهه أو بصفة من صفاته أو باسم من أسمائه الحسنى إلا أعظم مطلوب، فإن الله جل جلاله لا يُسأل بصفاته الأشياء الحقيرة الوضيعة؛ بل يسأل أعظم المطلوب وذلك لكي يتناسب سؤال مع وسيلة السؤال، وهذا معنى هذا الباب في أن تعظيم صفات الله جل وعلا في أن لا تدعو الله بها إلا في الأمور الجليلة، فلا تسأل الله جل وعلا بوجهه أو باسمه الأعظم أو نحو ذلك في أمور حقيرة وضيعة لا تناسب تعظيم ذلك الاسم.

قال (عن جابر، قال: رسول الله ﷺ: «[illegible]».

[illegible]

[illegible]

•

باب ما جاء في الـ (لو)

وقوله الله تعالى: ﴿**يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَا هُنَا**﴾ [آل عمران:154].

وقوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران: 168].

في الصحيح عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزَنْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ** [illegible] **كذا** [illegible] **قَدَرُ** [illegible] **الشَّيْطَانِ**».

[الشرح]

(**باب ما جاء في الـ (لو)**) [illegible] الموحد؛ [illegible] المؤمن [illegible] مكمِّلا [illegible]

[illegible] شيء [illegible]

[illegible] يخالطه [illegible]

[illegible] ظن [illegible] نتائجه، [illegible]

[illegible] (**ليت**) [illegible]

[illegible] يُضعف [illegible]

[illegible]

[illegible]:

[illegible]: [illegible]

[illegible].

[illegible] أثر [illegible].

[illegible]:

[illegible].

[illegible] ﴿[illegible] لَغَفَّارٌ [illegible] صَالِحًا ثُمَّ [illegible]﴾ [طه: 82]

[illegible]

[illegible].

[illegible] تعالى: ﴿[illegible]﴾ [illegible]

[illegible].

[illegible]

أما المستقبل أن يقول: لو فعلت كذا وكذا، في المستقبل، فإنه لا يدخل في النهي؛ وذلك باستعمال النبي عليه الصلاة والسلام لذلك حيث قال مثلا «**لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي ولجعلتها عمرة**» ونحو ذلك من الأدلة، فاستعمال (لو) في المستقبل الأصل فيه الجواز إلا إن اقترن بقول القائل (لو) يريد المستقبل: اعتقاد أن فعله سيكون حاكما على القدر؛ كاعتقاد بعض الجاهليين: لو حصل لي كذا لفعلت كذا. تكبرا وأنفة واستعظاما لفعلهم وقدرتهم، فإن هذا يكون من المنهي؛ لأن فيه تجبرا، وفيه تعاظما، والواجب على العبد أن يكون ذليلا؛ لأن القضاء والقدر ماضٍ، وقد يحصل له الفعل، ولكن ينقلب على عقبيه، كحال الذي قال الله جل وعلا فيه ﴿**وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ ءَاتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ ولَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ(75) فَلَمَّا ءَاتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ(76)فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾[التوبة:75-77] فإنهم قالوا: لو كان لنا كذا وكذا وكذا لفعلنا كذا وكذا، فلما أعطاهم الله جل وعلا المال (**بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ**)، فهذا فيه نوع تحكم على القدر وتعاظم، فاستعمال (لو) في المستقبل إذا كانت في الخير، مع رجاء ما عند الله بالإعانة على أسباب الخير، فهذا جائز.

أما إذا كان على وجه التجبر والاستعظام فإنه لا يجوز؛ لأن فيه نوع تحكُّم على القدر. نعم.

●

[الأسئلة]

[س/ كيف نخرّج قول النبي ﷺ «[illegible]»

ج/ [illegible] : [illegible] كذا. مُنع [illegible] شركا لفظيا [illegible] شريك؛ [illegible]

[illegible]

[illegible] المخلوقين

[illegible] على [illegible] إلى [illegible] عز [illegible]

[illegible] ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [النحل: 53] [illegible] أيضا [illegible]

[illegible] [83: [illegible]] [illegible] إسداءً [illegible]

[illegible] آدمي [illegible]

[illegible] الحديث [illegible] شيء؟

[illegible] «[illegible] ضحضاح [illegible] النار، [illegible] الدرك [illegible]» [illegible]

[illegible] (لولا أنا) [illegible]

الجهة الأولى: [illegible]

[illegible]

الثاني [illegible]

[illegible]

كذا أو [illegible] البيت كان مُحَصّناً [illegible] كذا، [illegible] فيه تعلق [illegible] النعمة بالمخلوقين – [illegible] –] [1]

[illegible]•[illegible]

باب النهي عن سب الريح

عن أُبَيّ بنِ كَعْبٍ ، أَن رسو[illegible] [illegible]: «[illegible]» [illegible].

[illegible]

(**بابٌ النهي عن سب الريح**) الريح مخلوق من مخلوقات الله مسخر، وهي واحدة الرياح، يجريها الله جل وعلا كما يشاء، وهي لا تملك شيئا، كالدهر لا يملك شيئا ولا يدبر أمرا، فسب الريح كسب الدهر، يرجع في الحقيقة إلى أذية الله جل وعلا؛ لأن الله هو الذي يصرِّف الريح كيف يشاء، يأتي بالريح بأمر مكروه فيذكِّر العباد بالتوبة والإنابة، ويذكر العباد بأمر قدرته عليهم وأنه لا غنى لهم عنه جل وعلا طرفة عين، ويأتي بالريح فيجعلها رياحا، فيسخرها جل وعلا لما فيه من مصلحة العباد، فالريح إذا لا تملك شيئا، فهذا الباب عقدة لبيان تحريم سب الريح كما عقد ما قبله لبيان أنّ سب الدهر لا يجوز ومحرم لأنه أذية لله جل وعلا.

وهذا الباب من جنس ذاك؛ لكن هذا يكثر وقوعه، فأفرده بكثرة وقوعه وللحاجة إلى التنبيه عليه.

قال (**بابٌ النهي عن سب الريح**) النهي للتحريم، وسب الريح يكون بشتمها أو بلعنها، وكما ذكرنا لكم في باب الدهر ليس من سبها أن توصف بالشدة كقول الله جل وعلا ﴿**بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ(6)سَخَّرَهَا سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا**﴾[الحاقة:6-7]، (**بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ**) هذا وصفٌ لها ووصفها بالشدة أو وصفها بالأوصاف التي يكون فيها شر على من أتت عليه كقوله ﴿**مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ**﴾[الذاريات:42] ليس هذا من المنهي عنه.

قال(عن أُبَيّ بنِ كَعْبٍ ، أن رسول الله قال: «**لا تَسُبّوا الرّيحَ, فإِذَا رَأَيْتُمْ ما تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللّهُمّ إِنّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرّيحِ وَخَيْرِ ما فِيهَا وَخَيْرِ ما أُمِرَتْ بِهِ**») هذا يدل على أن الريح يكون فيها أمر، ويكون عليها أمر ونهي، والله جل وعلا يرسل الرياح كيف يشاء، ويَصْرِفُها -أيضا- جل وعلا عمن يشاء، فهي مسخرة بأمره جل وعلا، والملائكة هي التي تصرِّف الريح بأمره جل وعلا، فللريح ملائكة تصرفها كيف شاء ربنا جل وعلا وتقدس وتعاظم، فيها خير وقد يكون فيها عذاب، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام (**إِذَا رَأَيْتُمْ ما تَكْرَهُونَ فَقُولُوا**) فأرشدهم إلى القول الآتي، وما يكرهون قد يكون من جهة صفة الريح، وقد يكون من جهة لون الريح -يعني صفتها من جهة السرعة أو الاتجاه-، وقد يكون من جهة لونها وقد يكون من جهة أثرها،

---

[1] مأخوذ من الوجه الأول من الشريط الثامن.

والنبي عليه الصلاة والسلام كان إذا رأى شيئا في السماء أقبل وأدبر ودخل وخرج ورُئي ذلك في وجهه حتى تمطر السماء فيُسَرَّ عنه ويسر عليه الصلاة والسلام، قالت له عائشة: يا رسول الله لما ذاك قال: «**ألم تسمعي لقول أولئك**-أو كما قال عليه الصلاة والسلام- ﴿**فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمُ(24) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا**﴾[الأحقاف:24-25]».

فإذن الخوف من الله جل جلاله إذا ظهرت هذه الحوادث أو التغييرات في السماء أو في الأرض واجب، والله جل وعلا يتعرّف إلى عباده بالرخاء كما أنه يتعرَّف إلى عباده بالشدة حتى يعرفوا ويعلموا ربوبيته وقهره وجبروته ويعلم حلمه وتردده ورحمته أيضا لعباده.

فإذن إذا رأى العبد ما يكره يدع إلى الله واستغاث بالله وسأل الله بقوله («**اللّهُمّ إِنّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرّيحِ وَخَيْرِ ما فِيهَا وَخَيْرِ ما أُمِرَتْ بِهِ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرّ هَذِهِ الرّيحِ وَشَرّ ما فِيهَا وَشَرّ ما أُمِرَتْ بِهِ**» صححه الترمذي).

بهذا نكون قد أخذنا هذا اليوم تسعة أبواب، ويبقى عندنا تسعة أبواب نكملها غدا إن شاء الله، وبها تمام الكتاب.

أسأل الله جل وعلا أن يجهلكم مباركين، وأن ينفع بكم وبما تعلمتم، وأن يجعلنا وإياكم من ورثة جنة النعيم وأن يغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وأن يجعل وسيلتنا التوحيد وأن يجعل وسيلتنا إليه الإخلاص، فإنا مذنبون ولولا رحمة الله جل وعلا لهلكنا، اللهم فاغفر جما، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

•

باب قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ﴾الآية[آل عمران:154]، وقوله:﴿الظَّانِينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾الآية[الفتح:6]

قال ابن القيم في الآية الأولى: فُسِّر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وفُسر بأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته، ففسر بإنكار الحكمة وإنكار القدر وإنكار أن يُتِمَّ أمرَ رسوله وأن يظهره على الدين كله، وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح، وإنما كان هذا ظن السوء؛ لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق.

فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد؛ بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة، فذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار.

وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده.

فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله، وليستغفره من ظنه بربه ظن السوء.

ولو فتشت من فتشت، لرأيت عنده تعنُّتاً على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك، هل أنت سالم؟

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة وإلا فإني لا إخالـك ناجـياً

[الشرح]

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي له الحمد كله في ربوبيته وإلهيته وفي أسمائه وصفاته، له الحمد على أفعاله -أفعال الحكمة والإحسان، وأفعال العدل- فهو ولي الفضل وولي النعمة، وله الحمد على ما أنزل على رسوله ...

... كثيرا ...

... :

... (باب ... تعالى: ﴿**يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ**﴾ ...

ولهذا قال جل وعلا ﴿ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنعام: 149]، في الرد على القدرية المشركية، [illegible] أيضا [illegible] ﴿ حِكْمَةٌ [illegible] تُغْنِ النُّذُرُ ﴾ [القمر: 5] [illegible] موصوف بكمال الحكمة [illegible] أفعاله؛ لأن [illegible]

- [illegible] ترجع إلى [illegible].
- [illegible] بالخلق

[illegible] وإحسان منوطة [illegible] العظيمة، [illegible] ظنَّ [illegible] يُظن [illegible] شيء [illegible] العزيز [illegible].

[illegible].

[illegible] المؤلف [illegible] منافٍ [illegible] (﴿ يَظُنُّونَ [illegible] الْحَقِّ [illegible] ﴾ [آل عمران: 154]) [illegible]

[illegible] غير [illegible] – [illegible] – [illegible].

[illegible] (﴿ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ﴾) [illegible].

[illegible] (وقوله: ﴿ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ الآية [الفتح: 6]) [illegible].

[illegible] الأول: [illegible].

[illegible] الثاني: [illegible].

[illegible]: [illegible].

[illegible].

[illegible]

فهو ذو الكمال [illegible] العزة [illegible] الذي [illegible] يغلبَ [illegible] ملكوته، [illegible] قال الشاعر [illegible] فرجل [illegible] قال:

لأنتَ تفري ما خلقتَ وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

الخلق هنا التقدير؛ يعني لأنت تقطع ما قدرت، وبعض القوم -وهم الناقصون إما لعدم قدرتهم أو لعدم عزتهم أو لجهلهم- وبعض القوم يخلق؛ يعني يقدِّر الأشياء ثم لا يفري، ثم لا يستطيع أن يقطعها على وفق ما يريد.

إذن فإنكار القدر هو ظن بالله جل وعلا ظن السوء لم؟ لأن فيه نسبة النقص لله جل وعلا، والله جل وعلا هو الكامل في أسمائه، الكامل في صفاته جل وعلا، الذي يجير ولا يجار عليه، والذي له الأمر كله، والذي إليه الأمر كله كما قال هنا (**قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ للهِ**)، فلهذا كان كل ما يحصل من الرب جل وعلا في بريته هو موافق لقدره السابق الذي هو دليل كمال حكمته وعلمه وخلقه وعموم مشيئته.

[illegible]

[illegible] الحكيم [illegible] مشيئ [illegible]

- [illegible]
- [illegible]
- [illegible]

[illegible]

فإذن المسألة متصل بعضها ببعض فالذي يخالف ما أمر الله جل وعلا به شرعا فيما يتصل بنصرة[1] [الدين فإنه قد يقع في سوء ظن بالله جل جلاله، وهذا مما ينافي كمال التوحيد الواجب.

فهذه -إذن- ثلاثة أشياء ظنها أهل الجاهلية، وكلها باطلة، وكلام ابن القيم رحمه الله يدور على ذلك، ولهذا يجب عليك أن تتحرز كثيرا، وأن تحترس من سوء الظن بالله جل وعلا.

فيما ذَكر -في آخر الكلام- ابن القيم رحمه الله من أن][2] بعض الناس قد يحصل له الشيء فيرى أنه يستحق أكثر منه، وقد يحصل له الشيء بقضاء الله وبقدره فيظن أنه لا يستحق ذلك الشيء أو أن ذلك المفروض أن يصاب به غيره وأنه لا يصاب بذلك، فينظر إلى فعل الله جل وعلا وقضائه وقَدَره على وجه الاتهام، وقَلَّ من يسلم باطنا وظاهرا من ذلك، فكثيرون قد يسلمون ظاهرا؛ ولكن في الباطن يقوم بقلوبهم ظن الجاهلية واعتقاد السَّوء، ولهذا قال جل وعلا في الآية التي في صدر الباب (**يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ**) والظن محله القلب.

لهذا يجب على المؤمن أن يخلص قلبه من كل ظن بالله غير الحق وأن يتعلم أسماء الله جل وعلا وأن يتعلم الصفات وأن يتعلم آثار ذلك في ملكوت الله؛ حتى لا يقوم بقلبه إلا وأن الله جل جلاله هو الحق وأن فعله حق، حتى ولو كان في أعظم شأن وأصيب بأعظم مصيبة أو أهين بأعظم إهانة فإنه

---

[1] انتهى الوجه الأول من الشريط الخامس عشر.

[2] سقط من الأشرطة، ونقلته من تفريغ جامع ابن تيمية.

يعلم أنه ما أصابه لتمام ملك الله جل وعلا وأنه يتصرف في خلقه كيف يشاء، وأن العباد مهما بلغوا فإنهم يظلمون أنفسهم، والله جل وعلا يستحق الإجلال والتعظيم.

فخلِّصْ قلبكَ أيها المسلم وخاصة طالبَ العلم، خَلِّصْ قلبك من كل ظن سَوء بالله جل وعلا بأن قلتَ: هذا لا يصلح، وهذا الفعل عليه كذا وكذا، ولا يصلح أن يعطى المال، أو أن تحسد فلانا وفلانا.

فإن كل ذلك سوء ظن بالله جل وعلا، ولهذا قال العلماء في معنى قول النبي ﷺ «**إياكم والحسد فإنه يأكل الحسنات** [illegible] **النار الحطب**» قالوا سبب ذلك أن الحاسد ظن هذا [illegible] الذي أعطاه [illegible] جل [illegible] ما [illegible] يستحق [illegible] النعمة، فحسده وتمنى زوالها [illegible] فصار [illegible] سوء [illegible] ظنه [illegible].

[illegible] بغير [illegible] المعظِّمين [illegible].

باب ما جاء في منكري القدر

وقال ابن عمر: **والذي نفس ابن عمر بيده، لَوْ كان لأحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً ثم أنْفَقَهُ في سبيل الله مَا قَبِلَهُ الله مِنْهُ حَتّى يُؤْمِنَ بالْقَدَرِ، ثم استدلّ بقول النبي** ﷺ «[illegible]».

وعن عبادة بن الصامت، أنه قال لابنه: يا بني! إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أنّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنّ أَوّلَ مَا خَلَقَ الله الْقَلَمَ. فقال: أُكْتُبْ. قال: رب! ومَاذا أَكْتُبُ؟ قال: اكْتُبْ مقادير كل شيء حتى تقومَ الساعة**»، يا بني! سمعت رسول الله ﷺ يقول:«**من مات على غير هذا، فليس مني**.»

وفي رواية لأحمد: «**إِنّ أَوّلَ مَا خَلَقَ الله تعالى القلم، فقال له: أكتب، فجري في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة**».

وفي رواية لابن وهب: قال رسول الله ﷺ: «**فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره، أحرقه الله بالنار**».

وفي المسند والسنن عن ابن الدّيْلَمِيّ، قال: أتَيْتُ أُبَيّ بنَ كَعْبٍ, فَقُلْتُ: فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ الْقَدَرِ فَحَدّثْنِي بِشَيء لَعَلّ الله يُذْهِبَهُ مَنْ قَلْبِي، فقَالَ: لَوْ أنْفقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا قَبِلَهُ الله تَعَالَى مِنْكَ حَتّى تُؤْمِنَ بالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَأَنّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ, وَلَوْ مُتّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النّارَ. قال: فأتَيْتُ عَبْدَ الله بنَ مَسْعُودٍ وحُذَيْفَةَ بنَ الْيَمَانِ وَزَيْدَ بنَ ثَابِتٍ، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ. [illegible]

[illegible].

[illegible]

ومنهم طائفة ليست بالغلاة: وهم الأشاعرة ونحوهم الذين يقولون بالجبر في الباطن وبالاختيار [illegible] الظاهر، ويقولون: إنَّ العبد [illegible] كسب؛ [illegible] فيُفعل [illegible] ويصف [illegible] على [illegible] التفصيل [illegible].

[illegible] (سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنّ أول** [illegible] **خلق** [illegible]. **فقال: اكتب! قال: رب وماذا أكتب؟** [illegible]: [illegible] **مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**») [illegible].

[illegible] (**[illegible]**) [illegible]: [illegible] فـ(**أول**) [illegible] (**إنّ**) [illegible] [[illegible]] [illegible].

[illegible] الحديث [illegible] « [illegible] **والأرض** [illegible] **سنة** [illegible] «**على الماء**» [illegible] ([illegible]) [illegible]: [illegible]) [illegible].

[illegible] - [illegible] - [illegible] والماء [illegible].

[illegible]: [illegible]

والناس مختلفون في القلم الذي ... كتب القضاء به من الديان
هل كان قبل العرش أو بعده ... قولان عند أبي العلا الهمذاني
والحق أن العرش قبله لأنه ... عند الكتابة كان ذا أركان

إلى آخر ما في هذا الباب من مباحث في الإيمان بالقدر.

•

باب ما جاء في المصَوِّرين

وعن أبي هريرة ، [illegible]: [illegible] ﷺ: «[illegible] **أظلم** [illegible] **حبة** [illegible] **أو** [illegible]» أخرجاه.

[illegible] عن عائشة رضي [illegible] أن [illegible] ﷺ قال: «**أشد** [illegible] **عذاباً يوم القيامة، الذين يضاهئون بخلق** [illegible]».

[illegible] ابن [illegible]: [illegible] ﷺ [illegible]: «[illegible]».

يجعل [illegible] **نفس يعذب بها** [illegible]».

[illegible] «**صوّر** [illegible] **كلف** [illegible] **الروح** [illegible]».

[illegible] عن أبي [illegible]: [illegible]. ﷺ **ألا أبعثك على ما بعثني عليه** **رسول** ﷺ: **أن لا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته**.

[الشرح]

(ولهما) عن ابن عباس: سمع رسول ﷺ يقول: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ. يُجْعَلُ لَهُ [illegible]» [illegible] أنّ [illegible]

[illegible] التصوير [illegible] شيء [illegible] الآدمي [illegible] على [illegible]

[illegible] الكبائر.

[illegible] «[illegible] صُورَةً [illegible] الدُّنْيَا [illegible] أَنْ يَنْفُخَ [illegible] الْقِيَامَةِ.

[illegible] «[illegible]

[illegible] عَنْ أَبِي [illegible]: «أَلاَّ أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ ﷺ: أن لا تَدَعَ [illegible] إِلاَّ طَمَسْتَهَا، [illegible] مُشْرِفاً [illegible]» [illegible]

[illegible] الأمر؛ [illegible]

[illegible] طمسها؛ [illegible]

[illegible]

[illegible] خلف [illegible]

[illegible] التلفزيون [illegible]

[illegible]

●

باب ما جاء في كثرة الحلف

وقول الله تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة:89].

وعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ [illegible]: «[illegible]», [illegible] «[illegible]».

وعن سَلمان، أن رسول الله ﷺ قال: «ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ الله, وَلاَ يُزَكِّيهِمْ, وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أشيمط زان، وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه». رواه الطبراني بسند صحيح.

وفي الصحيح عن عمران بن حصين ، قال: قال رسول الله ﷺ: «خيرُ أمّتي قَرني, ثمّ الذين يَلونهم, ثمّ الذين يَلونهم. -قال عِمرانُ: فلا أدري أذكرَ بعدَ قرنِه مرتين أو ثلاثاً-. ثمّ إنّ بعدَكم قوماً يشهدون ولا يُستشهدون ويخونون ولا يُؤْتَمَنون, ويَنذرون ولا يَفون, ويَظهر فيهم السّمَن».

وفيه عن ابن مسعود، أن النبي ﷺ: «[illegible]». [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] وعلا في يمينه؛ [illegible] يجعل [illegible] إذا تكلم [illegible] بالحلف [illegible] يشتري [illegible] ذلك، [illegible] سبيل التعظيم [illegible].

[illegible] العبد أن [illegible] يكثر [illegible] والمقصود [illegible] المنعقدة [illegible] لغو [illegible] يحلِّف [illegible].

[illegible] بمعظَّم [illegible] إذْ [illegible] مجيئة [illegible].

[illegible] (وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ) [illegible] ([illegible]) [illegible] بأسماء [illegible].

[illegible] (وعن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ [illegible] اللَّهِ ﷺ [illegible]: «الْحَلِفُ مُنَفِّقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، [illegible] لِلْكَسْبِ» أخرجاه) [illegible] يكسبه [illegible].

قال:(وعن سَلمان، أن رسول الله ﷺ قال: «**ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ الله, وَلاَ يُزَكِّيهِمْ, وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**: **أُشيمط زان**) يعني من شمطه الشيب وقلبه متعلق بالزنا والعياذ بالله، فإنه ليس عنده من الدواعي للزنا ما يجعله يقبل عليه، ليس كحال من كان شابا، فهو قد وَخَطَهُ الشيب،[1] فيكون إذن في قلبه حب المعصية وليست مسألة غلبة الشهوة، ولهذا كان من أهل هذا الوعيد العظيم؛ لأن لا يكلمهم الله ولا يزكيهم وله عذاب أليم.

والصفة الثانية قال **(عائل مستكبر)** هذا النوع الثاني وهو من جنس الأول، فإن الاستكبار كما قال العلماء يكون إستكبارا للذات ويكون استكبارا للصفات، فإذا كان استكبارا للصفات فهذا محرم ولكنه أهون كمن يكون ذا جاه ورفعة فتكبر لأجل ماله من الجاه والرفعة، فهذا لا يجوز لكن عنده ما يُوقع في قلبه الشبهة والفتنة بالتكبر أو الاستكبار، أو يكون ذا جمال، أو يكون ذا سمعة ونحو ذلك، فعنده سبب يجعله يتكبر وهذا يكثر في أهل الغنى، فأهل الغنى يكون كثيرا عندهم نوع تكبر على من كانوا من أهل الفقر أو ليسوا من أهل الغنى، فهذا عنده وصف جعله يتكبر؛ لكن الأعظم أن يكون تكبره في

---

[1] خالط سوادَ شعره.

الذات؛ لأنْ ليس عنده صفة تجعله متكبرا، وهذا هو النوع الأول وهو استكبار للذات، يرى نفسه كبيرا ويتعاظم وهو ليس عنده شيء من الصفات يجعله كذلك، فهذا يكون فِعله كبيرة من الكبائر العظيمة ويدخل في هذا الحديث، ولهذا قال (**وعائل مستكبرا**) لأن العائل وهو الفقير الكثير العيال ليس عنده من لصفات ما يكون الاستكبار شبهة عنده أو لأجل تلك الصفات أو يكون ثَم فتنة عنده إلا لما قام في نفسه الخبيثة من الكبر.

قال (**ورجل جعل الله بضاعته، لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه**) وهذا موطن الشاهد من الحديث، وهو ظاهر في أنه مذموم وأنه صاحب كبيرة؛ لأنه جعل الله بضاعته ويبيع باليمين ويشتري باليمين وهذا لا يجامع كمال التوحيد؛ بل لا يجامع تعظيم الله جل وعلا التعظيم الواجب فيكون مرتكبا لمحرم.

والحديث الذي بعضه واضح وكذلك الذي بعده، وآخره قول إبراهيم النخعي (**قال إبراهيم: وكانوا يَضرِبونَنا على الشهادةِ والعَهد ونحن صغار.**) هذا فيه تأديب السلف لأولادهم ولذراريهم على تعظيم الله جل وعلا، فإن الشهادة والعهد واجب أن تكون مع التعظيم لله جل وعلا والخوف من لقائه والخوف من الظلم، فكانوا يؤدِّبون أولادهم على ذلك حتى يتمرنوا وينشأوا على تعظيم توحيد الله وتعظيم أمر الله ونهيه.[1]

●

بابُ ما جاء في ذِمّة الله وذمّة نبيه ﷺ

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[النحل:91].

وعن بُرَيْدَةَ، قال: **كانَ رسولُ الله ﷺ إذا أمّر أميراً على جيشٍ أو سريَّة أوْصَاهُ في خَاصّتهِ بِتَقْوى** [illegible] **ومَنْ** [illegible] **المُسْلِمِينَ** [illegible] **فقال: اغْزُوا** [illegible] **كَفَرَ** [illegible] **تغدِ** [illegible] **تَمْثُلُوا ولا** [illegible] **تهن** [illegible] **فإن** [illegible] **ثم** [illegible] **ما** [illegible] **إلى التّحوّ** [illegible] **تعالى** [illegible] **حكْمُ** [illegible] **الغَنِيمَةِ والْفَيءِ شَيْءٌ** [illegible] **ية،** [illegible] **نبيه،** [illegible]» رواه مسلم.

[الشرح]

---

[1] انتهى الشريط الخامس عشر.

والحديث ظاهر الدِّلالة على ذكرنا؛ ففيه تعظيم الله جل جلاله بأن يعطى العبد الناس بذمة الله وذمة نبيه ﷺ؛ بل أن يعطى بذمته هو.

وفي هذا تنبيه عظيم لأهل التوحيد وطلبة العلم الذين يهتمون بهذا العلم ويعرف الناس منهم أنهم يهتمون بهذا العلم ألا يبدُر منهم ألفاظ أو أفعال تدلّ على عدم تَمَثُّلِهم بِهذا العلم فإن التوحيد هو مقام الأنبياء والمرسلين ومقام أولياء الله الصالحين، فأن يتعلم طالب العلم مسائل التوحيد ثم لا تظهر على لسانه أو على جوارحه أو على تعامله لا شك أن هذا يرجع ولو لم يشعر يرجع إلى اتهام ذلك الذي حمله من التوحيد أو من العلم الذي هو علم الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

فتذَكَّر قول النبي ﷺ هنا (**وإذا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أنْ تَجْعَلَ لهم ذمَّةَ الله وذِمّةَ نَبيّهِ فلا تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمّةَ الله وذِمّةَ نَبِيّهِ**) لأجل أنه قد يُدخل على أهل الإسلام وأو على الدين في نفسه من جهة فعلهم، فيخفرون هذه الذمة فيرجه اخفار ذلك إلى اتهام ما حملوه من الإسلام ومن الدين، فهذه مسألة عظيمة فتستحضر أن الناس ينظرون إليك خاصة في هذا الزمان -الذي هو زمان شبه وزمان فتن- ينظرون إليك أنك تحمل سُنّة، تحمل توحيدا، تحمل علما شرعيا، فلا تعاملهم إلا بشيء يكون معه تعظيم الرب جل وعلا، وتجعل أولئك يعظمون الله جل وعلا بتعظيمك له، ولا تخفر في اليمين ولا تخفر في ذمة الله، أو تكون في الشهادة حائفا أو في التعامل حائفا؛ لأن ذلك مُنْقِصٌ لأثر ما تحمله من العلم والدين.

فتذكر هذا، وتذكر أيضا قوله عليه الصلاة والسلام هنا (**وإذا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فأَرَادُوكَ أنْ تُنزلهم على حُكْمِ الله فلا تُنْزِلُهُمْ على حُكْمِ الله ولكن أنْزِلْهُمْ على حُكْمِكَ فَإِنّكَ لاَ تَدْرِي أتُصِيبُ حُكْمَ الله فيهِمْ أم لا أو نَحْوَ هذا**) وذلك حتى إذا كان غلظ فيكون الغلط منسوبا إلى من حَكَمَ -إلى هذا البشر-، ولا يكون منسوبا إلى حُكْم الله، فيصد الناس عن دين الله، وكم من الناس ممن يحملون سنة أو علما أو يحملون استقامة يسيئون بأفعالهم وأقوالهم؛ لأجل عدم تعلمهم أو فهمهم ما يجب لله جل وعلا وما يجب لسنة النبي ﷺ وما يدعوهم إليه الرب الكريم جل وعلا وتعالى وتقدس.

نبرأ إلى الله جل وعلا من كل نقص، ونسأله أن يعفو ويتجاوز ويرحمنا جميعا.

باب ما جاء في الإقسام على الله

عَنْ جُنْدَب بن عبد الله [illegible]

[illegible]

(بل ما جاء في الإقسام على الله) جهة فيها

باب لا يُستشفع بالله على خلقه

عن جبير بن مطعم

(1) وهي المسألة الخامسة: أن الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور إليه.

كل شيء ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ ... بِقَدَرٍ ...﴾ [الحجر: 21]،

فالعباد هم المحتاجون إلى الله، وشأن الخلق أعظم من ذلك إذ المخلوق وضيع بالنسبة ...

... يصلح ... يُجعل ... واسطة ...

الواسطة؛ ... .

حيث ... آدم ...

(... نستشفع ... على ...): سبحان الله، ...

... «فما زال يسبّح»، سبحان الله؛ يعني تنزيها وتعظيما لله، وإبعادا ...

كل نقص وعيب وسوء أو شائبة نقص ...

... وأبعّده ... جلّ ... يكررها حتى

عُرف ذلك ... الغضب ...

... فما كل أعلمه بربه وما ... .

: «وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا الله؟ إِنَّ ... أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، ...

... » (...)

... سَوْءٌ ... .

...

... .

باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسدِّه طرق الشرك

عن عبد الله بن الشخير ﷺ، قال: انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقُلنا: أَنْتَ سَيِّدُنَا. فَقَالَ: «السَّيِّدُ الله تبارك وتعالى». قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلاً وَأَعْظَمُنَا ... . «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ ... يَسْتَجْرِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ».

رواه أبو داود بسند جيد.

وعن أنس ﷺ: أن ناساً قالوا: يا رسول الله يا خيرنا وابن ... وسيدنا ...!

فقال «يا أيها ... محمدٌ ... ترفعوني ... منزلتي ...» ... النسائي ...

جيد

[الشرح]

(... جاء ... حماية ... حمى ...)؛ ... الصلاة

... جناب التوحيد، ... الشرك، ...

... الدلائل ... الذرائع يبلغ ... أكثر،

...:

... وخيرنا ... يجوز ...

... ﷺ هو سيد ولد آدم كما أخبر عليه الصلاة والسلام؛ لكن

... المواجهة ... سيأتي .

إذن فحماية النبي [illegible] حمى التوحيد وسده طرق الشرك:

- [illegible] جهة الاعتقاد.
- [illegible] الأعمال [illegible].
- [illegible].

[illegible] جاء [illegible] الصلاة [illegible]:

[illegible].

[illegible] «اشتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ».

وسد الباب أيضا في الأقوال التي توصل إلى الغلو المذموم [illegible] «[illegible] تطروني كما [illegible] النصارى [illegible] إنما [illegible] فقولوا [illegible]».

وهذا [illegible] من ذلك [illegible] حمى الرسول [illegible] يتعلق [illegible].

[illegible] (عن عبد الله بن الشخير [illegible]، قال: انطلقت في وفد بني عامر [illegible] [illegible] فقلنا: [illegible] سيدنا. فقال: «[illegible] تبارك وتعالى». [illegible] فضلا وأعظمنا [illegible] «[illegible]». رواه أبو [illegible] بسند جيد) [illegible] الحديث [illegible] (الشرح) [illegible] مكروه، [illegible] ومخاطبته [illegible] يجب [illegible]: [illegible]. [illegible] جهة الجمع؛ [illegible]:

- [illegible].
- [illegible].

[illegible] «[illegible] آدم [illegible]» [illegible] تؤي [illegible].

[illegible] (الله [illegible]) [illegible] آدم [illegible]. [1]

[illegible] العلماء [illegible] ([illegible]) [illegible].

[illegible]

---

[1] انتهى الوجه الأول من الشريط السادس عشر والأخير.

يريدون به الله جل وعلا ولكن [illegible] ذلك الذي اتخذوه معبودا، وتوجهوا إليه ببعض أنواع العبادة، فيفهمون [illegible] السيد [illegible] ذو السيادة [illegible] التصرف [illegible] الأمر، [illegible] اعتقدوه [illegible] أنّ [illegible] ولأمثاله [illegible] الأمر [illegible]

(قُلْنا: وَأَفْضَلُنا فَضْلاً وَأَعْظَمُنَا طَوْلاً. فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ [illegible] يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ»)؛ [illegible] المدح والثناء [illegible] الشيطان، [illegible] حتى [illegible] الخِذلان؛ [illegible] (إلا [illegible]) [illegible] الإزدراء [illegible] غرة، [illegible] أن يقال بمثل ذلك [illegible] مواجهة، ونهي عن المدح [illegible].

[illegible]: ناساً قالوا: [illegible] يسول [illegible]! [illegible]: «[illegible] أيها [illegible] محمد [illegible] ترفعوني [illegible] منزلتي [illegible]». [illegible] النسائي [illegible]

[illegible] آدم [illegible].

[illegible] الذرائع [illegible] – [illegible] – [illegible]

[illegible] ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا [illegible] خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: 90]، [illegible]:

- خشوع في القلب
- [illegible] الجوارح

[illegible] بالتطامن والذل والخضوع [illegible] يدي الله.

[illegible] بسكونها [illegible] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ [فصلت: 39].

•

باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا

يُشْرِكُونَ﴾[الزمر: 67]

عن ابن مسعود ، قال: جَاءَ حَبْرٌ من الأحبار إلى رسول الله، فقال : يَا مُحَمّدُ ! إنا نجد أن الله يجعل السّمَاوَاتِ عَلَىَ إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلىَ إِصْبَعٍ، وَالشّجَرَ عَلَىَ إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ عَلَىَ إِصْبَعٍ، وَالثّرَى عَلَىَ إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَىَ إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. فضَحِكَ النبيّ حَتّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، تصديقاً لقول الحبر، ثُمّ قَرَأَ: «﴿**وَمَا قَدَرُوا اللّهَ حَقّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ الآية» متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: وَالْجِبَالَ وَالشّجَرَ عَلَىَ إِصْبَعٍ، ثُمّ يَهُزّهُنّ فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أنا الله.

وفي رواية للبخاري: يجعل السّمَاوَاتِ عَلَىَ إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثّرَىَ عَلَىَ إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَىَ إِصْبَعٍ.

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً : «**يَطْوِي اللّهُ عَزّ وَجَلّ السّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. ثُمّ يَأْخُذُهُنّ بِيَدِهِ الْيُمْنَىَ. ثُمّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. أَيْنَ الْجَبّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبّرُونَ؟ ثُمّ يَطْوِي الأَرَضِينَ السبع ثُمّ يَأْخُذُهُنّ بِشِمَالِهِ. ثُمّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. أَيْنَ الْجَبّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبّرُونَ؟**».

وروي عن ابن عباس، قال : ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم.

وقال ابن جرير: حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: حدثني أبي، قال: قال رسول الله : «**ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس**»

قال: وقال أبو ذر : سمعت رسول الله يقول: «**ما الكرسي في العرش إلا العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض**».

وعن ابن مسعود، قال: بين السماء والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام وبين الكرسي والماء خمس مئة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفي عليه شيء من أعمالكم. أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله. ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله. قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى، قال: وله طرق.

وعن العباس بن عبد المطلب [illegible]

هذا (باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ والسَّمَوَاتُ مَطْوِيَاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾[الزمر: 67]) هذا الباب ختم به أمام هذه الدعوة شيخ الإسلام والمسلمين محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى كتاب التوحيد، وخَتْمُه هذا الكتاب بهذا الباب خَتْمٌ عظيم؛ لأن من علم حقيقة ما اشتمل عليه هذا الباب من وصف الله جل وعلا وعظمة الله جل وعلا فإنه لا يملك إلا أن يَذُلَّ ذلا حقيقيا ويخضع خضوعا عظيما للرب جل جلاله، والصحيح والواقع من حال الخلق أنهم لم يوقِّروا وما قدروا الله جل وعلا:

- لا من جهة ذاته وقدرته وصفاته.
- ولا من جهة حكمته وبعثه لرسله.

قال جل وعلا ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ**﴾[الأنعام:91]، فهذا في الإنزال؛ في إنزال الكتاب وفي إرسال الرسول.

وقال جل وعلا في بيان صفة ذاته, قال (**وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)، (**وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ**) يعني ما عظّموه حق تعظيمه، ولو عظموه حق تعظيمه لما عبدوا غيره ولما أطاعوا غيره ولعبدوه حق العبادة ولذلوا له ذلا وخضوعا دائما وأنابوا إليه بخشوع وخشية؛ ولكنهم (**مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ**) يعني ما عظموه حق تعظيمه الذي يجب لقدره جل وعلا وعظم ذاته سبحانه وتعالى وصفاته.

ثم بين جل وعلا شيئا من صفة ذاته العظيمة الجليلة فقال سبحانه (**وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) فإن عقل الإنسان لا يمكن أن يتحمل صفة الله جل وعلا على ما هو عليه، والله جل وعلا بيّن لك بعض صفاته فقال سبحانه (**وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ والسَّمَوَاتُ مَطْوِيَاتٌ بِيَمِينِهِ**) فإذا نظرت إلى هذه الأرض -على عِظمها وعلى غرور أهلها فيها-، ونظرت إلى حجمها وإلى سعتها وإلى ما فيها فهي قبضة الرحمان جل وعلا؛ يعني في داخل قبضة الرحمان جل وعلا يوم القيامة كما وصف ذلك بقوله (**وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) فنفهم من ذلك أن كف الرحمان جل وعلا وأن يد الرحمان جل وعلا أعظم من هذا، وكذلك السماوات مطويات كطي السجل في كف الرحمان جل وعلا، كما قال سبحانه هنا (**والسَّمَوَاتُ مَطْوِيَاتٌ بِيَمِينِهِ**) وقال في آية سورة الأنبياء ﴿**يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ الخَلْقِ نُعِيدُهُ**﴾[الأنبياء:104]، فهذه صفات الله جل جلاله هذه صفاته فإن الأرض التي يتعاظمها أهلها والسماوات التي يتعاضمها من نظر فيها هي صغيرة وآيلة في الصغر إلى أن تكون في كف الرحمان جل وعلا، والله سبحانه وتعالى أعظم من ذلك وأجلّ؛ بل هو سبحانه وتعالى الواسع الحميد الذي له الحمد كله وله الثناء كله.

ويبين لك ذلك؛ يبين لك عظمة الرب في ذاته وعظمة الرب جل وعلا في صفاته إذا تأملت هذه الأحاديث، فإنك إذا نظرت في هذه الأرض، ونظرت

سعة هذه الأرض، وغرور أهل الأرض بها غرور أهل الأرض في الأرض بهذه الأرض وبسعتها وبقواهم فيها، نظرت إلى أن الأرض بالنسبة إلى السماء أنها صغيرة، وأن بين الأرض وبين السماء الأولى مسيرة خمسمائة سنة في مسير الراكب السريع، وكذلك بين السماء الأولى والسماء الثانية مسيرة خمسمائة ألف سنة، وهكذا حتى تنتهي السبع السماوات، والأرض بالنسبة للسماوات صغيرة، ولهذا مثَّل السماوات السبع النبي عليه الصلاة والسلام في الكرسي الذي هو فوق ذلك وهو أكبر بكثير من السماوات, بقوله (**إن السماوات السبع كدراهم سبعة ألقيت في ترس**) يعني هذه السماوات صغيرة جدا بالنسبة إلى الكرسي؛ بل كدراهم سبعة ألقيت في ترس، والترس مكتنفها متقوس عليها، فهي صغيرة فيه وهو واسعها كما قال جل وعلا عن الكرسي ﴿**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا**﴾ [البقرة:255].

فالأرض التي أنت فيها، وأنت فيها في نقطة صغيرة صغيرة هي بالنسبة إلى السماء هذا وصفها، والأرض والسماوات بالنسبة للكرسي هذا وصفه، والكرسي أيضا فوقه ماء، وفوق ذلك العرش عرش الرحمان جل وعلا، والكرسي بالنسبة إلى العرش كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض، فهو متناهي الصغر بالنسبة إلى عرش الرحمان الذي الرحمان جل وعلا مستو عليه وهو فوقه سبحانه وتعالى.

ولو تأملوا صفة الرب جل وعلا وما يجب له من الجلال وما هو عليه سبحانه وتعالى من صفات الذات ومن صفات الفعل وما هو في ذلك على الكمال الأعظم، فإنهم سيحتقرون أنفسهم، وسيعلمون أنه ما ثَم ينجيهم ويشرفهم إلا أن يكونوا عبيدا له وحده دون ما سواه.

فهل يعبد المخلوقُ المخلوقَ؟ الواجب أن يعبد المخلوقُ هذا الذي هو متصف بهذه الصفات العظيمة، فهو الحقيق بأن يذل له، وهو الحقيق بأن يطاع، وهو الحقيق أن يجل، وهو الحقيق بأن يسأل، وهو الحقيق بأن يبذل كل ما يملكه العبد في سبيل مرضاته جل وعلا، إذ هذا من قدره حق قدره ومن تعظيمه حق تعظيمه.

فإذا تأمل العبد صفات الربوية وصفات الجلال وصفات الجمال لله جل وعلا، وأن ذات الله جل وعلا عظيمة، وأنه سبحانه وتعالى مستو على عرشه بائن من خلقه على هذا العظم، وجد أنه ما ثَم إلا أنه يتوجه إليه بالعبادة وألا يعبد إلا هو، وأن من عبد المخلوق الحقير الوضيع فإنه قد نازع الله جل وعلا في ملكه ونازع الله جل وعلا في إلهيته، ولهذا يحق أن يكون من أهل النار المخلدين فيها عذابا دائما؛ لأنه توجه إلى هذا المخلوق الضعيف وترك الرب العلي القادر على كل شيء سبحانه وتعالى.

ثم إذا تأملتَ ذاك تأملتَ ربك العزيز الحكيم المتصف بصفات الجلال وهو جل وعلا فوق عرشه يأمر وينهى في ملكوته الواسع -الذي الأرض كَشِبْه لا شيء في داخل ذلك الملكوت- يفيض رحمته ويفيض في نعيمه على من شاء، ويرسل عذابه على من شاء، وينعِّم من شاء، ويصرِف البلاء عن من

شاء، وهوسبحانه ولي النعمة والفصل، فترى أفعال الله جل وعلا في السماوات وترى عبودية الملائكة في السماوات؛ تراها متجهة إلى هذا الرب العظيم المستوي على عرشه كما قال عليه الصلاة والسلام «**أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلاَّ وَمَلَكٌ قائم أو مَلَكٌ راكع أو مَلَكٌ سَاجِد**» وهذا لأجل تعظيمهم لأمر الله، فتنظر إلى نفوذ أمر الله في ملكوته الواسع الذي لا نعلم منه ما هو لنا من هذه الأرض وما هو قريب منها؛ بل نعلم بعض ذلك، والله جل وعلا هو المتصف.

ثم تنظر إلى أن الله جل وعلا هذا الجليل العظيم المتصف بهذا الملك العظيم أنه يتوجه إليك أيها العبد الحقير الوضيع فيأمرك بعبادته وهي شرف لك لو شعرت، ويأمرك بتقواه فهو شرف لك لو شعرت، ويأمرك بطاعته وذاك شرف لك لو شعرت، فإنه إذا علمت حق الله وعلمت صفات الله، وما هو عليه من العلو المطلق في ذاته وصفاته جل وعلا، وفي نفوذ أمره في هذه السموات السبع التي هي في الكرسي كدراهم ألقيت ترس، ثم ما فوق ذلك، والجنة والنار وما في ذلك، وجدت أنك لا تتمالك إلا أن تخضع له جل وعلا خضوعا اختياريا، وأن تذل له، وأن تتوجه إلى طاعته، وأن تتقرب إليه بما يجب، وأنك إذا تلوت كلامه تلوت كلام من يخاطبك به ويأمر وينهى به، فيكون حينئذ التوقير غير التوقير ويكون التعظيم غير التعظيم.

ولهذا كان من أسباب رسوخ الإيمان في القلب وتعظيم الرب جل وعلا أن يتأمل العبد ويتفكر في ملكوت السموات والأرض كما أمر الله جل وعلا بذلك حين قال ﴿**قُلْ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾[يونس:101]، وقال جل وعلا ﴿**أَوَلَمْ [يَنْظُرُوا][1] فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ**﴾[الأعراف:185]، وقال أيضا جل وعلا في وصف الخُلَّص من عباده ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ(190)الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**(191) **رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ**﴾[آل عمران:190-191] إلى آخر دعواتهم وهم يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم يتفكرون، ومع ذلك سيسألون النجاة من النار، فهم في ذل وخضوع لما عرفوا من آثار توحيد الربوبية ولما عرفوا من آثار توحيد الألوهية في القلب وفي النفس.

●

[1] وقال في الآية قبلها: ﴿**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا**﴾[الأعراف:184].

الخاتـــمة

أسأل الله جل وعلا في ختام هذا الكتاب أن يجزى عنا مؤلفه الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب خير الجزاء، أن يجزيه عن المسلمين خير الجزاء، وكل من ساهم في شرح هذا الكتاب بما أفهمنا من معانيه، فإنه والله لكتاب عظيم إشتمل على ما به نجاة العباد لو شعروا، وقرّب الإمام رحمه الله فيه من نصوص الكتاب والسنة وأفهمنا دلائلها بما جازوا منه النجاة بعفو الله جل وعلا وكرمه.

هذا ووصية أخيرة نختم بها هذا المجلس المبارك وهذا الدرس المبارك الذي يعزّ عليّ أن أفارق فيه هذه الأوجه وطلبة العلم، أوصي بالعناية بهذا الكتاب عناية عظيمة من جهة حفظه ومن جهة[1] دراسته ومن جهة تأمل مسائله ومن جهة معرفة ما فيه؛ فإنه الحق الذي كان عليه الأنبياء والمرسلون ومن تبعهم من صالح عباد الله.

هذا واعتنوا رحمكم الله بذلك أعظم العناية، فإن فيه خيركم لو تعقلون، ووالله إن الانصراف عنه لنذير سوء ،وإن الإقبال عليه لنذير بشرى ومؤذن بالخير والبشرى.

وهذا وأسأل الله أن ينفعني وإياكم بما سمعنا، وأن يغفر لنا زللنا وخطلنا، وأن يعفو عنا ما أخطأنا فيه، وأن يجعلنا من المعفو عنهم، ونسأل الله التسامح، وأن يجعلنا من المحققين لتوحيده وأنه لا حول لنا ولا قوة لنا إلا به.

اللهم فكن لنا يا كريم، اللهم فكن لنا يا كريم، اللهم فكن لنا يا كريم.

هذا وأستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.

---

[1] وبكى الشيخ -حفظه الله-، جمعنا الله وإياه في الفردوس الأعلى. آمين.

فهرست كفاية المستزيد بشرح كتاب التوحيد

الصفحة	الموضـــــوع
01	منهجي في هذا التفريغ المبارك..
03	كلمات في طلب العلم...
08	مقدِّمــــة الشارح..
09	كتـاب التوحيد وقول الله تعالى ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾[الذاريات:56]................................
15	**باب** فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب...
19	**باب** من حقَّق التوحيد؛ دخل الجنة بغير حساب..
25	**باب** الخوف من الشرك...
31	**باب** الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله..
34	**باب** تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله..
41	**باب** من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه...
48	**باب** ما جاء في الرقى والتمائم..
56	**باب** من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما..
64	**باب** ما جاء في الذبح لغير الله...
72	**باب** لا يُذبح لله في مكان يُذبح فيه لغير الله...
74	**باب** من الشرك النذر لغير الله تعالى..
78	**باب** من الشرك الاستعاذة بغير الله...
81	**باب** من الشرك أن يستغيث بغير الله أو أن يدعو غيره..
87	**باب** قول الله تعالى﴿**أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ**﴾[الأعراف:191]..
91	**باب** قول الله تعالى:﴿**حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾[سبأ:23]....................
92	**باب** الشفاعة..
101	**باب** قول الله تعالى: ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾[القصص:56]......................................

باب ما جاء أن سبب كُفْرِ بني آدم وتركِهم دينهم هو الغلو في الصالحين..... **104**
باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟!..... **108**
باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله..... **116**
باب ما جاء في حماية المصطفى جناب التوحيد وسدِّه كل طريق يوصل إلى الشرك..... **118**
باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان..... **119**
باب ما جاء في السحر..... **125**
باب بيان شيء من أنواع السحر..... **130**
باب ما جاء في الكهان ونحوهم..... **135**
باب ما جاء في النشرة..... **139**
باب ما جاء في التطير..... **142**
باب ما جاء في التنجيم..... **145**
باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء..... **148**
باب قول الله تعالى﴿**وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ**﴾[البقرة:165]..... **150**
باب قول الله تعالى﴿**إِنَّمَا ذَلِكُمْ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِي إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[آل عمران:175]..... **154**
باب قول الله تعالى: ﴿**وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾[المائدة:23]..... **156**
باب قول الله تعالى: ﴿**أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ**﴾[الأعراف:99]، وقوله: ﴿**وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ**﴾[الحجر:56]..... **159**
باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله..... **161**
باب ما جاء في الرياء..... **165**
باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا..... **166**
باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أرباباً..... **169**
باب قول تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ**﴾[النساء:60-62]..... **174**
باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات..... **178**
باب قول الله تعالى ﴿**يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمْ الكَافِرُونَ**﴾ **182**

[النحل:83].....
باب قول الله تعالى ﴿**فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[البقرة: 22]..... **185**
باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله..... **187**
باب قول: ما شاء الله وشئت..... **189**
باب من سبّ الدهر فقد آذى الله..... **190**
باب التَّسمِّي بقاضي القضاة ونحوه..... **192**
باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك..... **193**
باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول..... **194**
باب قول الله تعالى: ﴿**وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ**﴾[فصلت: 50]..... **197**
باب قول الله تعالى: ﴿**فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ** ﴾[الأعراف: 190]..... **200**
باب قول الله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**﴾الآية[الأعراف: 180]..... **203**
باب لا يقال: السلام على الله..... **206**
باب قول: اللهم اغفر لي إن شئتَ..... **208**
باب لا يقول: عبدي وأمتي..... **209**
باب لا يُردّ من سأل الله..... **210**
بابٌ لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة..... **212**
باب ما جاء في الـ (لو)..... **213**
باب النهي عن سب الريح..... **216**
باب قول الله تعالى: ﴿**يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ**﴾الآية[آل عمران:154]، وقوله: ﴿**الظَّانِينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ**﴾الآية[الفتح:6]..... **217**
باب ما جاء في منكري القدر..... **221**
باب ما جاء في المصَوِّرين..... **224**
باب ما جاء في كثرة الحلف..... **227**
بابُ ما جاء في ذِمّة الله وذمّة نبيه ﷺ..... **228**

باب ما جاء في الإقسام على الله..... **230**
باب لا يُستشفع بالله على خلقه..... **231**
باب ما جاء في حماية النبي حمى التوحيد وسدِّه طرق الشرك..... **232**
باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾[الزمر: 67]الآية..... **234**
الخاتـــمة..... **238**
فهرست كفاية المستزيد بشرح كتاب التوحيد..... **239**